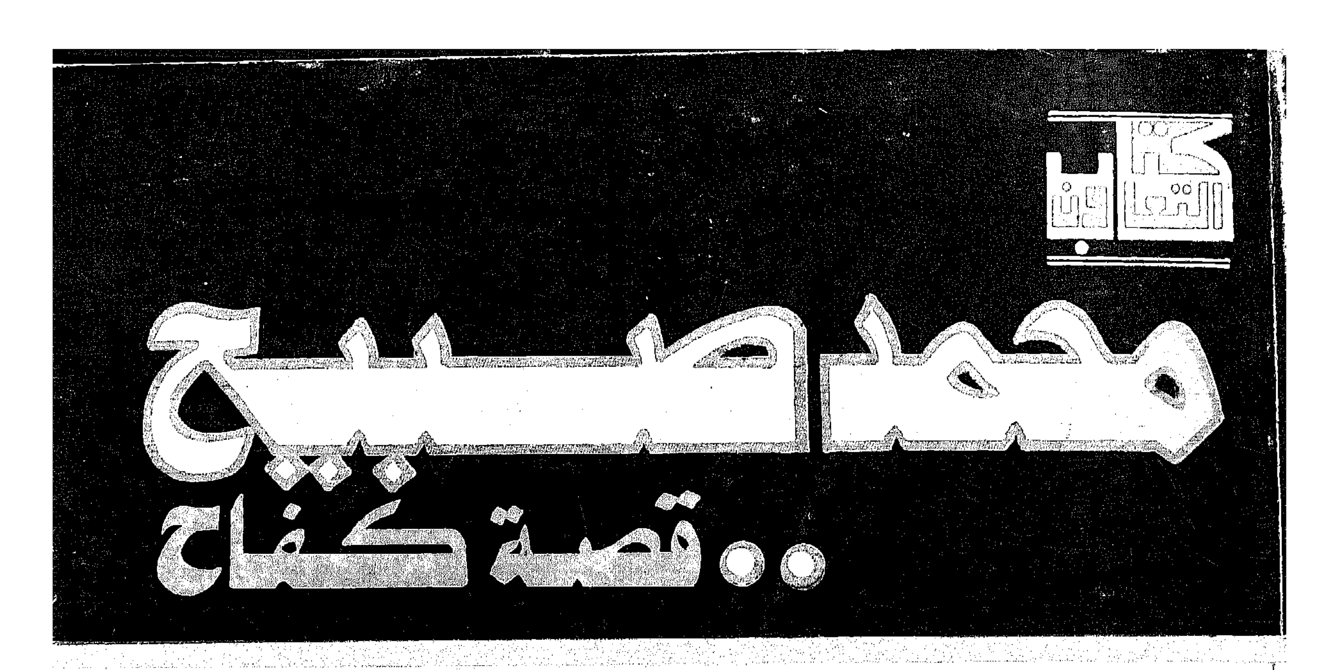
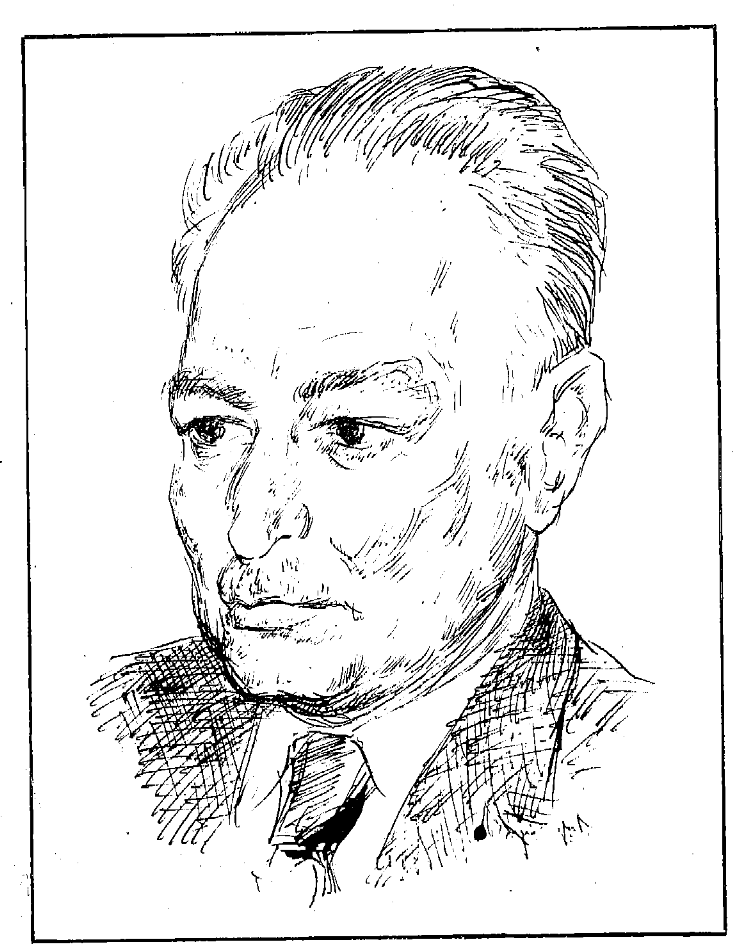
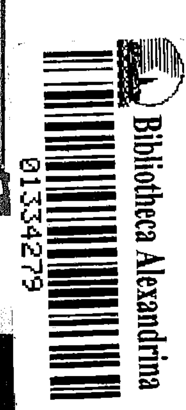


محمد صبيح

.. قصة كفاح





تقديم • محسن محمد



كتاب التعاون

محمد صبيح

قصة كفاح

تقديم الكاتب الكبير

محسن محمد

عبد الحكيم شطا

الغلاف والإخراج الداخلى

طلعت رزق

●

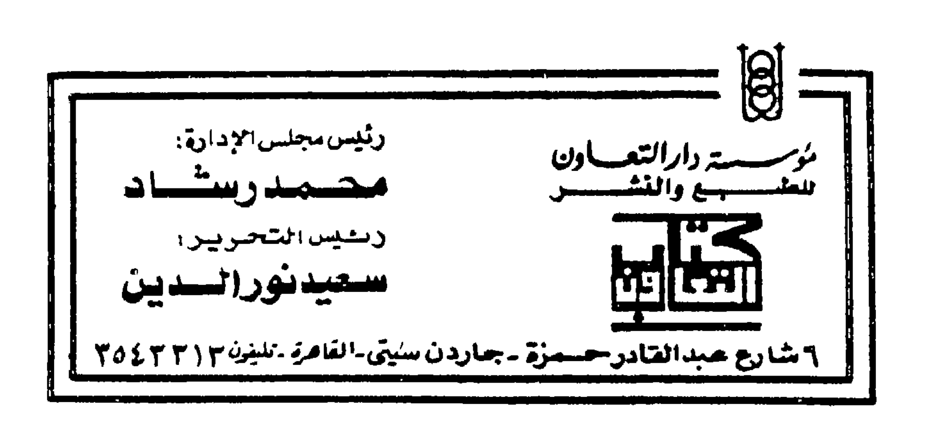
سكرتير التحرير التنفيذى

نزيه عبد الغنى

●

نائب المدير العام للاعلانات

ابراهيم أبو الخير


مؤسسة دار التعاون
للطبع والنشر
كتاب التعاون
رئيس مجلس الإدارة:
محمد رشاد
رئيس التحرير:
سعيد نور الدين
٦ شارع عبد القادر حمزة - جاردن سيتي - القاهرة - تليفون ٣٥٤٢٣٢١٣

إذا كان تاريخ الرجال لايكتب فى حياتهم .. بل
دائما يكتب بعد مماتهم إلا أن الذى لاشك فيه أن
الأستاذ محمد صبيح قد وضع بصماته على الاعلام
المصرى ثم تركها بعد مماته فى كل موقع ...

جلال الدين الحمامصى

عمـــــــلاق

●● بقـــلم
محسن محمد

أعطانى محمد صبيح أول فرصة لأكون رئيسا للتحرير ! .

وجدنى فى فترة من حياتى حائرا بين العمـل فى وكـالة أنبـاء الشرق الأوسط أتابـع أخبار الشئـون العـربية وبـين الكتابـة فى إحدى المجـلات قليلـة الانتشار عن الصحفيين وراء القضبان فأسند إلىّ وكان رئيسا لتحـرير مجلـة التحريـر ، مهمة ادارة التحرير .

وكان يتابع عن بعد ، وعلى مسافة ، ما أقوم به ، يصحـح دون أن يجرح ، ويـراقب دون أن يلـوم ، ويوجه وكأنه المستمع لا الأستاذ .

وفى خـلال تلـك الفتـرة تعلمت كيف تصــدر المجـلات ، وكيف تنبت الأفكـار الجـريئـة ، وكيف يستطيع الصحفى أن يتنبأ بما سيكون عليه العالم يوم صدور المجلة ، أوما يجب أن يتحدث عنه الناس فى ذلك اليوم .

واشهد أنه لولا تلك الأيام ، ما كنت قد استطعت فى يوم من الأيام أن أتـولى رئاســة تحريـر صحيفة يومية ، فيما بعد .

وكان الأستاذ صبيح صانع أكثر من رئيس تحرير وقد عرفت الأستاذ محمد صبيح وهو يتولى الاشراف على الإعلام والدعاية للإصلاح الزراعى ، ولولاه وحده ما كان الإصلاح الزراعى قد جذب اهتمام ملايين الفلاحين .

كون كتيبة من شباب الصحفيين تعشق الإصلاح الزراعى وتؤمن به ، وأطلق لها حرية الكتابة فى عهد الرقابة ، وجعل هؤلاء الصحفيين الشباب ينطلقون فى مناطق الإصلاح الزراعى يتكلمون عن مآسى الفلاح المصرى فى عهد كان فيه الكبار يمتلكون عشرات الألوف من الأفدنة ثم قدم أبناء الفلاحين بعد أن تملك أباؤهم الأراضى ، وكيف زاد انتاج الأرض من المحاصيل الزراعية كل ذلك لا من خلال الأرقام الجامدة بل من خلال القصص الإنسانية عن حياة شعب مصر بعد أن أصبح مالكا لبعض أرضه .

ومن الإصلاح الزراعى أنشأ محمد صبيح صحافة الفلاحين لأول مرة فى مصر .

ولايعرف أحد متى بدأت ، وإلى أى حد انتشرت ، ولكن كان وراءها عملاق اسمه محمد صبيح .

وعندما رغب فى شراء مطبعة لصحف الفلاحين ، اعترض رئيس وزراء مصر فى تلك الأيام ، قال إن فى البلاد مطابع تكفى .. وزيادة .

وأخذ محمد صبيح يحاول إقناع رئيس الوزراء بأن مطابع الصحف قد تطورت فى العالم كله ولابد أن تلاحق مصر هذا التطور ، ولكن رئيس الوزراء أغلق أذنيه وعقله .

وحاول محمد صبيح أن يقابل الرئيس أنور السادات للحصول على موافقته فوقف المتآمرون يمنعونه .

رأى محمد صبيح أن هناك مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز سيعقد فى الجزائر فسافر اليها .

ورأيته هناك يلتقى بأنور السادات داخل قاعة المؤتمر ، بلا سكرتارية ، وبلا متآمرين يقنعه بأن مطابع صحف الفلاحين يجب أن تساير العصر الجديد .

ولقد تعرض محمد صبيح لما لم يتعرض له صحفى مصرى .. أبدا .

بعض الصحفيين يقدمون للمحاكمة ، أو يعتقلون ، أو تصادر أموالهم وممتلكاتهم وصحفهم ويلاحقهم التأميم ، أما محمد صبيح فقد أصدر صحفا تتفق مع سياسة العهد الجديد للفلاحين الذين لهم وللعمال نصف مقاعد البرلمان وكل المجالس المنتخبة ومن هنا رأى خصوم النجاح ، وأعداء التطور أنه لايمكن مصادرة هذه الصحف ، أو تأميمها لأنها مؤممة ، ومن هنا كانت ضرباتهم ضد محمد صبيح نفسه .

يفصلونه مرة ، ويمنعون عنه المرتب مرة أخرى ، ويحولون صحف الفلاحين من مؤسسة إلى أخرى ومن وزارة إلى وزارة لإبعاد محمد صبيح ، وقد تحمل هذا العذاب كله لأنه آمن برسالة لم يتحول عنها .

والعمالقة هم الذين يتلقون الضربات متتابعة ومتلاحقة ، أما الأشخاص العاديون فإن حياتهم تمضى على وتيرة واحدة ، ولا يعانون العذاب ! .



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

•• كلمة المؤلف

•• بقلم

عبد الحكيم شطا

بفضل الله ومن فيض علمه قمت بإعداد السير الذاتية لاثنين من أعلام التعاون .. هما : عمر لطفى مؤسس الحركة التعاونية••ورائدها الدكتور إبراهيم رشاد .

وقد رجوت الله أن يساعدنى على الاستمرار فى إصدار هذه السلسلة عن أعلامنا البارزين .. وأن أوفيهم حقهم .. بعد أن اختفوا عن الأنظار من حياتنا العامة .. دون أن تكون للأجيال الجديدة من الشباب معرفة كاملة بهم وبما قدموه من تضحية بالفكر والجهد والمال لبلادهم .

.. فكتابة سير الزعماء والرواد واجب وطنى حرصت عليه الدول المتقدمة خاصة رواد التعاون .. لأنها فتح للصفحات المغلقة من تاريخ الدولة وتكريم لأبنائها البارزين ، ووسيلة لتعليم شبابها ما ساهم به السابقون فى بناء الوطن .. وبذلك تتصل الحلقات وتتواصل الأجيال .. ولعلاقتى بصاحب السيرة قررت أن يكون كتابى الثالث عنه .. فقد كنت مفتونا بشخصيته .. منبهرا بأسلوبه حديثا وكتابة .. معجبا بعمق

فكره وثاقب نظره .. وبدأت فى التنقيب عن مسيرة حياته فوجدت من الواجب علىَّ ان اكتب الاف الصفحات لان جوانب العظمة والامتياز والتفوق والاخلاص فى شخصيته كثيرة . رغم ما تمتع به من البساطة والتواضع .. فلم اكن أمام شخصية تعاونية فحسب بل كان سياسيا ومجاهدا ومفكرا ومؤرخا وكاتبا ومحققا وصحفيا مرموقا ..!!

.. لذلك قررت أن أتناول كل هذه الجوانب باختصار .. وان أقف على الاحداث الهامة فى تاريخ الوطن متبعا أسلوب التسلسل التاريخى لهذه الاحداث ..

.. واشهد أنى ما تعلمت ممن كتبت عنهم أكثر مما تعلمت من كتبه ابتداء من كتاب الجيب الصغير الى الموسوعة الكبيرة .. ومقالاته التى عبرت عن أحداث مصر على مدى نصف قرن .

.. أرجو أن تكون هذه السطور المتواضعة التى احتواها كتابى هذا تحية متواضعة من تلميذ لأستاذه .. وأن تكون لشبابنا دليل ليتعلموا منه ومن كفاحه وجهاده وصفاته الكثير .

« المؤلف »

شكر وتقدير

يتقدم المؤلف بخالص الشكر والتقدير للأستاذ الكاتب الكبير ، محسن محمد على تقديم هذا الكتاب من واقع صلته العميقة بالمرحوم الأستاذ محمد صبيح .

كما يتقدم بالشكر لكل من ساعده فى جمع المادة التاريخية لصاحب هذه السيرة الذاتية خاصة رفاقه الاساتذة : أحمد أبوالغار. شمس الدين خفاجى . محمد رشاد عبدالله . رائد الصحافة التعاونية من بعده . الاستاذ سعيد نور الدين رئيس التحرير والأستاذين الفنانين : طلعت رزق على إخراج هذا الكتاب وجميل شفيق على لوحة بورتريه للأستاذ الراحل محمد صبيح على غلاف الكتاب .

والاستاذ نزيه عبدالغنى سكرتير التحرير وأبناء صاحب هذه السيرة السيدة سماء صبيح . الاستاذ نور صبيح . السيدة فايزة صبيح وسكرتيرته السيدة فايزة رجب .

وشكرا خاصا لشقيقه الكاتب الصحفى محمد صيفى مستشار مؤسسة دار التعاون الذى قدم كل المعلومات والأسرار والوثائق والصور الموجودة به ، وبذل كل الجهد فى مراجعته وتدقيقه وإخراجه .

عبدالحكيم شطا



الفصل الأول

المولد والنشأة

الفترة الأولى من حياة القادة والرواد من أهم فترات حياتهم ..فيها تتكون الشخصية وتكتمل دائرة الفكر وتتحدد المبادىء والأهداف.

لذا فإن أى كاتب من كتاب السيرة الذاتية يعطى هذه الفترة أهمية خاصة ويستهل بها دراسته .

.. ونستعرض فى هذا الفصل نشأة الرائد التعاونى « محمد صبيح » والمناخ العائلى الذى نبت فى أحضانه ، والمراحل التعليمية التى اجتازها ، والأمل الذى احتواه فكره الصغير يوم ان نشر اسمه بين الناجحين فى الشهادة الابتدائية بجريدة المقطم .

ونعرج إلى القاهرة مع صديق عمره عبد السلام الشريف ليحققا

آمالهما فى الدراسة والعمل وممارسة الكتابة والرسم .. كما نوضح فى هذا الفصل كيف درس الأدب على يد أساطينه ، واحتضان الدكتور طه حسين له من الناحيتين التعليمية والعملية ..

الزمان : صبيحة يوم ٥ ديسمبر سنة ١٩١٠ . أما المكان : فهو منزل صغير فى جنوب مدينة قنا بالصعيد الأعلى لمصر .

ولد « محمد صبيح عبد القادر » – واسم المولود من الأسماء المركبة « محمد صبيح » أما الوالد فهو عبد القادر أفندى مولده وأسرته وقومه بمدينة أسيوط أعلى الصعيد ، ولكنه يقيم فى قنا حيث عمله ومصدر رزقه .

والوالدة التى حملت به هى سيدة محافظة كانت كغيرها من بنات مصر لم تنل أى قسط من التعليم بالمدارس ولكنها كانت تجيد فنون الحياة الأسرية وتحرص على تنشئة أطفالها على المبادىء والقيم الإسلامية .

فرح الأب الموظف البسيط الذى أعيته كثرة التنقل بين محافظات الصعيد عندما رأى وليده يوم ميلاده ولاحظ وجهه يتلألأبالنور ، والبسمة لاتفارق شفتيه الصغيرتين رغم أن عيونه معظم اليوم مقفلة . ولم يصرخ عند نزوله للدنيا أو يبكى طالبا للقوت .. وكأنه قانع راض بقدومه إليها ..

.. ولأنه ذكر – والصعايدة يفضلون البنين على البنات – كانت سعادة الأسرة الصغيرة غامرة ومن حولها جيرانها بواقعة الميلاد هذه .

.. وفى الضحى يذهب الوالد الى مسجد مجاور لمنزله فيتوضأ ويصلى ركعتين تعبيرا عن الشكر لله الذى رزقه بمولود ، ويدعوه أن يبارك فيه ويجعله من علية القوم .. ولم يكن يدرى أنه سيكون أحد

نوابغ عصره فى مجالات متعددة أهمها الصحافة . وأن تكون له عزيمة أقوى من صخور جبال الصعيد التى ولد بين أحضانها .. إلا أنه كان مستبشرا به خيرا كثيرا رغم أن أخاه محمد صفوان قد سبقه إلى الوجود وكان طفل الأسرة الأول ومحل حبها ورعايتها .

.. عاد مسرعا بعد صلاته إلى منزله ليجد النسوة يتحدثن عن جمال الوليد .. فنظر إليه وصاح (أهلا صبوح) والتقطه من يد مولدته يقبله لأول مرة .. ويقرأ بعضا من القرآن الكريم فى أذنه .. لعل الله يجعله صالحا وينبته نباتا حسنا .

•• المناخ العائلى

نشأ محمد صبيح فى جو عائلى تسوده المحبة والوئام .. فأبوه الأسيوطى المنبت والنشأة حرص على تنشئة أولاده على الصدق والمحبة ، وروح المعاونة واحترام الكبير للصغير .

... وكانت الأسرة تعيش ككل الأسر الصعيدية المحافظة - إلا أن الأب كان أكثر سخاء مع أولاده فى إعطاء الحرية لكل منهم فى اختيار المأكل والملبس ونوع التعليم .. وقد ساعد ذلك على تكوين شخصيات قوية تعتمد على نفسها .

وقد اختار لأولاده الذكور الأربعة أسماء مركبة يسبقها محمد فقد رزقه الله بأربعة ذكور يبدأ أسم كل منهم بحرف (ص) وهم على الترتيب :

محمد صفوان ، ومحمد صبيح ، ومحمد صهيب .. ومحمد صيفى كما رزق ببنتين هما سميحه وسعاد أى أن أسماء البنات تبدأ بحرف (س) وكان اقرب الابناء إلى فكره صبيح وسميحة فهما أكثر الذرية مجالسة له ..

أما المستوى المعيشى للأسرة .. فكان من الطبقة المتوسطة التى تحاول تعليم أبنائها لترتفع بهم إلى مستوى الطبقة العليا فى وقت استطاع الاستعمار ومن قبله الأتراك أن يقسموا المجتمع إلى شرائح طبقية لا يجوز لطبقة أن تخترق مجال الأخرى إلا بما تملك من علم ومال .

•• مراحل التعليم الأولى

تحققت امنية الاب يوم ولد (صبيح) ونقل إلى مدينة المنيا بعد عامين من ولادته .. وانتقل واسرته إلى الموطن الجديد المسمى بعروس الصعيد حيث المدنية والحضارة والمدارس الكثيرة والطرق الممهدة والحدائق وغير ذلك من معالم الرقى والتقدم عن بلد المولد .. قنا .

وتمر السنوات سريعة هانئة .. ويخرج صبيح إلى شوارع المنيا وهو فى سن الرابعة ليلتقى بالأطفال يلعب معهم ويتحدث عما سمعه من أبويه عن جمال المدينة وتشابهها الكبير مع العاصمة مصر (القاهرة) التى تعج بالانجليز والخواجات والمتاحف والتماثيل .. ولعب الأطفال .

.. كان الطفل بين رفاقه الأطفال أكثرهم صمتا وتأملا لكل ما تقع عليه عيناه أويراه .. فإذا ما رجع إلى منزله ألح على أبويه ليفسرا له ما يراه فى شوارع المدينة الكبيرة ...

كانت سعادة الأب عندما كان يجلس متحدثا مع طفله يشرح له ما لايعرفه وكأن الاثنين صديقان أحدهما يعرف والثانى يطلب المعرفة فيعطيها إياه فى حنان وتقدير لرغبته المتزايدة فيها .. وكان الأب يستشعر النبوغ المبكر فى ولده الصغير .. فكانت أكثر الأوقات سعادة هى التى يتحدث إليه فيها ويشجع رغبته فى المعرفة .

.. أما الطفل ـ فكانت سعادته عندما يخرج مع الرفاق بشوارع المنيا المحيطة بمنزله ويقف أمام مجرى النيل متأملا حركة الحياة والفلك التى تجرى فيه محملة بالبضائع وبأناس ينشدون الأغانى والمواويل ..

•• الطفل يقرأ القرآن

كان من عادة الوالد أن يصحو مبكرا ويتلو ما تيسر له من أى الذكر الحكيم وما أن كان الطفل يسمع والده يقرأ القرآن الكريم .. حتى يهب مسرعا من فراشه ليغسل وجهه على عجل ويجلس بجانبه ليسمع منه كلاما

جميلا جذابا ليس منه الكثير فى اللهجة التى يتحدث الناس بها فى صعيدهم .

ومرة تلو الأخرى .. تعلق عقل الطفل بحلو الكلام .. كلام الله .. وينتظر حتى يعود الوالد من عمله فيجرى مسرعا ليحضر له المصحف ليسمعه ما شاء الله أن يسمعه ..

.. ولما توسم الأب شغف وليده بالقرآن الكريم بدأ يحفظه قصار السور والآيات .. وما كان أسرعه فى حفظها .. فألحقه بالكُتّاب وهو فى سن الرابعة أو يزيد قليلا .. وكم كانت سعادة الطفل عندما تشرق الشمس وينتظر فى المنزل يقرأ القرآن الكريم ويقلب صفحات المصحف حتى يأتى موعد « الكتّاب » فيلتقى بالشيخ وبالرفاق - يقرأون ويُسمّعون للشيخ حتى بعد فترة الظهيرة .. وينتهى اليوم التعليمى قبل العصر بقليل ليعود إلى منزله يسمع أبويه ما حفظه من كتاب الله .

●● جريدة الأهرام على السلم

بلغ صبيح الخامسة من عمره .. وكانت جريدة الأهرام هى الجريدة المفضلة لدى الأسرة رغم وجود جرائد أخرى مثل المقطم وغيرها .. وفى كل صباح ينتظر الإبن أن يعطيه والده خمسة مليمات يشترى بها جريدة الأهرام ليأخذها معه أثناء ذهابه إلى العمل كرجل مثقف .. إذ كان المثقفون فى ذلك الزمان قليلين ..

وقبل أن يصعد بالجريدة إلى مسكن الأسرة فى الدور الثانى يجلس على السلم ويقرأ منها ما يشاء أن يقرأ .. فالحياة لم تدب بعد فى المدينة النائمة ..

ويقول عن هذه الفترة من حياته : (١)

(١) - مذكرات شخصية - مجلة الهلال - فبراير ١٩٨٣ .

(.. فى بيتنا لم نكن نشترى « المقطم » ولكن أبى كان يعطينى خمسة مليمات لأشترى « الأهرام » وكنت أثابر على شراء الجريدة لأن هناك ما يعنينى فيها .. ففى الصفحة الأخيرة يوجد إعلان على عمود كما كان يسمى وقتها « مرهم كبابة » وكنت أقرأ الكلمة « كباية » أى كوب ماء .. ثم استقامت قراءتى .. وفهمت فيما بعد أن هذا الإعلان اليومى كان أجره يحدد بنسبة توزيع الجريدة وكذلك إعلان آخر كان ينشر فى الجريدة - أعنى الأهرام - بهذه الصفة المستديمة وهو « ششم الديك جالين » والششم نوع من المسحوق الأبيض يوضع فى العين المصابة بالرمد فيشفيها بإذن الله .

وكنت أسرع إلى سلالم منزلنا وأجلس على إحدى درجاته وأقرأ ، وذلك لأنى إذا دخلت المنزل بالجريدة تناولها الكبار أولا ..)

... وهكذا بدأ صبيح الطفل يقرأ الكلمات ويحاول تفسير معناها فإن لم يستطع طلب ذلك من الأكبر منه سنا فى رقة واستعطاف .

.. وقد لاحظ الجميع حبه للاطلاع وشرود فكره فيما يقال له من معلومات وأسئلته الكثيرة عن أشياء لا يعرفها .. إذ كانت هذه الاسئلة تفوق تفكير الأطفال فى سنه ، واهتماماته تختلف عن اهتمامات الأطفال الآخرين .

●● دراسته الابتدائية

لما بلغ صبيح السابعة من عمره - ألحقه والده بمدرسة المساعى المشكورة الابتدائية بالمنيا - ولأول مرة يلبس الطربوش والبنطلون « الشورت » « والكرافته » الزرقاء .. وشعر بأنه أصبح طالبا بحق فهو يتعلم الإنجليزية ويخاطب زملاءه بها .. ويقرأ الأدب الانجليزى فى شوق وتأمل وإنه لمعرفته لهذه اللغة أصبح أكثر قربا من عادات الإنجليز وأسلوب معيشتهم وتفكيرهم .. وهو أيضا يتكلم العربية

بطلاقة ويعرف من النحو والصرف ما لم يكن يعرفه من قبل ، هذا بالاضافة إلى مسيرة التاريخ الوطنى والأجنبى ، والسير الذاتية للساسة والقواد وغيرهم ممن قادوا بلادهم إلى طريق النصر العسكرى والتقدم الاقتصادى والاجتماعى .

كون صبيح مجموعة من الأصدقاء فى مدرسة المساعى المشكورة الابتدائية ظلوا على صداقتهم معه إلى نهاية العمر أمثال الفنان عبدالسلام الشريف وغيره من الأصدقاء .

كانوا يلتفون حوله ويسعون لمصاحبته .. فحديثه عذب . وهدوءه محبب إلى الكبار .. وهو يقول كلاما فى الدين والسياسة يصعب على أحدهم أن يأتى بمثله .

●● جريدة المقطم تنشر أسماء الناجحين

●● إنتهت المرحلة الابتدائية وحصل على أول شهادة عامة ورسمية عام ١٩٢٤م وكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى حياته إذ انتابه شعور غريب .. وزادت ثقته بنفسه ..

يتذكر ذلك اليوم فيقول : (١)

(.. لا ازال اذكرها ـ أعنى سنة ١٩٢٤ ـ عندما نجحت فى الابتدائية ونشر اسمى فى جريدة المقطم .. داخلنى إحساس فى ذلك الوقت كأنى : العقاد أو هيكل ـ يقصد حسين هيكل .. إذ يكفى أن تكبر حروف اسمى عما نشر فى المقطم وتتم الترقية إلى كاتب كبير ..)

وبهذه الكلمات عبر عن أمنيته فى أن يكون كاتبا ومؤرخا ونجما لامعا فى عالم الأدب والصحافة .. إذ يكفى أن تكبر حروف اسمه عما

---

(١) المرجع السابق

جاءت بجريدة المقطم بين أسماء الناجحين فى الابتدائية ليكون كالعقاد وهيكل وغيرهم من كبار الكتاب وأرباب القلم ..

●● دراسته الثانوية

إلتحق صبيح عام ١٩٢٥ بمدرسة المساعى المشكورة الثانوية ثم نقل والده إلى الفيوم .. ثم إلى بنى سويف واستقر أخيرا بمدينة المنيا ثانية ..

.. كل ذلك خلال مرحلة التعليم الثانوى .. وعاد من جديد يوطد عرى صداقاته القديمة بمدينة المنيا ..

ورغم تنقلات والده الكثيرة إلا أنه لم يكن يحس بضيق وهو يذهب إلى مدينة جديدة ينقل إليها والده ..

يستكمل صبيح ذكرياته فيقول : (١)

(.. كم كان يعانى الموظف الصغير من هذه التنقلات ولكن لا احس بضيق وأنا أذهب إلى مدينة جديدة أو مدرسة جديدة . فقد شاهدت معالم لم أحلم بمشاهدتها . إذا استثنينا أسيوط التى منها أسرتى .. وقنا التى ولدت فيها كما تقول بطاقتى الشخصية فإنى أحتفظ فى ذاكرتى بمعالم الصعيد الأوسط والأقصى حتى الآن ..)

.. ومع عودته لمدينة المنيا مرة أخرى كانت فرحته غامرة لاستئناف صداقته لأقرب الرفاق إلى قلبه .. عبدالسلام الشريف .. وكان الشريف بالنسبة له الصديق المختار .. والرفيق فى كل طريق .. وظل كذلك إلى أن فرق الموت بينهما .

---

(١) - المرجع السابق

•• بستان الفكر

فى مرحلة تعليمه الثانوى .. تفتحت مواهب صبيح ، وأخذ بستان فكره فى النمو .. فهو يكتب الشعر والقصة .. ويعطيها لصديقه يقرأها وماكان من الأخير إلى أن يعيدها له مزودة برسوم جميلة .. والجدير بالذكر أن صديقه لم يكن يختلف معه فى المسائل الأدبية .. بل كان ينظر إليه كفنان يطوع القلم فى يده ليكتب كلاما عذبا حلوا تفوح منه رائحة آمال الشباب وأحلامهم !!

.. وكان صبيح ينظر إلى الشريف على أنه موهـوب فى الرسم وأنه سيكون يوما ما فنانا مشهورا .. وكان كلاهما يكره لغـة الأرقام ويعشق الكلمة المكتوبة والصورة المعبرة !

•• يسقط الحساب

كان صبيح يحب العلوم النظرية وخاصة التاريخ والجغرافيا إلى جانب حبه الكبير للغتنا العربية الجميلة ، وتغنى بشعر الشعراء العرب ، وشعراء المهجر وكره فى دراسته العلوم الرياضية كالحساب والجبر والرياضة والفيزياء والكيمياء وقد كتب مقالا بجريدة التعاون عنوانه « يسقط الحساب » قال فيه مداعبا : لا أحسب بيتا فى مصر به أولاد وبنات إلا وهم يذهبون إلى المدارس .. مدارس المرحلة الأولى . وأعتقد أنهم يرددون معى : يسقط الحساب .. فقد قلتها أنا منذ ستين سنة أو نحوها ، ولم تزد درجاتى فيه على ٤ من عشرين طوال الدراسة الابتدائية .. وربما الكفاءة .. وربما البكالوريا فلست أذكر الان هذا الشبح الرهيب الذى كان يطاردنى يقظا ونائما ، والذى أخذت من أجله عشرات « العلق » عسى أن يتبقى فى ذهنى منه شىء ، اللهم إلا هذه المعجزة التى حدثت ، فبدلا من أن أرسل ورقة الامتحان خالية .. أخذت كل سؤال واستخرجت منه أرقاما أضربها وأطرحها وأقسمها ،

وأنا لاأدرى ماذا إلا أننى أتصبب عرقا .. وكانت المعجزة ، فقد أخذت النمرة النهائية .

•• أمينا بدار الكتب

فكر صبيح فى أن يعمل فى وظيفة تتناسب مع ميوله .. هى أمين بدار الكتب .. ومن الجدير بالذكر أنه كان لكل مديرية من مديريات القطر مكتبة تسمى (مكتبة البلدية) تضم أعظم المؤلفات والمراجع العلمية .

.. وشجعه على العمل فى هذه الوظيفة رفيق عمره عبدالسلام الشريف الذى سبقه للعمل بها ..

ولم يمكث صبيح أكثر من اربعة عشر شهرا فى وظيفته الجديدة رغم أنها كانت وسيلة لإشباع رغبته فى الاطلاع والبحث .. إلا أنه كان يرى أنها وظيفة متواضعة .. فطموحاته كانت أكبر من تلك الوظيفة بكثير !!

.. وتطابقت أفكاره مع صديقه عبدالسلام الشريف هذا الذى مل هو الآخر العمل فى هذه الوظيفة .. وتدارسا فكرة الهرب إلى القاهرة لاستكمال تعليمهما .. فهما ليسا بأقل من الذين يحصلون على تلك المؤهلات التى تفتح لهما الأبواب الموصدة .. وكانت الشهادة العالية بالنسبة لكليهما أملا يحقق رغبتهما فى التعلم وترتفع بصاحبها الى مصاف المتعلمين لا أنصاف المتعلمين .

.. وقد تأكد لهما أنهما .. إذا طلبا من والديهما السفر إلى القاهرة للتعليم فإن طلبهما سيرفض لأسباب غير مادية .. فقد كانت المقاومة ضد الاستعمار على أشدها فى العاصمة .

الفصل الثانى

فى سبيل العلم

عندما اتفق كلا الصديقين على ضرورة استكمال تعليمهما لتحقيق آمالهما العريضة .. استعدا للهرب إلى القاهرة للالتحاق بالمدارس العالية .. كان ذلك فى الربع الأخير من عام ١٩٣٠ ، وفى صباح يوم متفق عليه استقلا قطار القاهرة يحدوهما الأمل فى توفيق الله لهما .. وكلفا صديقا لهما بأن يخبر أسرتيهما بعزمهما بعد أن يستقلا القطار .

يصف صبيح واقعة الهرب هذه فى مذكراته فيقول :

« .. لم يعجبنا أنا وهو أن نظل هكذا فى المنيا بلا تعليم عال وحزمنا أمرنا وأحصينا ما معنا من نقود – فكان معى ١٥٠ قرشا ومع

الشريف سبعة جنيهات ونصف أودعها فى جوربه ولبس عليها حذاء .. وفى غفلة من أهلنا عقلناها وتوكلنا إلى القاهرة .. وكنت رأيت القاهرة مرة قبل ذلك عندما كان على باشا ماهر وزيرا للمعارف وقرر عمل رحلات داخلية لطلبة الثانوية فى جميع المدارس » .

.. وعندما وصلا إلى القاهرة أخذا فى البحث عن مكان يأويهما واستقر رأيهما ألا ينزلا ضيوفا على أحد من أقاربهما رغم أن عبدالسلام الشريف كان يعرف الكثير من المنياويين المقيمين بالقاهرة .. وفضلا النزول باللوكاندات الرخيصة فى شارع كلوت بك .. ولكنهما سرعان ما فكرا فى هجرها .. والبحث عن شقة يكون إيجارها متواضعا .. وانتهى بهما المطاف إلى استئجار شقة بمبلغ ٧٥ قرشا شهريا .. وبعد أيام بدا عليهما القلق ، وجدًّا فى البحث عن أسلوب يحقق آمالهما فى التعليم فصبيح يريد أن يدخل الجامعة والشريف يريد الالتحاق بكلية الفنون .. وكلاهما يريد عملا يعيش منه مادام قد اتخذا هذا الطريق دون رغبة أهليهما .

● ● عميد الأدب يوافق على التحاقه بالكلية

ذهب محمد صبيح عبدالقادر إلى كلية الآداب التى لم يكن يعرف أحدا بها سوى الدكتور طه حسين .. ولما سأل الطلبة عنه أخبروه أنه هو العميد وأن حجرته فى آخر الممر الواقفين على أوله .

استجمع الشاب قوته وتمتم بآيات قرآنية بسيطة وطرق باب العميد .. ولما لم يجب أحد دخل مندفعا حتى وقف أمام عميد الأدب وكان بينهما الحديث التالى :

– أنا جئتك بغير معرفة ولاتوصية لكى تعاوننى على الالتحاق بهذه الكلية ..

– إجلس .. من أى بلد أنت ؟
– من المنيا .
– وما يدرينى أن كلامك صحيح ؟
– لاأعرف كيف أثبت لك ذلك !

وأخذ الدكتور طه حسين يسأله عن أسماء أفراد وأسر وشوارع فى المدينة فأجاب صبيح فى هدوء وثقة .. وأعرب له أن أمله أن يلتحق بهذه الكلية ، وأنه سيجد عملا يتعيش منه بعد أن ترك وظيفته حبا فى العلم .. تمتم الدكتور طه ثم قال :

– إذن أنت من هناك .. وأنك طموح .. حسنا سأدخلك كلية الآداب بشرط أن تطلب الالتحاق بقسم اللغة العربية .
– لاأريد الالتحاق فقط .. بل ولكن أريده مجانا .
– ولك هذا .
– شكرا .

.. انتهى اللقاء بالعميد وكان له ما أراد . قبول بالكلية ومجانية .. وذهب إلى شقته فى غبطة وسرور لم يعرفهما فى حياته ليجد رفيق العمر عبد السلام الشريف قد نجح فى امتحان الرسم وقبل هو الآخر فى كلية الفنون .. وتحققت أولى الأمانى لهما .. ومر اليوم فى سعادة لم يتذوقاها من قبل .

•• تعلم الأدب من أساطين الفكر

إلتحق صبيح بكلية الآداب تملأه الرغبة والمقدرة على أن ينهل من العلم ما يستطيع ليكون مثل العقاد وهيكل كما تمنى يوم أن نجح فى الشهادة الابتدائية ..ويصبح كاتبا كبيرا يكتب اسمه فى الجرائد والمجلات بأحرف أكبر من تلك التى كتب اسمه بها فى جريدة المقطم عند نجاحه فى الشهادة الابتدائية .

وكان الفصل الذى يدرس به ، لا يزيد على خمسة طلاب لأن ضخامة الأسماء التى تحاضر لهذا القسم جعلت الشباب يهربون منه .. وإن كان يتغيب عن بعض المحاضرات لظروف عمله الذى يتعيش منه .

أما المواد التى كان يدرسها .. فقد كانت تتفق تماما مع رغبته وميوله ـ لذلك أقبل عليها يحدوه الأمل والرجاء فى أن يكون من كبار الكتاب يقرأ الناس له كل صباح وكأنه يجالسهم وهم يستمعون إليه !!

وقد درس صبيح الأدب على أيدى أساطين الأدب فى مصر أمثال الدكاترة :

طه حسين ، أحمد أمين ، أمين الخولى ، عبد الوهاب عزام ، مصطفى عبد الرازق ، شفيق غربال ، منصور فهمى ، إبراهيم مصطفى وغيرهم .. من رواد الفكر العربى الحديث .. وكان لهؤلاء جميعا أثرهم فى تكوين شخصيته الأدبية والتاريخية والصحفية بعد ذلك .

ويشهد صبيح بأن هذه الفترة من تعليمه كانت مكونة لشخصيته الفكرية كما كانت هذه الفترة فرصة طيبة للتعرف على شخصيات مصرية وعربية كان لها شأن كبير فى مجتمعاتها .

•• جريدة كوكب الشرق

تحققت واحدة من أمانى صبيح وهى دخول الجامعة وبالمجان بمساعدة عميد الأدب العربى .

أما أمنيته الثانية .. فهى العمل ، وليس أى عمل .. بل عمل يشبع رغبته الأدبية ويكون مصدر رزق ينفق منه على دراسته ومعيشته .

.. طرق أبوابا كثيرة يطلب العمل .. وإن كان كل ما طرق من أبواب كانت صحفية .. فالصحافة تتواءم مع ميوله وتشبع رغبته فى التعبير عن

رأيه .. لذا فهو مصمم على العمل بالصحافة منذ أن قرأ اسمه بين أسماء الناجحين فى الابتدائية بجريدة المقطم .. ويومها سأل نفسه .. لماذا لا يكون كاتبا لامعا .. يقرأ الناس له كل صباح ؟ فهو قادر على الكتابة .. وإن كان مستوى فكره أقل بقليل من هؤلاء العمالقة .

.. قابل أستاذه العميد وأخبره بأنه كثيرا ما بحث عن عمل صحفى فلم يجد لأنه أيضا ليس عنده (وساطة) فشعر العميد أن عليه أن يستمر فى مساعداته له .. خاصة وأنه لمس فيه روح الطموح وسعة الاطلاع وجرأة الحديث ..

.. كان الدكتور وقتها يرأس تحرير جريدة كوكب الشرق ولكن إدارة التحرير تدار بمعرفة أصحابها .. قدمه لهم فى ١٩٣١ على مسئوليته .. وكتب مرتين فيها . بعدها اكتشف أصحاب الجريدة أنه وفدى ـ وعيب أن يكتب وفدى فى جريدة غير وفدية ـ فقرروا فصله .

.. أبلغ أستاذه بقرار الفصل فتشفع له لدى أصحاب الجريدة مرة أخرى لإعادته للعمل .. متحملا مسئولية تصرفاته .

.. وفعلا قرروا إعادته .. وأيضا تحديد راتبه بأربعة جنيهات شهرية .. وكان هذا المبلغ كبيرا فى أوائل الثلاثينات !!

•• أول درس فى الصحافة

وفى دفء تجربته الصحفية بجريدة كوكب الشرق كانت الموهبة الجديدة تتفتح لتجد مكانها فى عالم الشهرة والنجاح .

.. عن أول درس فى الصحافة يقول محمد صبيح فى مقال بعنوان مذكرات شخصية : (١) .

---

(١) ـ مجلة الهلال ـ فبراير ١٩٨٣ .

« .. وأما أعظم درس سياسى تعلمته فمن المرحوم الدكتور أحمد ماهر إذ رأس تحرير كوكب الشرق ودخلت عليه أقدم نفسى فرن التليفون وكان النحاس باشا هو المتحدث طالبا من الدكتور ماهر فصل شاب من الجريدة إسمه محمد صبيح لانه من (العيال) بتوع القرش فإذا الدكتور ماهر يصيح فى النحاس باشا .. انت تقول هذا يا باشا .. هل هذه هى الديمقراطية التى عاهدنا عليها البلد ، إنه يؤدى عمله جيدا وله رأى سياسى كما يريد . واضطررت إلى أن أنصرف فنادانى الدكتور ماهر وسألنى عن مرتبى وأعطانى علاوة جنيهين .. فحمدت الله ومازلت أحمده ! »

واصل صبيح الصعود بين محررى الجريدة .. إلى أن كتب وبتوقيعه مقال الصحفة الأولى .. فذاع صيته فى بلاط صاحبة الجلالة وأصبح من مشاهير الكتاب .. كان عليه أن يبحث عن جريدة أخرى تفسح له فرصة التعبير عن رأيه للشريحة التى يكتب لها من أبناء الشعب .. وهم الكثرة الغالبة .

•• الدرجة العلمية

حصل على ليسانس الآداب فى اللغة العربية من جامعة فؤاد الأول (القاهرة) لسنة ١٩٣٤م .. وتحققت أحلامه فى استكمال تعليمه .. بل إن التوفيق كان حليفه .. ففى الوقت الذى أنهى فيه دراسته كان أحد المناضلين من أجل الوطن وصاحب قلم ينطلق نضالا وجهادا وتضحية .. وكان له شأن فى الصحافة طوال مدة دراسته حتى أصبح نجما من نجومها .

•• كل منا فى طريق

خرج من المرحلة الجامعية بصداقات متعددة سواء أكانوا أصدقاءه أم أصدقاء رفيق عمره فى كل شىء حتى فى المسكن .. عبد السلام الشريف .

.. وعن حياة الشباب الجامعى والمرح والتأمل والاستعداد لعمل يفيد بلادهم بعد التخرج من الجامعة .. قال صبيح (١) .

« كان عبدالسلام الشريف يتعلم فى كلية الفنون الجميلة وكان صديقا للمجموعة المشهورة : عبدالسلام الشريف ـ حسين بيكار ـ رشاد منسى وغيرهم .. وعلى الرغم من أنى تعلمت فى كلية الآداب إلا أن المجموعة الفنية المذكورة جذبتنى إليها وسار كل منا فى طريق .. ولكن كان أحسن لقاء لنا فى منطقة دهشور وفى ظلال هرم سقارة » ..

إشتغل عبدالسلام الشريف فى هذه المنطقة خبير آثار بها وكانت له استراحة تطل على الوادى من فوق هضبة هذه السلسلة من الأهرامات .. وكان عنده تليفون فإذا دققنا عليه التليفون وقلنا : نحن حاضرون .. أجاب : أحضروا معكم أكلكم ولا تنسوا اللحمة والخضار ولا بأس من دجاجات سمان وأنا وعبده فراش الاستراحة علينا النار نشعلها والأطباق نعدها .

وإذا عدنا الى الوراء قليلا لعرفنا الأسباب التى فجرت وطنية صبيح فى المرحلة الأولى من حياته .. ذلك لأن اهتمامه بالأدب وبالصحافة وتطلعه إلى أن يكون كاتبا مثل هيكل والعقاد هو كل ما كان يشغل فكره .

وإن كانت الأحداث الوطنية وتأثر البعض بها تأثرا عميقا هى سبب ظهور القادة والوطنيين .. فهذه الأحداث تفجر الروح الوطنية فى الرجال الذين تتأصل فيهم نزعة الحق والعدل وهذا ما حدث فعلا فى مصر عندما ظهر محمد فريد وسعد زغلول .

ونجد فى كتابات صبيح ما يدلنا على أسباب اتجاهه نحو الجهاد فى سبيل الوطن .

---

(١) ـ جريدة التعاون ـ ١٩٨٣/١/٢٥ .

يقول فى مقالة بعنوان مذكرات شخصية عن جريدة الأهرام :
(١)

(.. وكانت الجريدة أربع صفحات : قصيدة لشوقى أو لحافظ وكنت أترنح لها طربا وأحفظ بعض أبياتها .. ولم يكن يعنينى فى الجريدة أخبارها ..

الا أن حادثين تصدرا الصفحات الأولى لجريدة الأهرام لفت نظرى عنواناهما :

الأول : كان إطلاق الرصاص على زعيم الأمة ورئيس الوزراء سعد زغلول فجلست مكانى على السلم أقرأ الخبر ، ودخلت البيت محزون الفؤاد ووجهى مبللا بالدموع ، ووقتها كثر البكاء على سعد فى منزلنا .. ولم تجف دموعنا إلا فى اليوم التالى عندما قرأنا أن سعداً قد نجا من الموت !!

الثاني : قفز علينا نبأ محزن كأنه الصاعقة هو موت سعد زغلول وكان البكاء عليه جماعيا فى منزلنا وفى كل المنازل وأنشد الشاعر اللبناني بشارة الخورى قصيدة ينعى بها سعدا تردد صداها فى كل المنتديات وخرج صبيح بفكرة لزملائه هى أن ينضموا إلى جمعية القرش لإخراج الإنجليز من مصر .. وكان المشروع قد أخذ يغيب تحت غبار النسيان بعد خمس عشرة سنة من قيامه .

.. إذا كان الحادثان قد فجرا لدى صبيح الروح الوطنية وشغلا فكره بحب مصر .. فإن ذلك كان سببا فى تعلمه أساليب الكفاح الوطنى ..

.. وقد سعى جاهدا إلى أن يتعلم تلك الأساليب من أبرز مجاهدى عصره وهما عزيز المصرى وعبد العزيز الثعالبى .. والاخير زعيم قادة تونس إلى التحرير من أيدى مغتصبيها :

---

(١) مرجع سابق .

يقول ذلك فى كتابه : (١)

« وإذا كان مؤلف هذا الكتاب يدين لاثنين بالفضل فى توجيهه الوطنى والثقافى ، فأحدهما عزيز المصرى . أما الثانى فهو الزعيم التونسى عبد العزيز الثعالبى ، رحمهما الله رحمة واسعة . فقد كانا من أعز الرجال ، وأطهر القادة والزعماء .. »

---

(١) بطل لن ننساه ـ عزيزى المصرى .



الفصل الثالث

مشـــروع القـــرش

كان الطربوش شعارا وطنيا للمصريين وكان يشترى من خارج البلاد ..فقامت مجموعة من الشباب بالدعوة الى تصنيعه فى مصر لأن ذلك عيب فى حق المصريين ..

وكان على رأس الداعين لهذه الفكرة مجموعة من الشباب يتقدمهم أحمد حسين وحافظ محمود وفتحى رضوان ..كان ذلك عام ١٩٣٠ .

وتقوم فكرة المشروع على مساهمة كل مصرى بقروش قليلة لإنشاء مصنع لإنتاج الطرابيش ..

ولم تكن الفكرة تهدف لإنشاء هذا المصنع بعينه .. بل بتكرار

المحاولة لتقام مصانع أخرى غير مصنع الطـرابيش .. وفى هذا يقـول الدكتور على الرجال (١) :

.. عندما أرادوا إحياء الصناعة المصرية .. والتى ترتب عليها بعد ذلك نشاط طلعت حرب فى إنشاء الصناعات الوطنية فى المحلة الكبرى وكفر الدوار .. كل ذلك كان وليد أفكار قادة مصر الفتاة .

.. إلا أن دعوة أحمد حسين ورفاقه لم تصادف نجاحا لاختلاف رأى الأحزاب حولها خاصة من يتولى منهم جمع الأموال .

وبعـد سنوات قـلائل حـاول أحمد حســين إحياء فكـرة المشروع لضرورته .. وانتهوا إلى أنها لن تنجح إلا بجهود الشباب خاصة وأن حزب الوفد يهاجم مشروعهم ..

.. فى أثناء الدعوة إلى المشروع تقابل أحمد حسين مع محمد صبيح فأقنعه بضرورة اتحاد الشباب وتبنيهم لمشروع القرش قبل أن يذهب فى طى النسيان واعتباره مشروعهم لامشروعا حزبيا وأن نجاحه يتوقف على إيمانهم بالفكرة .

واقتنع صبيح بالرجل ودعوته . كما أن أحمد حسين وجد حماسا من صبيح وأفكارا لم تطرح من قبل تساعد على نجاح المشروع .. فتواعدا على اللقاء للتخطيط والبدء فى التنفيذ .

.. ولما وجد صبيح أن حزبه الذى ينتمى إليه وهو (الوفد) وقت أن كان فى بلده المنيا .. قرر أن يتحول عنه لمهاجمته للمشروع .

●● جمعية القرش

بدأ المشروع يأخذ طريقه إلى النور وسط العديد من الصعاب .. أهمها المعارضة بين إسماعيل صدقى ومصطفى النحاس زعيم الوفد .. فالأخير لم يطمئن إلى نوايا الشباب ومشروعهم الاقتصادى ،

---

(١) حديث مع المؤلف ..

ووصف العملية كلها بأنها مؤامرة من إسماعيل صدقى يراد بها سحب الشباب من حزب الوفد إلى حزبه .

وقد خشى الشباب من أن يهدم مشروعهم بهذه الدعاية التى ليس لها أساس من الصحة .. واستقر رأى بعضهم على الاستقالة من حزب الوفد وتأسيس جمعية تعمل بالسياسة مباشرة ولها أهداف محددة هى إحياء الصناعات الوطنية .. واتخذوا من اسم مشروعهم اسما لها .. وكانت جمعية القرش .

شارك صبيح بقوة فى تأسيس الجمعية وكلف بعضا من زملائه المقربين بعمل الدعاية للمشروع .. وكتابة المقالات التى كانوا يجاهدون لنشرها فى الصحف المختلفة وكثيرا ما كانت معاناتهم .

وحتى تكتسب الجمعية الوليدة قوة شعبية قام صبيح بزيارة لأمير الشعراء أحمد شوقى وطلب منه أن يكتب قصيدة يوضح فيها غاية المشروع ويحث المواطنين على الاشتراك فيه .

.. وكتب شوقى واحدة من أعظم قصائده . وكان لها أثر كبير فى التفاف الشباب حول مشروعهم وجمعيتهم الوطنية .

●● مقرر اللجنة الوطنية للقرش

أخذ المشروع شكل الجمعية الوطنية . وكان لابد من وجود هيئة للتخطيط والإشراف على تنفيذ المشروع فشكلت الجمعية لجنة وطنية لذلك كان رئيسها أحمد حسين ، ومقررها محمد صبيح .

وعقب الإعلان عن قيام اللجنة الوطنية أخذ الانجليز فى محاربة كل القائمين على المشروع والتصدى للنيل من مشروعهم .. الا أن إرادة التحدى قد حولت الفكرة إلى واقع . وبدأ المشروع يأخذ شكل حركة وطنية لجمع التبرع بالقرش من المواطنين .

.. وكان موقف الانجليز من جماعة القرش سببا وراء قيام صبيح بإعلانه الحرب على المستعمر الانجليزى من خلال مقالاته التى كان يكتبها فى جريدتى السياسة والمقطم .

●● طلبة المدارس والجامعات يجمعون القروش

استطاع صبيح أن يجند طلاب الجامعة وكان فى السنة الثانية بكلية الآداب وأتيحت له الفرصة بأن يلتقى بهم فى أى وقت داخل أسوار الجامعة ودعوتهم إلى الانضواء تحت لواء الجمعية .

وبدأ الشباب الثائر يجمع الأموال للمشروع .. ومن طلبة الجامعة إلى تلاميذ المدارس فقد أخذهم الحماس أيضا وتصدوا لجمع التبرعات من ذويهم وجيرانهم إلى جانب دعايتهم للمشروع .

.. وهنا كان دور صبيح التنسيق وتنظيم انسياب التبرعات وإحكام جمعها وتسليمها للجمعية .

●● إقبال الجماهير على التبرع

بلغت حصيلة المشروع فى العام الأول مبلغا كبيرا ، أضيفت إليه مبالغ كبيرة فى العامين الثانى والثالث .. وذلك بفضل الدعاية المكثفة للمشروع والتى كان يتولاها صبيح .. وأقبلت الجماهير تتبرع للمشروع الوطنى الكبير ، وتجاوبت الأمة بأسرها مع مجموعة الشباب وأدركت الهدف الوطنى للمشروع .. وأصبح الكل ينادى للتبرع بالقرش من أجل مصر !!

●● ولى العهد يتبرع بخمسة قروش كاملة

يحدثنا محمد صبيح فيقول : (١)

(.. وفى همة ونشاط جمعنا نحوا من ثلاثين ألف جنيه ، وكان أغرب مساهمة هى التى قام بها الامير محمد على ولى العهد إذ دفع

---

(١) مقال فى مجلة الهلال ـ نوفمبر ١٩٨٣

للمجموعة التى ذهبت إليه برئاسة الطالب الدكتور نورالدين طراف خمسة قروش . وخرجت لجنة الطلبة لتضع على منضدة البهو قروش الأمير وخمسة قروش من عندها ..)

●● انزعاج المستعمر

عندما رأى المستعمر الإقبال الجماهيرى منقطع النظير على تبرع المواطنين بالقرش لمشروع الشباب .. أصابه الذعر وقام بتسليط أبواقه وأعوانه لتشويه حركة الشباب .. فهو لم يستعمر مصر لاتخاذها قاعدة لجيوشه بل لتكون أسواقا واسعة لمنتجاته .. لذلك حارب كل من دعا إلى صناعة ابتداء من طلعت حرب ومحمد السيد ياسين وانتهاء بمشروع القرش ومجموعة شباب الجامعة الثائرين ..

●● إرادة التحدى !!

لأول مرة منذ احتلال الانجليز للبلاد يتحول الحلم إلى حقيقة ، واقامت اللجنة الوطنية للقرش مشروعها (مصنع الطرابيش وغزل الصوف) وافتتح وسط مظاهرة وطنية رائعة طافت شوارع القاهرة تندد بالاستعمار ، وتدعو إلى انشاء الصناعات الوطنية ، وعودة الثقة بالنفس والمهارة والخبرة المصرية .

ومازال مبنى المشروع قائما حتى اليوم فى شارع برج الظفر بحى العباسية بمدينة القاهرة .

●● جريدة السياسة

بعد أن زادت شهرة جمعية القرش أخذت شهرة صبيح تزداد فى عالم الصحافة ، والجماهير تقرأ له كل صباح المقال الافتتاحى فى

جريدة كوكب الشرق وكان عنوانه (إلى الشباب) .. الا أن أصحاب الجريدة راوا أنه يستغلها للدعوة الى مشروع القرش .

فقرر أن يعمل بجريدة أخرى يكتب فيها معبرا عن رايه بصراحة .

فعمل بجريدة (السياسة) التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين - ولكنه لم يستطع الاستمرار فى العمل بها طويلا لعدم استطاعته الكتابة والتعبير عن رأيه فى حرية إذ كانت الرقابة على الصحافة شديدة .

●● جريدة المقطم :

لم يستطع صبيح أن يحقق حلمه فى جريدة السياسة فكانت القيود المفروضة على هذه الجريدة تحول بينه وبين انطلاق قلمه ليقول للجماهير بصفة عامة والشباب بصفة خاصة ما يكمن فى نفسه فانطلق مرة أخرى إلى جريدته الأولى .

وعندما فشل فى العودة إلى كوكب الشرق قبل العمل فى جريدة المقطم مترجما لا محررا فلم يكن من طبعه أن يرفض أى عمل حتى ولو كان متواضعا .

●● أربعة كونوا جمعية وحزب مصر الفتاة

بعد نجاح جمعية القرش كجمعية سياسية هدفها إحياء الصناعة الوطنية تحولت إلى اسم آخر هو جمعية مصر الفتاة . هدفها تحرير الوطن اقتصاديا وسياسيا .

.. كان ذلك فى أكتوبر سنة ١٩٣٣ عندما أعلن عن تشكيل الجمعية برئاسة أحمد حسين وسكرتارية فتحى رضوان ومحمد

صبيح ، ووكالة مصطفى الوكيل وعضوية الكثير من فطاحل الشباب مثل نور الدين طراف وعبدالرحمن الصدر وحماده الناحل وابراهيم طلعت وتوفيق الملط وجمال الشرقاوى ومحمود مكى وابراهيم شكرى وغيرهم مما يحتاج ذكر أسمائهم إلى مجلد (١) .

ولم يكن الشباب وحدهم هم الذين انضموا إلى هذه الجمعية فقد لحقهم فى الانضمام إليها من البكوات . عبدالقادر مدكور وعبدالقادر مختار وصالح حرب .. وغيرهم من الطوائف العاملة خاصة ضباط الجيش المصرى أمثال : الرئيسين جمال عبدالناصر وأنور السادات وعبداللطيف بغدادى وغيرهم - وتكونت جمعية مصر الفتاة لتقول لشباب سنة ١٩٣٣ :

(كن كشباب ثورة سنة ١٩١٩)

●● شكل جديد من أشكال التنظيمات الثورية :

إتخذت جمعية مصر الفتاة شكلا سياسياً إقتصاديا متميزا عن بقية الأحزاب القائمة وقتئذ - وذلك بفضل قوة الشباب وتحمسهم - وإيمانهم بأن حركتهم هى طريق الخلاص من الاستعمار بكل أشكاله .

.. كما غذى هذه الروح الوطنية أن القائمين على الجمعية من الشباب المثقف القادر على مخاطبة الجماهير بطلاقة لإيمانه بما يقول .. كما أنه قادر على أن يكتب من المقالات والدراسات ما يجذب القارىء البعيد إليه وينقل إليه ما بداخله من إيمان وحماس ..

.. وهكذا كانت جمعية مصر الفتاة .. هى جمعية الشباب المثقف الثائر من أجل مصر .. والذى خرج على الشعب بفكر جديد وعقيدة راسخة .. وعمل دؤوب .

(١) مقالة فى مجلة الهلال - فبراير ١٩٨٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

●● لماذا مصر الفتاة ؟

إختار أعضاء جمعيه القرش إسم مصر الفتاة لجمعيتهم الجديدة أسوة بالجمعيات السياسية المناهضة للاستعمار والامبراطورية العثمانية العجوز والتى انتشرت فى الوطن العربى مثل جمعية (العربية الفتاة) و(تركيا الفتاة) التى قامت فى تركيا بمساعدة فرنسا .

وقد أسسوا هذه الجمعية بعد أن حزموا أمرهم على ضرورة قيام حركة وطنية سياسية جديدة لمقاومة الاستعمار وأعوانه ، ومقاومة الأجانب وامتيازاتهم وكل أنواع الخضوع والاستجداء للغاصبين وأعوانهم .

واسم الجمعية يوحى بالقوة التى تكمن فى الشباب ، وكانت لازمة فى تلك المرحلة التى لم تستطع فيها الأحزاب الموجودة أن توحد أساليب كفاحها لمقاومة وسحق الوجود الاستعمارى فى مصر .

●● صرخة شباب مصر :

أصدرت جمعية مصر الفتاة مجلة (الصرخة) وتولى رئاستها حافظ محمود لعدد واحد .. وبعد صدوره قبض عليه مع احمد حسين وفتحى رضوان .. فأسند شباب الجمعية رئاسة التحرير لمحمد صبيح . وظل كذلك بالجمعية والحزب حتى اعتقل فى أوائل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٨ .

وكانت (الصرخة) كما يقول قاموس الصحافة المصرية لونا جديدا من الصحافة الوطنية التى بسببها قدم صبيح لمحكمة الجنايات (٢٤) مرة وفى كل مرة كان القضاء يفرج عنه .. وسنعود لتفصيل ذلك فى الصفحات التالية ...

●● حزب مصر الفتاة :

إنتشرت دعوة جمعية مصر الفتاة ودخل فى عضويتها معظم شباب مصر وكانت مقالات صبيح اللاذعة للتنديد بالاستعمار الجاثم على صدر الوطن عاملا مهما فى انتشار هذه الدعوة .. كما أن أسلوب أحمد حسين الخطابى والكتابى كان كمن يثير النار فى الهشيم .

.. ومع زيادة هذا الانتشار – زاد اضطهاد الإنجليز لاعضائها وبطبيعة الحال .. فإن جهودهم كانت مركزة على ضرب العناصر ذات الأثر فى تحركات الشباب وفى مقدمتهم أصحاب الأقلام التى كان تأثيرها أقوى من ضرب المدافع .

.. وكان من الطبيعى أن يناصر الشعب أقطاب جمعية مصر الفتاة إلا أن موقف الأحزاب والخوف من بطش المستعمر حال دون ذلك . مما جعل أقطاب الجمعية يفقدون توازنهم الفكرى .

●● نصيحة الكبار للشباب :

كان كثير من الوطنيين ممن ليسوا أعضاء بالجماعة يؤيدونها ويمدونها بالمال والنصيحة أمثال رائد الاقتصاد المصرى طلعت حرب ، ورائد الطب المصرى الدكتور على إبراهيم ، وأستاذ الاقتصاد السياسى الدكتور زكى عبدالمتعال وغيرهم .

.. وكان على رأس قائمة المتعاطفين مع جمعية مصر الفتاة وراعى خطواتها الفريق عزيز المصرى الذى اعتبروه أبا روحيا لهم بعد ذلك – ونصح عزيز المصرى الشباب بتحويل جمعيتهم إلى حزب .. فذلك يعطيها فرصا أكبر فى الجهاد من أجل الوطن – كما يشجع العناصر الوطنية التى لم تعجبها الأحزاب التقليدية وقتها على الانضمام للحزب الجديد .

.. وقد كان حزب مصر الفتاة ينهل من خبرة عزيز المصرى ويحتمى فى احضانه .. فهو الاب الروحى للحزب .

وكان عزيز يرى هو الآخر أن الحزب امتداد لكفاحه فى فترة شبابه .

وسنوضح موقف عزيز من الحزب فى الصفحات التالية :

أخذ الشباب بالنصيحة وتطورت جمعية مصر الفتاة إلى حزب بنفس الاسم .. وتولى قيادته الثلاثة الكبار : أحمد حسين رئيسا وفتحى رضوان سكرتيرا ومحمد صبيح سكرتيرا مساعدا .. ولم يمض وقت طويل حتى استقال فتحى رضوان وأنشأ الحزب الوطنى الجديد ، وأصبح محمد صبيح سكرتيرا عاما للحزب ورئيسا لتحرير جريدته .

ولاشك أن شخصيته المميزة ومقالاته المثيرة بجريدتى كوكب الشرق وجريدة السياسة كانتا سببا فى اختياره لهذا المنصب الهام وظل كذلك إلى أن استقال من الحزب سنة ١٩٤٥ ليتفرغ للعمل الصحفى .

أما الحزب نفسه فقد أوقف نشاطه بصدور قانون إلغاء الاحزاب بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .. ثم استأنف نشاطه بعد ذلك تحت مسمى حزب العمل الاشتراكى الذى أسسه ابراهيم شكرى وأصبح رئيسه حتى الان .

وكان صبيح مسئولا عن استقبال جموع الشباب وتنظيم صفوفهم ولجانهم الحزبية وتوجيههم إلى العمل الوطنى وكانوا يسمونه بالدينامو - كما أطلق عليه البعض .

•• مجلس الجهاد :

كان يدير الحزب مجلس الجهاد الذى يعقد مساء كل خميس وكان أول المتحدثين فى المجلس الذى يسرد أحداث الاسبوع هو محمد صبيح وهو الذى يدير الحوار ويعطى كل المعلومات اللازمة لأعضاء المجلس قبل التصويت على قراراته .

•• موقف عزيز المصرى من الحزب الجديد

.. كان أبرز ما يميز شخصية محمد صبيح وطنيته الصادقة فى سن مبكرة ولم يكن ينشد أبدا الزعامة ولا السيادة .. وإنما كان يدعو إلى قيادة مستنيرة تحارب الاستعمار وتخرجه من بلاده .. وهذا ما تعلمه من أستاذه الفريق عزيز المصرى ..

.. وإذا كان الشاب أحمد حسين ومعه مجموعة الشباب الثائر قد استجابوا لنصيحة عزيز المصرى وحولوا الجمعية إلى حزب « مصر الفتاة » .. فإنما كان ذلك لأسباب ثلاثة :

(١) طرد المستعمر من أرض الوطن .
(٢) التخلص من اتهام حزب الوفد لهم بالدسيسة .
(٣) استمرار نشاط جمعية العهد لتخليص الوطن العربى من الاستعمار والتسلط .

ولهذا اعتبر شباب مصر الفتاة عزيز المصرى الأب الروحى لهم ولحركتهم الوطنية ، ورمزا من الرموز الشامخة فى تاريخ نضال الشعب المصرى والعربى .

وقد كتب صبيح عن تطور الجمعية أثناء غياب الأب الروحى فى انجلترا فقال : « وفى فترة وجود عزيز المصرى فى انجلترا ، كانت

حركات الشباب فيها تتطور تطورا كبيرا .. بادئة بمشروع القرش ، ثم بتأليف جمعية وطنية ، استعارت اسمها من الجمعيات الوطنية فى تركيا وايران والهند وتونس ، وهى جمعية مصر الفتاة . كما قامت حركة الاخوان المسلمين .

وكان الصراع الحزبى على أشده ، وقد تحول إلى صراع ضد الانجليز . وحدثت مصادمات عنيفة بين شباب هذا الشعب وقوات الاستعمار وأعوانهم فى عام ١٩٣٥م ، سقط فيها كثير من الشهداء مثل عبدالحكم الجراحى ، ومحمد عبدالمجيد مرسى ، وطه عفيفى ، وإسماعيل محمد الخالع .

وما من حركة من هذه الحركات ، قبل سفر عزيز المصرى إلى انجلترا ، وبعد عودته منها ، إلا كان لها نصيب من توجيهات هذا الثائر الأكبر ، الذى يمكن تشبيهه فى هذه المرحلة بجمال الدين الأفغانى ، مع زيادة ثقافته العسكرية .. إلا أن صفات الزعامة بين هذين القطبين كانت مشتركة .. (١) » .

.. وإذا أردنا أن نلخص موقفه نقول إنه موقف مساندة الأب لأولاده والمجاهد لأتباعه .

وإذا كان شعب مصر لم ينس عزيز المصرى فإن محمد صبيح قد أرخ له بعد وفاته وضمن كتابه عنه موقفه من الحزب قائلا : (٢)

.. « وكان عزيز المصرى ، يرى فى حركة مصر الفتاة ، تجديدا أمينا وسليما لجمعية العهد ، مع فارق واحد ، وهو أن جمعية أوائل القرن كان لها جناح عسكرى .. أما هذه الجمعية ، فكانت تعتمد على

---

(١) - (٢) - عزيز المصرى وعصره - بطل لن ننساه - (ص٥٧ ، ص١٠٥)

الشباب المثقف وغيره من أفراد الشعب . وكان عزيز المصرى ، يأنس كثيرا لأركان حركة مصر الفتاة ، فقد رأى فى كثير منهم صورة من شبابه ، وكان يستقبل أعضاءها فى كل وقت ، وفى جميع الظروف ، فى مدرسة البوليس . وفى بيته . وفى عمله بعد أن تولى قيادة الجيش . وبعد ذلك . وكان يعرف الكثير من أفرادها ويدفع إليهم بالكتب ، ويدلهم على خير ما يقرأون » ..

●● وقفة مع حزب الوفد :

كان لابد وأن يقف الحزب الجديد وقفة مع حزب الوفد حتى لا يستمر الأخير فى مهاجمته والتقليل من دوره الوطنى .. ونصح عزيز المصرى بأن تكون الوقفة حازمة .. فاتهم قادة مصر الفتاة الوفد بأنه السبب فى تأخير تحرير البلاد وأنه يفضل الحكم على الجهاد .

وفعلا تحول حزب الوفد من تشويه حركة الشباب إلى تأييدها ومساعدتها حتى لاتطول المعركة بين الأحزاب لصالح المستعمر .



الفصل الرابع

تجربته التعاونية الأولى

كانت أول تجربة تعاونية للرائد محمد صبيح فى أوائل الأربعينيات عندما فكر فى افتتاح متجر تعاونى (جمعية تعاونية) كان الأول من نوعه لتموين أعضاء جماعة مصر الفتاة على غرار متجر روتشديل .. ووفق نظامه واستطاع أن يملأ المتجر بمختلف المواد الغذائية .

.. ولتوفير أجر عامل كان يحث أعضاء الجمعية على التطوع للعمل فيها بالتناوب .. وكانت أشق فترات العمل ما بين الظهر والمغرب ، وتطوع الدكتور مصطفى الوكيل أن يعمل تلك الفترة الصعبة .. وأخذ أعضاؤها يتبادلون العمل بها كبائعين وأغلبهم إما

خريج جامعة أو جامعي .. وسعد أعضاء مصر الفتاة بهذه الجمعية التعاونية لأنها حلت لهم مشاكل كثيرة فى البحث عن بعض السلع الغذائية وكان أهمها الأرز والشاى والسكر .. وكان الصابون فى ذلك الوقت من أندر السلع .. لذلك فكر الشباب أن يقوموا بتصنيعه .. وكان يدخل فى تركيبه نوع من محلول السيلكون الزجاجى فطلبوا من أحد المستوردين شراء برميل كامل من الهند .. وأعلنوا للأعضاء عن قرب وصول الصابون الرخيص .

.. وفجأة قامت الحرب العالمية الثانية وأفرغت السفينة التى كانت تنقل البرميل حمولتها فى أسمرة لأنها تريد أن تجتاز قناة السويس ..

يقول محمد صبيح عن نهاية المشروع التعاونى باعتقاله :

.. « وضاع مشروع الصابون والمحل التعاونى نفسه ـ لأننا شغلنا بالحرب والاختفاء عن أعين البوليس .. فقد أصر حسين سرى رئيس الوزراء آنذاك على اعتقالنا » ..

●● رئيس تحرير جرائد الحزب :

بعد قيام حزب مصر الفتاة .. كان محمد صبيح واحداً من أربعة اشتركوا فى تأسيسه .. وكان وقتها يعمل بجريدة المقطم .. ولكنه آثر أن يركز جهوده فى الحزب .. فتولى إلى جانب موقعه الحزبى رئاسة تحرير صحفه وما أكثرها .

.. وهنا .. أطلق العنان لفكره وقلمه وألهب الشعور الوطنى ، وأيقظ الحماس نحو قضايا الوطن الكبرى .. وما كادت جريدة من جرائد الحزب تصدر إلا ويقبض عليه بتهمة واحدة .. هى محاولة

إثارة مشاعر الناس ضد نظام الحكم تمهيدا للتخلص من هذا النظام .

ومرة تلو الأخرى تصادر للحزب جريدة .. وكان إذا صودرت جريدة يخرج بأخرى تحت اسم جديد !!

فقد أصدر الحزب العديد من الصحف هى :

- ☐ الصرخة .
- ☐ الضياء .
- ☐ الثغر .
- ☐ مصر الفتاة .
- ☐ وادى النيل .

كل هذه الصحف رأس تحريرها ، وكان الإقبال عليها جارفا .. فهى جرائد الحركة الوطنية الجديدة التى يتولاها الشباب .. ومن خلال تلك الصحف استطاع التعبير عن رأيه بكل حرية ودفع ثمن ذلك ليالى طوالا فى السجون والمعتقلات . وكان يردد أقوال أحمد حسين إن السجن هو المكان الطبيعى لشاب مجاهد فى أمة مضطهدة .

وظل هكذا رئيسا للتحرير طوال (١٤ سنة) إلى أن ترك الحزب ليتفرغ للصحافة !!



الفصل الخامس

التأليف والجهاد الوطنى

● كتاب الشهر

أثناء تولى محمد صبيح عمله كسكرتير لحزب مصر الفتاة ورئيس لتحرير جريدته . أصدر (كتاب الشهر) وهى أول وأشهر سلسلة من الكتب الشهرية صدرت فى مصر للتوعية الدينية والإسلامية والسياسية .. ثم صدرت بعد ذلك على غرارها سلسلة (إقرأ) من دار المعارف وغيرها من السلاسل الدينية والثقافية وقد انتشرت هذه السلسلة انتشارا كبيرا بين المثقفين من أبناء مصر لأنها تناولت معلومات جديدة كانوا فى حاجة إليها ومادة ثقافية وتاريخية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

●● بدأت هذه السلسلة بالتنقيب عن السير الذاتية لقادة الاسلام .. ثم قادة العالم وأول عدد صدر فى بداية عام ١٩٣٧ . فى وقت اضطهاد الحكومة لرجال الحزب :

●● وقد تعلم الجيل الجديد الباحث عن الحرية آنذاك من هذه السلسلة الكثير عن سلوك القادة والرواد والداعين إلى الاصلاح وأساليب نشر دعواتهم وبلوغ غاياتهم .

وصدر عنها مجموعة من الكتيبات تحمل بصدق السير الذاتية لرسول الانسانية .. محمد صلى الله عليه وسلم .. والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وكذلك مصطفى كمال أتاتورك وموسولينى ، وهتلر ، وديفاليرا .. وغيرهم كان معظمها لصبيح وأقلها لزميله فتحى رضوان .

كان سعر النسخة من كتاب الشهر قرشين .. ثم رفع السعر إلى خمسة قروش ثم إلى عشرة قروش سنة ١٩٥٨ .. وكان يصفها الكتاب فى ذلك الوقت بأنها رخيصة الثمن عظيمة الفائدة .

وقد شجع على انتشار هذه السلسلة إلى جانب حاجة الناس إليها ورخص ثمنها أن أسلوب كتابتها سهل عذب إلى جانب أنه يحتوى على عنصرى الجذب والإثارة لمضمونها .

●● صديقة أمينة لأفراد أسرتك

وكتاب الشهر هو كتيب صغير يسهل حمله فى الجيب وقد صدرت بعد ذلك سلاسل من الكتيبات لمؤلفين آخرين سميت بكتاب الجيب لصغر حجمها وسهولة حملها .

وكان عدد صفحات الكتيب الواحد يتراوح بين ١٧٠ ـ ٢٠٠ صفحة يضمها غلاف أنيق من تصميم رفيق العمر عبدالسلام

الشريف .. لذلك كان القراء يتلهفون عليها لاقتنائها فى مكتباتهم الخاصة .. وفى كل عدد يصدر كان ينوه عن اسم العدد القادم .. مع عبارة رقيقة تقول :

.. اجمع اعداد هذه السلسلة فى بيتك ...
.. انها صديقة أمينة لأفراد أسرتك ...

وقد صدر لصبيح من كتاب الشهر سلسلة قادة الإسلام على مجموعتين قامت بإصدارها دار الثقافة العامة ـ وكانت هذه الدار أحد الروافد لجريدة مصر الفتاة .. وكان أهمها :

(١) بحث جديد عن القرآن الكريم
(٢) محمد (أول)
(٣) محمد (ثان)
(٤) أبوبكر
(٥) عمر
(٦) عثمان
(٧) على
(٨) معاوية
(٩) عمر بن عبدالعزيز
(١٠) خالد بن الوليد
(١١) عمرو بن العاص
(١٢) طارق بن زياد

وتعتبر المجموعة الأولى من كتاب الشهر هى المرحلة التأليفية الأولى لمحمد صبيح إنطلق منها إلى مرحلتين أخريين سنتحدث عنهما

•• أمتع ماعرف جيلنا

يصف أنيس منصور وهو يستعرض الكتب التى ظهرت على شكل سلاسل فيقول : « .. وإلى جوار عمر عبدالعزيز أمين يقف الصحفى الكبير محمد صبيح .. فهو الذى قدم لنا التراجم التاريخية العربية والإسلامية فى كتب صغيرة الحجم فى أبسط عبارة .. وهذه الكتب التى توضع فى الجيب من أمتع ماعرف جيلنا .. وكان لهذه الكتب أغلفة غريبة علينا فى جمالها وبساطتها بريشة الفنان الكبير عبدالسلام الشريف ، وقد استطاع محمد صبيح بعباراته السهلة أن يحبب إلينا التاريخ » ..

ومرة أخرى يكتب أنيس منصور فى عموده اليومى : مواقف :(١) .

« .. لاأزال أذكر تلك الأيام التى كنا فيها ونحن طلبة صغارا فى المنصورة نتسابق فى شراء كتب فى حجم الكف لها غلاف جميل ، ولهاسعر زهيد أذكر واحدا منها عن (محمد) صلى الله عليه وسلم . أما المؤلف فهو محمد صبيح وأما رسام الغلاف فهو عبدالسلام الشريف . وكتبا أخرى كثيرة لنفس المؤلف .. فقد كان الأسلوب ذا عبارات سهلة قصيرة مفيدة لأن العبارات التقليدية فى كتب السيرة النبوية جافة عويصة » .

•• فرق الجهاد فى القاهرة والأقاليم

من الطبيعى أن الجماعات المتحدة فى أهدافها لابد أن تلتحم وتنسق فيما بينها حتى يمكن الوصول إلى الهدف المشترك فى أقصر وقت ممكن وبأقل جهد .. والجماعات الجهادية المناهضة للاستعمار

---

(١) الاهرام ١٩٨٢/٤/٢٧

وأعوانه فى الثلاثينات والأربعينات كانت متحدة تماما كما أن خطتها كانت واحدة !!

فقيادات الجهاد فى القاهرة ابتداء من عزيز المصرى وأحمد حسين ومحمد صبيح وغيرهم كانوا أعلم ببواطن الأمور عن زملائهم فى المديريات (المحافظات الآن) ..

وكان الاتصال بين هذه الجماعات دائما ومستمرا لاقتسام السلاح والمنشورات والوقوف على ماهو مطلوب أداؤه من هذه الفرق من عمليات فدائية ضد العدو المشترك .. المستعمر الإنجليزى !!

وكان أكبر هذه الفرق الجهادية فى أسيوط بزعامة الشيخ توفيق الملط أقرب المجاهدين إلى قلب صبيح .

وبتخطيط صبيح الجيد تبرع الكثير من الرجال والنساء ممن يحبون مصر بأموال ضخمة استخدمت فى شراء السلاح وتقديم الإعانات لفرق الجهاد التى كونها حزب مصر الفتاة أسوة بفرق القمصان السوداء التى ظهرت فى ألمانيا وايطاليا ، ونظرا لتنافسه مع حزب الوفد فقد كون الأخير فرقا من لابسى القمصان الزرقاء .

يقول فى مذكراته « من العلمين إلى سجن الأجانب » : (١)

« ولم يكن النشاط مقصورا على القاهرة وحدها فقد رأس الاستاذ الشيخ (توفيق الملط) فى أسيوط جماعة أخذت تجمع الاسلحة والذخائر ، استعدادا لوقت القيام ضد الانجليز ، ورتبوا الوسيلة التى يقطعون بها مواصلات الصعيد تنفيذا للتعليمات التى تصدر لهم .

---

(١) كتابه من العلمين إلى سجن الأجانب .

وقد قبض على (توفيق) ، ومعه بعض الديناميت وطرف من الخطة .. وكانت محاكمته أول قضية عسكرية فى الحرب العالمية الثانية تنظر أمام المحاكم .

.. ونشطت فرق الجهاد هذه وصعدت هجماتها على الانجليز فى معسكراتهم وفى الشوارع والحانات وغيرها .

●● إصدار المنشورات ضد العدو

كان اتصال جماعات المجاهدين بقوى الشعب عن طريق المنشورات السرية التى كان يتم طبعها وتوزيعها فى الخفاء .. ولأن صبيح أقدر المجاهدين الشباب على الكتابة والتنسيق الصحفى .. فقد كلف بإعداد هذه المنشورات وكان يساعده فى طبعها الشيخ حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية .

.. واستعان المجاهدون بالسيدات والبنات فى إخفاء المنشورات فى ملابسهن .

.. يروى لنا صبيح طريقة توزيعهم للمنشورات وأثر الروح الوطنية التى دبت فى شباب مصر الفتاة فيقول : (١) .

.. « ولعل من أشجع من عرفت ، الصديق الفاضل الشيخ (حامد الفقى) رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية .

كان يملك مطبعة صغيرة ، وكنا نستعين بها فى طبع المنشورات .. وكان لابد أن توزع نشرة معينة ننجزها فى الليل . وحدثت الغارة وأطفئت الانوار . وإذا بالشيخ يخرج من المطبعة ويذهب إلى منزله القريب من ميدان عابدين ويحمل مصباح كيروسين مشتعلا ، أخفاه فى عباءته ،

---

(١) المرجع السابق (ص٣٦) .

واجتاز به ميدان عابدين حتى وصل إلى المطبعة وعلى ضوء هذا السراج ، أنجزنا مهمتنا . وإذا تخيلنا الآن ما كان يحمله هذا العمل من مخاطر ولاسيما فى منطقة قصر عابدين ، قدرنا أى روح وأى إيمان كان يحرك المصريين فى ذلك الوقت » .

.. أما صحف الحزب .. فكان المصريون ينتظرون صدورها ، ويتلهفون على قراءتها . وكانت بعض هذه الصحف تطبع وتوزع فى الخفاء ويتداولها الناس فى بيوتهم .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الصحف كانت تحثهم على قتل كل ما هو إنجليزى واستباحه دمه .

●● البوليس السياسى يطارد الحزب وأعضاءه

أوقفت الحكومة صحف الحزب أكثر من مرة وقدم صبيح للمحاكمة بتهم كثيرة كانت تتركز كلها حول ما كتب من مقالات تدعو إلى قلب نظام الحكم الموالى للاستعمار ومقاطعة كل نشاط استعمارى واستباحة دم كل من هو إنجليزى .

وأخيرا أغلقت صحف الحزب ومقره وأصبح فدائيو مصر الفتاة أعداء للحكومة والاستعمار وجدَّ البوليس السياسى فى البحث عن العقول المفكرة للحزب .. واختفى صبيح ورفاقه .. إلا أنهم حرصوا على مقابلة عزيز المصرى فى منزل الآنسة (ع .فهمى) كما ذكر فى مذكراته التى كتبها تحت عنوان : « من العلمين إلى سجن الأجانب » .

●● اجتهدوا فى البقاء خارج المعتقلات

.. كانت وصية عزيز إلى أبنائه من حزب مصر الفتاة :

إجتهدوا فى البقاء خارج المعتقلات والسجون .. وحافظوا على

مخازن أسلحتنا ، واتقنوا أنواع التخفى ، وغيروا الأماكن من حين إلى آخر .

.. من هذه الوصية يتضح أن الحزب كان يملك مخازن للأسلحة ، وأنها كانت غير معروفة لأجهزة الأمن المصرى ، وأن مجاهدى الحزب عليهم أن يتقنوا أنواع التخفى عن أعين البوليس السياسى حتى يمكنهم البقاء خارج المعتقلات .

.. جاء وقت أصبح فيه زعماء مصر الفتاة وأبوهم الروحى عزيز المصرى وغيرهم من الوطنيين البارزين مطاردين ومطلوبا القبض عليهم للقصاص منهم بتهمة الوطنية .

•• المحاولة الفاشلة للهرب خارج البلاد

.. عندما نشط البوليس فى مطاردة المجاهدين ، ورصدت الحكومة مبالغ كبيرة لمن يرشد عن مكان وجود عزيز المصرى وأحمد حسين ومحمد صبيح وقليلا ما كانت تنجح محاولات العثور عليهم .. فقد كان اختفاؤهم عن أعين البوليس السياسى لا يعنى إلا استبدال الثورة العلنية ضد الاستعمار بعمليات فدائية .. لذلك لم يجد الاستعمار والحكومة معا وسيلة لإخماد الثورة غير الاعتقال .. وكثيرا ما فشلوا فى تحقيقه ثم كانت محاولة الهرب للخارج والتنديد بالاستعمار ومطالبته بالجلاء إلا أنهم لم يتمكنوا من الهرب للخارج .

وحول موضوع الهرب الذى لم يتحقق قالت إحدى الصحف : (١) .

.. « بدأت مطاردة عنيفة لمحمد صبيح وزملائه الوطنيين ، واضطرت هذه الحركة إلى الاختفاء تحت الأرض ، ووثقت صلتها بعزيز المصرى .. ثم كانت المحاولة غير الناجحة لسفره إلى الخارج مما اضطر الحركة إلى وقف مشروع الثورة العلنية » .

---

(١) ـ مجلة أكتوبر ـ العدد الصادر فى ١٩٨١/٣/٢١ .

وقد كانت محاولة الهرب والجهاد خارج الوطن لشرح قضية مصر والتنديد بالاستعمار فى الدول المتحضرة لكسب الرأى العام العالمى لتأييد فكرة الجلاء عن مصر قد قام بها مصطفى كامل ومحمد فريد من قبل بعد أن اشتد إيذاء المستعمر لهما فى مطلع هذا القرن . وقد أراد صبيح ورفاقه أن يكرروا محاولة الزعماء السابقين إلا أنهم لم ينجحوا وقبض عليهم وأودعوا المعتقل .

•• حياة الأسر الاختيارى

ظل أحمد حسين ومحمد صبيح بين التخفى والظهور سنوات طويلة . صبيح يختفى معظم الوقت فى منزل عبد السلام الشريف بحى الدقى أما عزيز المصرى فكان يفضل الاختباء فى منزل عبد القادر رزق بحى امبابة بالجيزة وهو فنان تشكيلى معروف وصديق لعزيز المصرى .

•• أصعب أنواع الحياة

« .. حياة التخفى أصعب أنواع الحياة ، ولاسيما إذا كان لمجرد الانتظار .. انتظار ما تجود به الحوادث ، على حد تعبير محمد صبيح وحياة التخفى التى يسميها صبيح بأنها أسر اختيارى كتب عنها يقول : (١) .

« .. الاختفاء عن أعين المطاردين وتوقع وصولهم إليك فى أية لحظة من ليل أو نهار .. وللتنكر وسائل كثيرة ـ ولكن عندما ترصد المكافأة ويطلق المحترفون من رجال البوليس السرى والعلنى وراءك ، ويطلق وراءك من هم أخطر من هؤلاء .. المرشدون الهواة والمتطوعون للأذى . عندما يحدث لك هذا ـ وأنت فى قلب معركة كبرى من أجل الوطن وعقيدتك

---

(١) ـ محمد صبيح ـ بطل لن ننساه ـ عزيز المصرى (ص١٥٨) .

الراسخة فى خلاصه ..فإن الحياة تكون غريبة حقا ..والوقت فيها يحصى بالدقائق لا بالأيام والأسابيع » .

.. كان صبيح وهو فى أسره الاختيارى لا يخشى وقوعه فى قبضة البوليس السياسى بقدر قلقه على أسرته وأقاربه فى القاهرة ومحافظة المنيا .

فالطريقة التقليدية للقبض على أى واحد منهم : أن يتتبعوا أقاربه والمقربين إليه عسى أن يقودهم لتتبع الأثر المطلوب !!

.. كانت زوجته وأولاده فى القاهرة ، ووالده فى الصعيد مراقبين مراقبة تامة من البوليس السياسى .. بل إنه يداهم بيوتهم فى الليل والنهار ، وفى وقت الغداء وعند الفجر .

ويقص علينا محمد صبيح قصة من قصص مطاردة البوليس له فيقول : (١) .

« .. وكانت زوجتى وأسرتها فى القاهرة .. ووالدى فى الصعيد هم موضوع المراقبة ، والهجوم المستمر .. هجوم فى الليل وفى النهار ، وفى وقت الغداء ، وعند الفجر وفى هذا ما يقلق ويبعث على كثير من الضيق .. ولزوجتى شقيقة (رحمهما الله وأثابهما على بلائهما) تشبهها إلى حد ما ، وكانت متخصصة فى تضليل وإرهاق المخبرين كما يرهقون أسرتنا فى القاهرة .. كانت تسير ، ومن ورائها المخبرون الذين يحسبونها زوجتى ، وتذرع شوارع القاهرة وتدخل جميع متاجرها ، وهى سعيدة بهذه اللعبة الطريفة ، لعبة (استغماية) . فإذا خرجت شقيقة زوجتى ، فإن التقارير كانت تنهال على القلم السياسى إنهم وراء زوجتى فى أكثر من مكان وفى أكثر من شارع مما يبعث على الحيرة والدهشة .

---

(١) ـ المرجع السابق (ص١٥٩)

•• ما أكثر مرات اعتقاله

كان طبيعيا أن يعتقل محمد صبيح الوطنى الثائر صاحب الفكر الحر والقلم الجرىء ليس مرة ولكن عشرات المرات ضمن من اعتقل من القيادات الوطنية الشابة ، وأكثر ما كان اعتقاله فى عهد حكومة الوفد ، بإيعاز من السفارة البريطانية (١) فى الفترة من عام ١٩٣٩م ـ ١٩٤٤م .

.. ولم يكن من السهل تحديد عدد مرات اعتقاله لأنها كانت كثيرة إلا أنه أمكن إحصاء عدد مرات محاكمته وكانت (٢٤) محاكمة ـ وقد ذكر بعض المقربين أنه تم اعتقاله حوالى ٤٢ مرة ..

.. ودخل محمد صبيح معتقل الزيتون فى أوائل سنة ١٩٤١م ومعه مجموعة كبيرة من أصحاب الفكر والرأى ، ومن كان الاستعمار الانجليزى يخشى وجودهم داخل المجتمع ومنهم : جلال الحمامصى ، وموسى صبرى ، وابراهيم الزيادى ، وعبد المنعم النمر ، وفتحى أبوالوفا ، والرئيس الراحل أنور السادات ، وحسن عزت ، وكامل الرحمانى ، وفؤاد صادق وغيرهم .

ثم انتقلت هذه المجموعة إلى معتقل ماقوسة خلال حركة تنقلات كان يجريها الأمن العام الانجليزى مع نظيره المصرى (٢) .

.. كان أقدم هذه المجموعة تاريخا فى الاعتقال محمد صبيح ، ويؤكد ذلك الاستاذ جلال الحمامصى رحمه الله فيقول :

« .. عرفته لسنوات طويلة من العمر ، وازدادت معرفتى به فى معتقل الزيتون فى أوائل الأربعينات ، وكان قد سبقنى إليه بفترة غير قصيرة وظل به إلى ما بعد الإفراج عنى .. » .

---

(١) ـ شمس الدين خفاجى ـ جريدة التعاون الصادرة فى ١٩٩٣/٤/٦ (ص٨) .

(٢) ـ د. عبد المنعم النمر ـ المجلة الزراعية ـ (ص١٥) .

•• الاعتقـــــال المتكــــــرر

اعتقـل فى سجن القناطـر الخيريـة ، وفى سجن الأجـانب وسجن الحضرة بالاسكندرية وغيرها من المعتقلات !!.

والخلاصة .. أنه دخل كل معتقلات مصر .. ابتداء من عام ١٩٣٩م وتذكر أسرته أنه كان يحتفظ بحقيبة فيها ملابس ويزج بها تحت سريره حتى اذا ما اعتقل أرسل فى طلبها .

وروى موسى صبرى فى مذكراته أن صبيح والحمامصى الوحيـدان اللذان كان لكل منهما غرفة منفردة ـ فى معتقل الزيتون ـ الأول لرئاسته لمجموعة مصر الفتاة والثانى لرئاسته لمجموعة الكتلة الوفدية .

.. ومن الطرائف التى تضمنتها السيرة الذاتية لصبيح أنه كان يبشر الوطنيين من أصدقائه بالاعتقال ويقول لكل من يشعر بقرب اعتقاله .. « أنت مرشح للاعتقال » .

ويروى الاستاذ عبدالله عبدالبارى أنه قال له مرة وهو يضحـك : (١) .

.. بكره حيعتقلوك وتدخل فى زمرتنا وقد صحت بشراه فاعتقل ولبث فى المعتقل نحو عام .

.. ومن الغريب أيضاً أنه لم يكن يتعجل الإفراج عنه برغم كثرة المرات التى دخل فيها المعتقل والتى تقارب الـ ٤٢ مرة وذلك يرجع إلى شدة إيمانه بقضاء الله وقدره .. وأنه صاحب رسالة يجب أن يؤديها .. لأن صاحب الرسالة عليه ضريبة يجب أداؤها .. ولأن الاعتقال عنده أهون بكثير من حياة الأسر الاخنيارى !!

---

(١) ـ المجلة الزراعية ـ مرجع سابق .

ومن الأمور واجبة الذكر أيضا إصابة محمد صبيح بالتهاب فى رئته اليسرى لازمه إلى آخر حياته فى إحدى المرات التى اعتقل فيها ..

فقد عقد مؤتمر فى الإسكندرية للحزب حضره شباب الثغر وانتهى المؤتمر باعتقال صبيح وهو أمر متوقع فى نهاية كل مؤتمر .. وكان شباك السجن خاليا من الزجاج فى وقت كانت الامطار تهطل بشدة وعبثا حاول هذا الوطنى الثائر مع إدارة السجن نقله الى زنزانة أخرى .

●●شقيق صبيح الأصغر يغذى المعتقلين بالأخبار

كان لصبيح أخ أصغر لا يتجاوز عمره عشر سنوات .. كان يغذى المعتقلين بالأخبار أثناء فترة اعتقالهم .. وكانت القيادات الشبابية فى مصر بما فيهم ضباط الجيش ورجال الدين يودعهم الاستعمار فى معتقل (ماقوسة) بمحافظة المنيا ليكونوا بعيدين عن القاهرة العاصمة .

.. كان منزل أسرة صبيح لايبعد كثيرا عن هذا المعتقل وقد تم الاتفاق بين المعتقلين وأسرهم وزملائهم خارج المعتقل أن ترسل الخطابات والاخبار الأسرية وكذلك مايجرى من أحداث فى مصر على عنوان أسرة صبيح بالمنيا .. وفى ثبات وبراءة يحمل الأخ الصغير بين طيات ثيابه هذه المخطوطات ويذهب لزيارة أخيه فى المعتقل ويسلمه خلسة كل مايحمله من خطابات للمعتقلين وأخبار تهمهم معرفتها .. وكان من الطبيعى أن طفلا فى العاشرة من عمره لايشك فيه الحراس ولا يفتشونه .

كان هذا الصبى هو محمد صيفى عبدالقادر (مستشار مؤسسة دار التعاون الان) .. الذى وعى لعبة السياسة فى سن مبكرة وقدم لأخيه ورفاقه المجاهدين أعظم خدمة كانوا فى حاجة إليها آنذاك ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

●● حياة المعتقلات

لم تكن حياته داخل المعتقلات ضيقا ومللا وانتظارا ليوم الافراج !! .. ولكنها كانت فرصة للاطلاع والتأمل فى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ومحاولة التفكير فى الوصول إلى حياة أفضل للشعب المصرى .

ومحمد صبيح المعتقل الدائم ـ جعل من زنزانته مكتبة يطلع فيها على الكتب ، واتخذ منها مدرسة يعلم فيها دروس الوطنية لزملائه المعتقلين ولذلك تولى أمر ريادتهم وتوجيههم الى تحقيق فاعلية النضال الوطنى .. ويصف حياة المعتقلات بقوله : (١) .

« .. ولكنى أود أن أختم هنا هذه المذكرات بأن حياتنا فى المعتقلات لم تكن كلها ضيقا ومللا ، إلا بعد أن تحولت الى انتقام من السلطة الحاكمة المصرية ..

لقد كانت فى أوائلها جهادا ، ونحن نعتقد أن الانجليز راغبون فى اعتقالنا .. كنا نظن أننا تمثل روح المقاومة فى هذه البلاد لحكمهم وعسفهم واستبدادهم .. ولكن بعد أن انتهت شهوة الانجليز من حبس حرياتنا وبعد أن انتصروا فى الميدان الافريقى .. ثم فى الميدان الاوربى ، لم يكن هناك معنى عندهم لاستمرار اعتقالنا .. ولهذا تركوا للحكومة المصرية التصرف فى هذا الامر .. »

●●وطنية رجال الشرطة

ثم يواصل الحديث عن حياة المعتقلات وعن وطنية بعض الضباط المصريين فيقول :

---

(١) عزيز المصرى ـ بطل لن ننساه (مرجع سابق) :

« .. وينبغى هنا أن نشيد بوطنية عدد من رجال البوليس الذين وكل إليهم حراستنا أثناء هذه الاعتقالات .. فقد كان بعضهم مثالا للوفاء لضمائرهم ولواجبهم .. كانوا يعلمون أننا فدية لمعنى عام .. ولهذا خففوا عنا بعض متاعب الاعتقال فى شتى صور التخفيف وفى نفس الوقت لم يخلوا بواجبهم الذى كان يقضى بأن نظل وراء الأسوار حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ويكفى لكى أدلل على حسن الصلة وقوة العاطفة التى كانت تجمعنا مع فريق من هؤلاء الضباط ، أنى عندما خرجت من المعتقل فى نهاية الحرب عاوننى قومندان المعتقل فى إيجاد مسكن بعمارة يملكها والده . وكان أندر شىء فى القاهرة وقتها أن تجد مكانا خاليا ..» .

●● كان قائداً لإخوانه فى كل السجون والمعتقلات

الصفات الشخصية لمحمد صبيح والتى أبرزها الصبر والجرأة كان لها أثرها فى أن يقود إخوانه داخل السجون والمعتقلات .. وتحمل مشقة السجن والاعتقال لمدد طويلة .

وقد استعرض إبراهيم الزيادى تاريخ صبيح فى المعتقلات فقال : (١) .

لقد كان فى كل هذه السجون والمعتقلات قائدا لإخوانه وزملائه وكبيرا لهم بحق وصدق . يحل جميع ما قد يثار من مشكلات بسيطة أو مستعصية بهدوء وبساطة فاستطاع أن يجمع حوله الجميع بالحب والمودة والصفاء ـ وهذه الشهادة الصادقة يقولها كل من سعدوا بالعمل معه ، أو زاملوه فى السجن أو الاعتقال . وقد عملت معه فى

---

(١) جريدة الشعب الصادرة فى ١٩٨٦/٤/٢٩

النشاط الحزبى سنوات وسنوات وزاملته فى المعتقلات زهاء ـ سنوات ثلاث ـ ولا أذكر يوما من الأيام أنه قد أصابه الملل من العمل .. أو اعترته ثورة غضب مهما كانت الدواعى أو الظروف » ..

ومحمد صبيح الوحيد من بين الصحفيين الذى قدم للمحاكمة أمام محكمة الجنايات مايقرب من ٢٤ مرة ، وكانت تهمته دائما تتعلق بقضايا حرية الرأى وأحيانا السب والقذف فى الذات الملكية . (١) .

« وعرف طريقه إلى المحكمة وإلى سجن الاجانب وأحيانا إلى سجن مصر وإلى سجن الحضرة .. لمخالفته القانون .. ومخالفة القانون فى ذلك الوقت تعنى علانية الرأى المخالف لرأى الحكومة . وتعنى تحريض الشباب على الجهاد فى سبيل الوطن .. وفى كل مرة كان ينتهى الاتهام الى (محاولته قلب نظام الحكم)

وقد خصصت فى ذلك الوقت نيابات خاصة تسمى (نيابة الصحافة) وأيضا هناك محكمة للجنايات مختصة بنظر القضايا الصحفية !! وكان محمد صبيح هو المتهم الدائم أمام هذه النيابات والمحاكم .

قدم للمحاكمة عشرات المرات كمتهم أول .. فكلما قدم صحفى من جريدته قدم هو معه كمتهم أول ـ لأنه رئيس تحرير .. أى الأصل فى هذه القضايا . كما قدم باقى المرات ضمن مجموعة المتهمين !!

وفى المحاكمات الأربع والعشرين لم يحكم عليه بالسجن ليوم واحد بل كانت معظم الأحكام تصل الى الغرامة وذلك لأن التعاطف بين المتهم وقاضيه كان مستمرا .

---

(١) ـ جميل عارف ـ جريدة التعاون ـ مرجع سابق ص٦

أما هيئة الدفاع عنه فكانت مكونة من المحامين الثائرين يتقدمهم سكرتير الحزب فتحى رضوان الذى كان يشتغل بالمحاماة وتفرغ لها بعد تأسيسه للحزب وكثيرا ما وقف أمام محكمة الجنايات عن رئيس الحزب أحمد حسين وعن محمد صبيح .

●● الحكم مقلوب وأنا أحاول أعدله !!

من الطريف فى محاكمات صبيح أن رئيس إحدى النيابات وجه إليه اتهاما فى نهاية التحقيق قائلا :

أنت متهم بقلب نظام الحكم .

أبدا ـ نظام الحكم مقلوب وأنا أحاول أعدله .

وتدل اجابة صبيح على الجرأة وقوة الإيمان بدعوته .. وبأن ماقدر الله فعل .. ولأنه كان هادىء الطبع عميق التفكير مقنعا فى دعواه فقد نال احترام كل رجال القضاء المصرى فى ذلك الوقت .. بل كانوا مشفقين عليه لصراحته المتناهية ، وعدم اكتراثه بما تنتهى اليه المحاكمة !!

.. لعل أهم ما وصف به صبيح أنه (الصحفى الثائر من أجل مصر) وكتبت إحدى الصحف تنعيه فى مقالها الافتتاحى بهذا العنوان ووصفته بأنه واحد من أولئك الذين حملوا على أكتافهم مسئولية الكفاح من أجل مصر وأستاذ الكثيرين من ثوار يوليو سنة ١٩٥٢ .

وأنه نابغة تلاميذ عزيز المصرى (١) .

●● المعركة الانتخابية الأولى

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وبعد الافراج عن أعضاء مصر الفتاة أجريت انتخابات لمجلس النواب فقررت قيادة الحزب ترشيح

---

(١) جريدة الشعب الصادرة فى ١٩٨٣/٤/١٢

مجموعة من قادته : أحمد حسين فى دائرة السيدة زينب ومحمد صبيح فى دائرة الوايلى وإبراهيم شكرى فى دائرة شربين وبعض قادة الحزب فى دوائر أخرى .

واختار صبيح دائرة الوايلى لأنه كان يسكن فى العباسية ولأن مصنع الطرابيش الذى أنشأته جماعة القرش التى تحولت الى جماعة ثم حزب مصر الفتاة يقع فى نطاق هذه الدائرة الانتخابية .

ولسوء حظ صبيح أن منافسه فى الدائرة إبن شقيقة أحمد ماهر رئيس الوزراء آنذاك .

ومن غير المعقول أن يترك رئيس الوزراء إبن أخته يسقط فى الانتخابات .. لذلك لما أحس بشعبية صبيح الجارفة وأنه لا محالة مكتسح الدائرة حاول التفاوض معه . إستدعى أحمد ماهر رئيس الوزراء المرشح محمد صبيح وطلب منه أن يتنازل لابن اخته .. فرفض صبيح بشدة .. وثار لتدخل رئيس الوزراء فى الانتخابات . وسرعان ماتحولت الدائرة الانتخابية إلى شعلة من النشاط بفضل تأييد الشباب لصبيح .. وقام المخرج المسرحى فايز حلاوة بتنظيم الشباب لدعوة أهالى الدائرة لتأييده وانهالت المنشورات المؤيدة على أبناء الدائرة وكثرت اللقاءات الجماهيرية المناصرة لصبيح فى شوارع العباسية وبات واضحاً أن الدائرة كلها تجمع على انتخابه لتمثيلها فى مجلس النواب .. كما أصبح التحدى الشعبى لرئيس الوزراء ومن يناصره من رجال السلطة لتأييدهم لابن أخته واضحا .

●● السادات المطارد يحرس صبيح المرشح

أمام المد الشعبى المؤيد لصبيح إضطر لأن يلتقى بالتجمعات الجماهيرية التى كانت تعد له السرادقات وتنظم المسيرات المؤيدة له .

وكان عليه أن يطوف بشوارع الدائرة ليراه الناس وكثف مروره فى شوارعها وأزقتها وقوبل بحفاوة لم يقابل بها مرشح من قبل !!

خاف السادات على زميله صبيح .. وبرغم أنه كان مطاردا من البوليس السياسى فى ذلك الوقت . إلا أنه حرص على أن يلازمه فى جولاته الانتخابية فكان يخرج متنكرا فى زى ابن البلد بالجلابية واللاسة . ويندس بين المتظاهرين لحماية صبيح وتشجيعه فى جولاته الانتخابية .

وأصبح من المؤكد نجاح صبيح برغم الدعاية المضادة لصالح ابن أخت رئيس الوزراء . فاتخذت الحكومة أغرب إجراء ضد مرشح .. فقد اعتقلت المباحث صبيح قبل الموعد المحدد لإجراء الانتخابات بيومين ورحلته بعد ذلك إلى بلدته (المنيا) وتم تزوير الانتخابات تزويرا واضحا مما كان مثار سخط الناخبين وحديث الصحف فى ذلك الوقت .

نعود الى دائرة السيدة زينب حيث أحمد حسين يكتسح الدائرة ولم تنجح مؤامرات السراى فى الحد من شعبيته ـ ولكن حدث يوم إجراء الانتخابات أن تناقش أحمد حسين مع مأمور قسم السيدة زينب نقاشا حادا إنتهى بضرب المأمور بالقلم على وجهه فقام الأخير بتوزير الانتخابات ضد من ضربه .

وهكذا .. سقط قطبا مصر الفتاة فى أول انتخابات يشتركان فيها .

● ● نهاية النشاط الحزبى

ترك الحزب بعد اعتقاله لمقتل احمد ماهر

كان صبيح صديقا حميما للدكتور أحمد ماهر إذ عمل معه فى جريدة كوكب الشرق فى أوائل الثلاثينيات . رغم أنه أسقطه فى الانتخابات إلا انه كانت له معزة خاصة عنده وتولى أحمد ماهر رئاسة الوزارة عام ١٩٤٤م ـ وبينما كان يسير فى ردهات البرلمان

يطلب من أعضائه الموافقة على اعلان مصر الحرب على المحور وكانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت فعلا بهزيمة ألمانيا ولكن هذا الاعلان كان شرطا لانضمام مصر إلى الأمم المتحدة .. اغتيل احمد ماهر داخل البرلمان وكان أول من تم القبض عليهم عزيز المصرى ومحمد صبيح وكثير من رؤساء وأعضاء مصر الفتاة فى فبراير سنة ١٩٤٥ م .

وبعد التحقيق ظهر أنه لم يكن لقاتل الدكتور ماهر شركاء ولم يظهر له محرضون فأفرج عن المعتقلين جميعا .

وهنا فكر صبيح فى أن يتفرغ للصحافة .. تاركا السياسة واستقال من حزب مصر الفتاة .. ولم ينضم إلى أى حزب حتى وفاته ..

حتى أنه قَبِلَ العمل فى جريدة الاساس الناطقة بلسان الحزب السعدى .. واشترط ألا ينضم إلى عضوية هذا الحزب . أى أنه ظل مايقرب من خمسة وثلاثين عاما مستقلا لاينتمى لأى حزب .. فقد فضل محمد صبيح وهو أحد مؤسسى حزب مصر الفتاة ان يبقى مستقلا .

وكان تخليه عن موقعه الحزبى برضاء زملائه بعد أن أقنعهم بأن ذلك فى مصلحته ..

يؤكد ذلك أحد مؤسسى مصر الفتاة فيقول : (١)

(شاءت الظروف ان يبتعد عن موقع القيادة فى مصر الفتاة إلا أن ذلك تم برضاء إخوانه وزملائه وعلى رأسهم الزعيم الراحل أحمد حسين .

وبعد ان ابتعد عن هذا الموقع فإن علاقته بهم لم تتغير ولم تتبدل يحوطها دائما الحب والإعزاز والود المتبادل)

---

(١) - ابراهيم الزيادى - مقال بجريدة الشعب الصادرة فى ١٩٨٦/٤/٢٩

الفصل السادس

التفرغ للعمل الصحفى

بعد استقالته من مصر الفتاة تفرغ لتأليف كتب الدراسات والمراجع العلمية وهى المرحلة الثانية من حياته التأليفية .

تبع مرحلة كتاب الشهر .. مرحلة الدراسات والكتب الكبرى .. ثم مرحلة الموسوعات والبحوث وهى المرحلة الثالثة من حياته التأليفية .

.. وحتى يتفرغ تماما للتأليف وجد أن مسكنه بالعباسية المطل على معسكر الانجليز لم يعد صالحا لهذه المرحلة .. فتركه واستأجر دورا فى فيللا تمتلكها الفنانة ليلى مراد فى حى جاردن سيتى .

وفى بداية هذه المرحلة أصدر كتابا عن روسيا ثم كتابا عن النيل ولكن الصحافة سرعان ما اجتذبته واتخذ من الكتابة الصحفية مهنة له .

●● جريدة نداء الحرية

فى الأربعينيات أصدر مجلة أسبوعية أسماها .. (نداء الحرية) وقد ساعده فى ذلك فؤاد سراج الدين وزير الداخلية آنذاك فى الترخيص بصدور المجلة وفى إمدادها بالتليفونات ، وما إلى ذلك . برغم أنه كان سكرتير حزب مصر الفتاة الذى ظل يناصب حزب الوفد العداء .

لكن .. هكذا كانت أخلاقيات الأحزاب ورجالها فى ذلك الوقت ـ تحترم الرأى الحر وتشجعه .

.. واستمر صدور هذه المجلة حوالى عام .. إلا أنه أغلقها .. لأنه لم يستطع أن يتحمل عبء مصروفاتها .. إذ كانت أكبر بكثير من قدرته المالية .. فأغلقها وعاد من جديد يعمل بالصحف الأخرى .

●● جريدة الأسبوع

كان صديقه جلال الحمامصى يستعد لإصدار جريدة أسبوعية أسماها .. (الاسبوع) لينافس بها أخبار اليوم .. وطلب من صبيح الاشتراك معه فى تحرير الجريدة فقبل .. وظل يعمل معه إلى أن أغلق الحمامصى جريدته بعد أن رفض أى مصاريف سرية عرضت عليه . وقد أكد ذلك موسى صبرى فى مذكراته .

●● جريدة أخبار اليوم

كانت فترة المعتقلات فرصة طيبة لنشوء صداقات حميمة بين صبيح وكل رجال مصر الوطنيين ، وقد ذكرنا فى الصفحات السابقة أنه كان داخل المعتقل بمثابة قائد للمعتقلين .. يبحث مشاكلهم الداخلية ويعمل جاهدا على حلها والتقريب بين وجهات نظر المعتقلين .. ولهذا كان محل إعجابهم واحترامهم جميعا .

.. وكانت حجرته فى المعتقل مكانا لاجتماعاتهم .. فيها تعقد الندوات

وتدور المناقشات حول مستقبل المعتقلين ومستقبل مصر السياسى ومن فكر صبيح إستقى الكثير من الصحفيين .. ومن أسلوبه نهل الكثير أيضا من أقطاب الصحافة المصرية الان .

وفى إحدى زياراته لمصطفى وعلى أمين عرضا عليه أن يعمل معهما فى أخبار اليوم فقبل وتقاضى أعلى مرتب كان يأخذه صحفى أوكاتب فى ذلك الوقت وعمل بها فترة وجيزة .. ثم تركها .

.. وكم كان يتمنى أن يظل بهذه الجريدة اليومية لأنه كان يؤمن بأن الجريدة اليومية سجل كامل لحياة أمة .. وأن أخبار اليوم تمثل الصحافة الجديدة .. بعيدا عن بطش الحكومة والانجليز . وسنلاحظ ذلك فى نهاية هذا الفصل عند الحديث عن علاقته بأبناء مهنته .

● ● مدرسة الأساس الصحفية :

تعتبر الفترة التى قضاها محمد صبيح فى جريدة « الأساس » فترة هامة فى حياته الصحفية ، وتخرج فى هذه المدرسة كثير من الصحفيين اللامعين .

وتبدأ هذه الفترة عام ١٩٤٧ عندما تولى الحزب السعدى الحكم ، فأنشأ جريدة ناطقة باسمه سماها « الأساس » وكان مقرها بشارع الشواربى بالقاهرة وفى أوائل عام ١٩٤٨ زار الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب السعدى والمشرف العام على جريدة الحزب .. صبيح فى منزله بجاردن سيتى وتحدث معه طويلا بشأن الجريدة ، وطلب منه أن يتولى أمر تحريرها ولكنه طلب من حامد جودة أن يزور الجريدة ويتفقد أقسامها ويكتب تقريرا برأيه وإمكانية عمله ، وقد كان ، وانتهى التقرير بأن أغلبية العاملين من عواجيز الصحافة ، وأنه لابد من إدخال عنصر الشباب بها فقبلت اقتراحاته وعين مديرا للتحرير واشترط أن يكون

صحفيا متفرغا وليس عضوا بالحزب السعدى ، وقد احترم الحزب رغبته ، وكان رئيس التحرير وقتها الدكتور على الرجال المحامى الشهير وعضو الهيئة العليا للحزب السعدى أنذاك وكتب مقال الصفحة الأولى الكاتب الكبير عباس محمود العقاد ، وإبراهيم عبدالقادر المازنى .

وكان صبيح حريصا على مقال العقاد وقد حدثنى د . على الرجال قائلا :

كان العقاد يكره الخطأ الذى يجده فى مقالاته ـ لذلك دأب صبيح على مراجعة مقالات العقاد بنفسه . لأنه يخشى أن يكون عامل جمع الحروف قد أخطأ ..

.. وكان حريصا على مراجعة هذه المقالات بالذات .. وكان يقول لنا إننا نتعلم من مقالات العقاد . فقد كان يحب شخصية العقاد .. كما كان يحب أفكار المازنى .

وكان يطلب من رؤساء أقسام الترجمة أن يرسلوا له الأصل المترجم وترجمته .. وفى هذه الفترة التى عمل بها فى جريدة الاساس تخرج على يديه الكثير من نجوم الصحافة المصرية . فقد ذكرنا أنه لم يقبل العمل بها إلا بعد تنظيمها ليجعل منها مدرسة صحفية رائدة .

حيث ضم إلى الجريدة مجموعة من الشباب وقتها منهم : أنيس منصور وجميل عارف وعادل مجدى وحسن سلومة وحمدى فؤاد وممدوح طه وعدلى جلال ومحمد شرف وأحمد عزمى وعبدالتواب يوسف وغيرهم .

ورأس القسم الخارجى عبدالحميد الحديدى الذى أصبح رئيسا للإذاعة فيما بعد .. أما الإشراف على الإخراج فهو لصديق الطفولة والشباب عبدالسلام الشريف .

كما أسند الإشراف على القسم الرياضى إلى محمود بدر الدين أشهر معلق كروى آنذاك .. وجعل من جريدة الأساس مدرسة صحفية تخرج فيها عشرات الرجال :

... يقول جميل عارف عن أيام الأساس :

لما حضر إلى الجريدة حمدى فؤاد وعادل مجدى لمقابلة صبيح يطلبان عملا فى جريدة الأساس بعد أن تخرجا من الجامعة :

سأل الأول عن اسمه فقال أوزيس مقار وسأل الثانى فقال صليب يونيه فقال لهما إن الأسماء فى الصحافة لابد وأن تكون سهلة واتفق معهما فى حضورى أن يغيرا اسمهما .. وقد كان .

وكان حمدى فؤاد كلما ألف كتابا أهداه إليه .. ويكتب فى إهداء الكتاب : (الى أستاذى الذى علمنى الصحافة وغير إسمى) .

وتمضى أيام جريدة الاساس .. ويصبح إبراهيم عبدالهادى باشا رئيسا للوزراء .. وكان يقضى معظم أمسياته فى جريدة حزبه وكان يجلس معه حامد جودة والدكتور على الرجال رئيس تحرير الجريدة ثم يختم السهرة فى مكتب صبيح ليتعرف على آخر الأخبار .. وفى معظم الأمسيات كان يطلب عشاء ويتناوله فى مكتب صبيح !

● ● رفقاء مصر الفتاة يطلبون مساعدته

فى أوائل الخمسينات لجأ إليه أحمد حسين ، وفتحى رضوان وفتحى الرملى زملاء النضال القدامى .. وطلبوا منه طبع صحفهم فى مطابع الأساس .. وقد كان الأول يصدر جريدة (الاشتراكية) أما الثانى فيصدر جريدة (اللواء الجديد) أما الثالث فكان يصدر إحدى الصحف الشيوعية .

وكانت كل هذه الصحف تعمل على هدم النظام الملكى بما تنشره من مقالات ثورية .. إلا أنه كان ينقصها المال !!

طلب منه الرفقاء الثلاثة طبع صحفهم وتأجيل الدفع إلى ما بعد التوزيع فأصدر صبيح أمرا بطبعها على مسئوليته الخاصة تشجيعا لهذه الجرائد على الصدور لأنها تخدم هدفا يسعى إليه هو ورفاقه من مؤسسى مصر الفتاة .

وانتهى به الأمر إلى أنه قام بدفع دين جريدة اللواء الجديد التى كان يصدرها فتحى رضوان من مكافأة ترك خدمته بعد أن أغلقت جريدة الاساس بسبب حل جميع الأحزاب بعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ م .

الفصل السابع

ثورة يوليو وبدء مرحلة التحول

إستمر صبيح فى العمل بجريدة الأساس حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ م وبقيام الثورة بدأت مرحلة جديدة فى حياته . إذ كانت الثورة حلما من أحلام حياته وتحقق .. وانتهت بها مرحلة كفاحه السياسى فقد انتقل الحكم فى مصر إلى أيدى أبنائها المخلصين وهدأ بال الصحفى الثائر من أجل مصر لمدة عشرين عاما من النضال بقلمه (١٩٣٢ ـ ١٩٥٢) .

.. وصمم على تأييدها بعد طرد الملك وإلغاء الألقاب وإصدار تشريع للإصلاح الزراعى ..

وتحول من مجاهد بالقلم إلى مشارك بالرأى والفكر وجندى من جنود الثورة فى تحقيق العدل والحرية لشعب مصر ..

ولعب محمد صبيح دورا بارزا فى خدمة أهداف ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ودعمها لأنها كانت تمثل أحلام كفاحه .. ووضع كل خبراته لتحقيق أهدافها (١)

• • الثورة تعتقل ثوار ماقبل الثورة

حتى تؤمن الثورة نفسها قامت بحل الأحزاب وإغلاق صحفها واعتقال عدد من السياسيين الذين مارسوا الحياة السياسية قبل الثورة ، كما اعتقلت عددا كبيرمن الصحفيين من بينهم محمد صبيح والدكتور على الرجال .. فى معتقل الثانوية العسكرية لمدة ثلاثة أشهر .

وفى المعتقل كانت غرفة صبيح بجوار غرفة فؤاد سراج الدين وكانا يلتقيان يوميا بغرفة أحدهما .. وفى المعتقل أفضى سراج الدين بالكثير من الأسرار لصبيح .. وقد أفادته هذه المعلومات بعد ذلك كثيرا فى كتاباته .. وتأريخه لهذه الفترة ..

.. وخرج صبيح من المعتقل ليجد نفسه بلا عمل فقد أغلقت صحيفته التى كان يعمل بها ولم يكن له مصدر رزق يعيش منه .

يقول شقيقه محمد صيفى عبدالقادر .. لقد كان شديد الدهشة لاعتقاله .. لأن المقصود بهذا الاعتقال السياسيون الذين قيل إنهم أفسدوا الحياة السياسية قبل الثورة .. ولم يكن هو بحال من الاحوال من هؤلاء . فقد كان ينتمى ولمدة طويلة لحزب يحارب هذه الاحزاب التى قيل إنها أفسدت الحياة السياسية ..

ثم إنه عندما ترك حزب مصر الفتاة لم ينضم إلى أى حزب آخر حتى جريدة الأساس وهى لسان حال حزب السعديين إشترط عند العمل بها ألا ينضم إلى الحزب ويعمل صحفيا مهنيا فقط ..

---

(١) محمد رشاد عبدالله ـ جريدة السياسى الصادرة فى ١١/٤/١٩٩٣

وحاول محمد صبيح أن يسأل عبدالناصر عن سبب اعتقاله بعد قيام الثورة وقت أن كان فى زيارة لمحافظة البحيرة لتوزيع أرض الاصلاح الزراعى على الفلاحين وقد كلف صبيح بالإشراف بنفسه على تنظيم الاحتفالات التى أقيمت فى المحافظات بهذه المناسبة سأله صبيح قائلا : أنا عاوز ياريس أعرف سببا واحدا لاعتقالى سنة ١٩٥٢ خاصة وأنت تعرف أننى لم أكن يوما من الأيام رجعيا .. وأننى كنت فى عملى بجريدة الاساس صحفيا محترفا قبل أى شىء آخر ..

.. وكانت مفاجأة لكل الذين رافقوا عبدالناصر وسمعوا الحديث . إذ قال الرئيس : أقسم لك اننى أعطيت صوتى فى مجلس قيادة الثورة ضد اعتقالك .. ولكن أحد أصدقائك فى المجلس هو الذى أصر على اعتقالك ..

ولما وجد أن كل الصحف الحزبية قد أغلقت .. وضاق به الحال قابل أحمد أبوالفتح رئيس تحرير جريدة المصرى آنذاك وعرض عليه أن يعمل كاتبا من بين كتاب الجريدة ..

.. وكانت المفاجأة عندما رد عليه أبو الفتح ..

- انا موافق على عملك معى .. ولكن بشرط موافقة الرئيس جمال عبدالناصر ..

هنا .. إنسحب فى هدوء دون أن يقول كلمة .. فهو لايمكن أن يطلب بنفسه من عبدالناصر أن يعمل بجريدة المصرى مع ثقته بأنه لن يرفض !!

.. وكانت الصحف الحزبية قد تم إغلاقها جميعا عدا جريدة « المصرى » التى أغلقت بعد ذلك ..

•• علاقته بمجلس قيادة الثورة

كانت علاقته ببعض أعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ علاقة لابأس بها كما كانت تربطه علاقة وثيقة بالمرحوم وجيه أباظة المسئول عن الإعلام بمجلس القيادة .. اذ كان لفترة طويلة عضوا بمصر الفتاة مع الرئيسين جمال عبدالناصر وأنور السادات وآخرين بمجلس الثورة . وإن كانوا قد قرروا اعتقاله .. فذلك لتأمين مسيرة الثورة من أى هزة يمكن أن تتعرض لها من الداخل ..

.. وكان من أشد القادة ارتباطا به وجيه أباظة لإعجابه بجرأة صبيح وسلامة أسلوبه .. ومع ذلك فلم يحاول أن يعرض خدماته ويضع نفسه تحت تصرفه لاستمرارية الجهاد من أجل مصر .. وأبى أن يتصل بأحدهم لما عرف عنه من عزة نفسه واحترام ذاته .. إلى أن اختاره المهندس سيد مرعى لمساعدته فى الإعلام عن الاصلاح الزراعى ورحب بذلك الاختيار الرئيس جمال عبدالناصر ..

.. ومن الجدير بالذكر أن عدداً كبيرا من مجلس قيادة الثورة كانوا أعضاء فى حزب مصر الفتاة ومنهم الرئيسان جمال عبدالناصر وأنور السادات ومن الأعضاء عبداللطيف بغدادى وحسن إبراهيم وغيرهم !!

وكثير من الضباط الأحرار وعلى رأسهم مصطفى بهجت بدوى الذى رأس دار التحرير للطبع والنشر لفترة طويلة ثم عمل كاتبا متفرغا فى الأهرام ..

•• تكليف صبيح بتوثيق فساد النظام الملكى

.. كانت الثورة فى حاجة إلى كشف فضائح النظام الملكى السابق أمام المصريين والرأى العام العالمى لتأييد وجودها ولكسب المزيد من الأنصار استعدادا للضربة الكبرى فى طرد المستعمر الأجنبى ..

وقد رؤى أن تكتب هذه التحقيقات بعقلانية .. وأن تكون موثقة .. ومرة أخرى أصدر الرئيس جمال عبدالناصر أوامره بأن يقوم صبيح بهذه المهمة .. على أن يقوم الضباط المكلفون بجرد قصر عابدين بوضع جميع الوثائق الموجودة بالقصر تحت تصرفه ..

.. وفعلا .. نقلت الوثائق والمستندات إلى منزله وكتب سلسلة من المقالات الموثقة بجريدة الجمهورية .. كشف فيها عن الكثير من الخفايا والوقائع التى لم يكن يعلم بها أحد حتى رجال القصر أنفسهم ..

●● الرئيس عبدالناصر وصبيح

كان محمد صبيح واحدا من الصحفيين القلائل الذين عرفهم الرئيس جمال عبدالناصر قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م . إذ كانت تربطه به علاقة قديمة منذ أن كان فى شبابه عضوا فى حزب مصر الفتاة .. وكان عبدالناصر كأى شاب من شباب الحزب يأتنس بكلام صبيح ليسمع منه حديثا عذبا عن الوطنية ..

وفى أحد الأيام وجد صبيح غير منشغل كعادته فأراد التقرب منه بأن قص عليه كيف اشتبك مع المدرس الإنجليزى فى مدرسته الثانوية لأنه أهان مصر وأوقعه أرضا وفصل .. وأصر رفقاؤه بالمدرسة الا يعودوا إليها إلا إذا عاد قائدهم الوطنى الذى ثار لكرامة بلده .. وتوطدت من يومها العلاقة بينهما .. هذه الحقيقة أكدها فتحى رضوان فى مذكراته التى نشرت .. وقال فيها : « استدعيت على أثر الإفراج عنى وخروجي من السجن بعد الثورة لمقابلة أعضاء مجلس القيادة فى مقر اجتماعهم بكوبرى القبة .. ولما ذهبت إليهم لم أكن أعرف من بينهم سوى أنور السادات .. وأثار انتباهى شاب طويل أسمر كان أعضاء المجلس يكنون له احتراما كبيرا .. ولما جلست

بادرنى هذا الشاب الطويل قائلا : الا تعرفنى ياأستاذ فتحى ـ قلت له . لم أتشرف بمعرفتك وابتسم الشاب الطويل وهو يقول لى : كنت عضوا فى حزب مصر الفتاة وكنت رئيسا لشعبة الحزب فى باب الشعرية .. وكان محمد صبيح رئيسى المباشر »(١) .

وأكد عمق العلاقة بين عبدالناصر وصبيح ماذكره : ديوموند استوارث فى كتابه : « مصر الفتاة » .. أنه سأل جمال عبدالناصر عن شبابه فقال :

.. (كنت فى حزب مصر الفتاة وفى تلك الأيام كنت لا أستطيع أن أدخل على أحمد حسين رئيس الحزب فى حجرته ولكن محمد صبيح السكرتير العام للحزب كان يفتح لنا دائما الباب لنجلس معه ..)

يقول صبيح عند لقائه بعد قيام الثورة :(٢)

« .. ذكرنى بثلاث سنوات قضاها فى الحركة الوطنية .. من ميدان المنشية إلى مدرسة حلوان ، وبليلة قضاهامع بعض الشباب فى قسم عابدين . تنفيذا لقرار مقاطعة بعض الأجانب الذين كانوا يتعالون على مصر والكرامة المصرية » .

.. لقد التحق قائد الثورة بالكلية الحربية بعد أن انتهت صلته بمصر الفتاة ولكنها أثرت فى نفسه تأثيرا لايزال يذكره ، وكذلك فعلت هذه الحركة مع كثير من زملائه الشباب الذين التحقوا بصفوف القوات المسلحة أو الذين عملوا فى الحياة المدنية .. وكانت صيحاتنا فى صحف مصر الفتاة تقول :

ياشباب ١٩٣٣ كن كشباب سنة ١٩١٩ وتقول : عزاء لجيش لايملك دبابة واحدة .. وكنا نقول : يافضيحة جيش يسقط فى مناوراته خروفا بالبراشوت بدلا من جندى ..»

---

(١) جميل عارف ـ مقال بجريدة التعاون فى ١٩٩٣/٤/١٣ صفحة ٦ ..

(٢) كتابه ـ وإن عدتم عدنا (ص١٨)

•• الرئيس السادات وصبيح

كانت تربط محمد صبيح بالرئيس أنور السادات قبل الثورة علاقة من نوع خاص ترجع إلى الثلاثينات . أى منذ أن كان محمد صبيح يعمل سكرتيرا عاما لحزب مصر الفتاة ..

وكانت من عادة الرئيس السادات أثناء الحرب العالمية بعد إخراجه من الجيش أن يلجأ إليه لمساعدته أحياناً على الاختفاء بعيدا عن مطاردة رجال البوليس السياسى ..

ولعلها أول مرة التى يعلن فيها أن الرئيس السادات كان كثيرا مايختفى فى الشقة التى كان صبيح يسكنها فى حى العباسية ..

وجاء وقت أصبح فيه الاثنان مطاردين من البوليس السياسى ، وتم اعتقالهما وأودعا معا فى سجن الأجانب . ثم فى معتقل الزيتون . وتم نقلهما بعد ذلك إلى معتقل آخر إسمه ماقوسة فى محافظة المنيا . وأفرج عنهما فى أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية !!

وأثناء ترشيح محمد صبيح لمجلس النواب عن مصر الفتاة فى دائرة الوايلى كان السادات مطارداً من البوليس السياسى . ومع ذلك كان يخرج من مخبئه للسير فى ركاب صاحبه صبيح لحراسته أثناء جولاته الانتخابية ..

•• السادات يتخلص من كل من ساندہ :

قال الأستاذ جميل عارف فى كتابه مع بارونات الصحافة المصرية :(١)

---

(١) جميل عارف ـ انا وبارونات الصحافة (ص٣٠٨)

« برغم العلاقة القديمة التى ربطت بين محمد صبيح وأنور السادات وكان تصورى أن يرد السادات الجميل للكاتب الصحفى الكبير بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ، وأصبحت كل القرارات تصدر منه . ولكن على العكس .. انقلب السادات على الرجل .. وكان أن عمل على إبعاده عنه فى محاولة منه لنسيان كل مايتعلق بماضيه قبل الثورة ..

أراد التخلص من كل الذين وقفوا وراءه أو ساندوه فى الكثير من المواقف الحرجة التى تعرض لها فى حياته حتى لايبقى لأحد فضل عليه ..

وهكذا ـ حورب صبيح من أقرب الناس إليه وأعزهم لديه .. فقد كان للسادات موقفان عدائيان من صاحبه صبيح :

■ الأول :

عندما أصر فى مجلس قيادة الثورة على أن يكون ممن تعتقلهم الثورة تحجيما لنشاطهم السياسى .

■ الثانى :

عندما رفض ترشيح عبدالناصر له رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية برغم أنه استعان بفتحى رضوان ليقنعه بأنه أصلح المرشحين ولكنه أصر على ألا يتولى رئاسة الجريدة » ..

●● السادات يعترض على ترشيحه لرئاسة جريدة الثورة

فى بداية قيام الثورة فكر قادتها فى إصدار جريدة لها .. تحمل تعاليمها وأخبارها إلى الشعب برغم أن الصحف التى كانت تصدر فى ذلك الوقت كانت فى خدمة الثورة وفى قبضتها .. وأن قادة الثورة يدركون

تماما مدى فشل الصحافة الحكومية منذ أن أصدر صدقى باشا جريدة الشعب .

وبالرغم من ذلك أرادوا جريدة تحمل اسم (الجمهورية) والتى مازالت تصدر إلى اليوم .

وكان أول الأسماء التى رشحت لرئاسة تحرير الجريدة .. جلال الحمامصى ولكنه كان يشغل وظيفة المستشار الصحفى لسفارة مصر فى أمريكا وقتئذ ، ووجد أنه من غير المناسب استدعاءه

كان جمال عبدالناصر - يرى أن نجاح الصحافة الحكومية يعتمد على أساتذة فى الصحافة .. وأن صبيح هو الوحيد الذى يستطيع ذلك - ولكن كان رد أنور السادات عليه :

إنه عظيم وذكى وممتاز فى عمله - لكن لذكائه ونشاطه وقدراته « يبلع » من حوله ، ويثير حفيظتهم ، وحسدهم وحقدهم عليه .

علم أحمد حسين باتجاه قيادة الثورة الى إصدار جريدة الجمهورية وكانت له علاقة جيدة ببعض رجالها .

فقام بزيارة لأنور السادات ودار بينهما ذلك الحديث الذى رواه لبعض أصدقائه :

- أنا سمعت أن القيادة الجديدة فى سبيلها لإنشاء جريدة يومية تعبر عن الثورة وأن الإشراف عليها سيكون لك .

- جريدة يومية باسم (الجمهورية) .

- ترى من اخترت رئيسا للتحرير ؟

- لم نستقر بعد . وهناك أسماء كثيرة مرشحة لذلك .

- وهل هذه مسألة تحتار أنت فيها ؟

ليس هناك من يصدر لك هذه الجريدة غير محمد صبيح . إنه اسم كبير فى عالم الصحافة ثم إنه من المجاهدين القدماء الذين يجب أن تستفيد بهم الثورة .

- إن محمد صبيح رجل جاد جدا وأنه لن يكون على وفاق مع باقى كبار الصحفيين والكتاب الذين تم التعاقد معهم .

وانتهت المقابلة - وفسر أحمد حسين اعتراض أنور السادات على أنه لايريد شخصا كان يعرفه منذ أمد طويل .. وأن شخصا مثل محمد صبيح لن يستطيع السادات أو الضباط الأحرار الذين يعملون معه أن يفرضوا عليه رأيا أو أن يتدخلوا فى عمله لأن اعتزازه وثقته بنفسه سيحول بينه وبين ما يريدونه .

وصدرت الجمهورية .. ولكن عبدالناصر طلب من صبيح بعد ذلك أن يكتب لها .

●● هو .. وابناء مهنته

إختط صبيح لنفسه خطا واضحا فى علاقته بزملائه ممن يعملون معه فى صناعة القلم .. وهى علاقة الوضوح والعلانية والنقد البناء بقصد تحرى الدقة والحقيقة فيما يكتب وينشر على الناس .

ولم تكن لصبيح شلة مثل باقى كبار الكتاب ولم يكن يهوى السهر فى الصالونات بل كان يقضى وقته بين عمله وبين القراءة والتأليف بمنزله أو مع أبنائه يقول فى ذلك (١) :

« وقد كان لمصطفى أمين شلة من الأصدقاء مروا فى حياته مثل أم كلثوم وفكرى أباظة وكامل الشناوى وهيكل (زمان) وأحمد الصاوى

---

(١) - مجلة صوت التعاون - يوليو سنة ١٩٨٢ (ص١٠ - ١١)

محمد ، وتوفيق الحكيم وغيرهم من أساطين السياسة والفكر ، وعلى الرغم من محاولات بذلها مصطفى أمين لكى أنضم إلى هذه الأسرة إلا أنها ، لم تفلح بسبب اعتراضات من الشلة ولاسيما هيكل وكامل الشناوى وربما صنعوا بى خيرا ، لأنى اتجهت إلى إنشاء دار صحفية جديدة تصدر نوعا من المجلات المتخصصة .. وهى « دار التعاون ». وكان أقرب الرفاق منه مجلسا جلال الدين الحمامصى .. وقد كتب الحمامصى يقول :

على مدى رحلة طويلة من الكفاح الصحفى المشترك . كنت أراه إلى جانبى وأرى نفسى الى جانبه ـ نتبادل الرأى عن قرب وعن بعد ..

●● سنوات .. الاصلاح الزراعى

علم المهندس سيد مرعى بتوقف نشاط صبيح الصحفى منذ شهور لإغلاق جريدة الأساس أثناء فترة اعتقاله .. وكان يعرف عنه رجاحة عقله وثاقب فكره وحبه الشديد لمصر .

كانت قد نشأت علاقة قوية بين صبيح وسيد مرعى وقت أن كان الأخير بين الشباب البارزين فى الهيئة السعدية قبل الثورة .. فاستدعاه سيد مرعى وعرض عليه أن يعمل معه فى الإصلاح الزراعى كصحفى للمشروع وبوظيفة (مراقب للإعلام) وذلك فور توليه رئاسة الاصلاح الزراعى .

وقبل تسلمه العمل بالإصلاح الزراعى ذهب سيد مرعى إلى الرئيس عبدالناصر يستأذنه فى تعيين محمد صبيح مراقبا للإعلام . فوافق على الفور وقال قولته الشهيرة :

محمد صبيح مش حتلاقى أحسن منه !!

وكانت هذه العبارة وسام شرف على صدر صبيح .. وتقديرا

لتاريخه الوطنى ومهمة مراقبة الصحافة والإعلام - هى تعريف الفلاحين بكل الحقائق والمعلومات عن قانون الإصلاح بوسائل الإعلام المختلفة من صحف واذاعة ، وإصدار النشرات والمطبوعات المتعلقة بهذا المضمون والدعاية فى الداخل والخارج لمشروع الثورة الأول والذى ظل جمال عبدالناصر يعتبره درة إنجازاته ولسنوات طويلة .

وعندما قبل صبيح العمل بالإصلاح الزراعى وجه اللوم إليه أصدقاؤه . وكان أبرز لوامه حافظ محمود شيخ الصحفيين .. إذ أرسل إليه قائلا : كيف وأنت المتخصص المتعمق فى فنون الصحافة تقبل وظيفة فى الزراعة . ولم يدرك شيخ الصحفيين أنه سينجز إنجازا رائعا فى الإصلاح يتباهى به رئيس الجمهورية .. وأن هذه المرحلة من حياته كانت سببا مباشرا لتحوله نحو التعاونية .

وكان اختيار المهندس سيد مرعى له نقطة تحول كبيرة فى حياته .. إذ شدت من أزره للمساهمة بجهده وفكره لخدمة قضايا الفلاحين .

يحدثنا سيد مرعى عن حياته مع محمد صبيح فيقول (١) :

« توليت أعمال الاصلاح الزراعى فى الخمسينات ، وانشأت مايسمى وقتها إدارة الصحافة .. وعهدت إلى محمد صبيح بهذه الإدارة التى خصص لها غرفة واحدة فى مبنى الإصلاح الزراعى بعابدين - وإذا بصبيح يحيط نفسه بمجموعة من الشباب بث فيها روح التعاون والحب والإخاء .

وإذ بهذه المجموعة تنشط نشاطا كبيرا ولاتكتفى بالنشاط الصحفى بل تبدأ فى توثيق بيانات الإصلاح الزراعى وتصدر النشرات الدورية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية .. وكانت هذه الادارة أكبر عون لى فى إصدار كتابى الأول عن الاصلاح الزراعى فى مصر » .

---

(١) - جريدة التعاون الصادرة ١٩٨٣/١/٢٥

•• اهتمام الرئيس :

كان الرئيس عبدالناصر يعطى اهتماما كبيرا لمشروع الاصلاح الزراعى .. لأنه باكورة مشروعات الثورة .

لذلك كان يرى أن المشروع يحتاج إلى دعاية ضخمة داخلية وخارجية . وحرص على زيارة رؤساء الدول وكبار المسئولين فى الدول الأخرى المتواجدين فى مصر لمناطق الإصلاح وجمعياته التعاونية وأن يكون صبيح مرافقا لهم فى زيارة هذه المناطق .

•• جهد ضخم وإمكانيات متواضعة :

كان الإصلاح الزراعى فى نشأته يشغل عددا من الحجرات فى قصر عابدين خصصت إحداها للإعلام .. وكان بها صبيح والعاملون معه فى هذا المجال . وقد بدأ بتعيين أربعة أشخاص هم : هيفاء الشنوانى لتقوم بترجمة الكتب والنشرات وقد حصلت على الدكتوراه بعد ذلك - وأحمد الشابورى ، وسميرة خليل وكيل وزارة بالاصلاح الزراعى الآن ، وعز الدين كامل (مستشار دار التعاون الآن) .

ومن هذه الحجرة أصدر مجموعة من الكتيبات والنشرات الإعلامية بلغات مختلفة : العربية والانجليزية والفرنسية .

ومنها أيضا صدرت عشرات الكتب . كان أهمها كتابه التاريخى الأول من نوعه عن قصة الارض فى مصر ، أتبعه بآخر عن الفلاح وأسرة محمد على !! وتعد هذه الكتب من أحسن ماكتب عن تاريخ الملكية الزراعية فى مصر .. وفوق ذلك فهى سجل تاريخى حافل عن قصة الأرض والانسان المصرى .

وقد استعان صبيح بالرسامين والمخرجين فى الصحافة المصرية وهم الفنان عبدالسلام الشريف رفيق عمره ، وحسن فؤاد ، وحسن

عثمان والفنان زهدى الذى قام برسم كتاب ألف باء الاصلاح الزراعى .

●● من مراقب للإعلام لمستشار صحفى

لم تمض فترة طويلة على تعيينه مراقبا للإعلام .. إلا وطلب من المهندس سيد مرعى أن يكون مستشارا صحفيا للإصلاح حتى لايتعارض ذلك مع عضويته لنقابة الصحفيين .

●● جريدة القاهرة :

أثناء عمله بالاصلاح الزراعى طلب منه حافظ محمود شيخ الصحفيين أن يعمل معه فى جريدة القاهرة وكانت جريدة يومية مسائية وظل يعمل بها حتى توقفت عن الصدور .

●● صبيح يقوم بمصالحة رجال الثورة على الشيخ علوان

كان الشيخ محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى محافظة الشرقية ، كما كان نائبا بالبرلمان عن دائرة بلبيس وله نفوذ واسع بالمحافظة .. ويتمتع بشعبية جارفة بين أبناء الشرقية لموقعه الدينى والسياسى ويحوطه الكثيرون من الأنصار والمريدين .

ولما قامت الثورة أطلق بعض قادتها ولعلهما جمال وصلاح سالم إشاعات منها أن الشيخ يسهل الاتجار بالمخدرات وكان ذلك غير صحيح على الإطلاق .

إعتكف الشيخ علوان فى منزله غاضبا من رجال الثورة .

وبعد انتهاء الأزمة بين رجال الثورة فى مارس ١٩٥٤م بسبب التنازع على السلطات .. اقترح المهندس سيد مرعى على الرئيس

عبدالناصر أن يقوم بزيارة لمحافظة الشرقية لتوزيع أراضي الإصلاح على المعدمين بها فى احتفال كبير يقام لهذا الغرض . وتكون هذه المرة الأولى التى يظهر فيها بعد الأزمة مما يؤدى إلى التفاف الفلاحين حوله فتزداد شعبيته على منافسه على رئاسة مجلس الثورة محمد نجيب .

ولما علم الشيخ محمد علوان وأنصاره باحتمال زيارة عبدالناصر إلى قرى الشرقية قرروا مقاطعة الاحتفال واتصل الرئيس عبدالناصر بسيد مرعى وطلب منه إلغاء الاحتفال لأن تقارير المخابرات تفيد أن رجال الأحزاب وعلى رأسهم الوفد وكذلك الشيخ محمد علوان سيقاطعون الاحتفال الذى أعد له فى قرية مجاورة لمدينة بلبيس .. وأن تعليمات الشيخ قد صدرت بإغلاق الحوانيت ومقاطعة الاحتفال .

ودهش سيد مرعى وبحث الموضوع مع صبيح الصديق الحميم للشيخ علوان وقررا الذهاب ليلا لمقابلته .. وفى منزله تم ترضيته واصلاح مابينه وبين رجال الثورة .

واقيم الاحتفال ونجح نجاحا عظيما .. ومنذ ذلك اليوم أخذت شعبية عبدالناصر فى الصعود إلى أن تخلى له محمد نجيب عن رئاسة مجلس قيادة الثورة .

● ● عبدالناصر يطلب من صبيح أن يكتب

بعد أن استقرت أمور الثورة وبدأت مشروعات الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى لم ينس الرئيس جمال عبدالناصر رغبته التى حال دون تحقيقها الرئيس أنور السادات فى أن يتولى صبيح رئاسة تحرير جريدة الجمهورية .. جريدة الثورة ولسان حالها .

وبعد أن لمس المجهود الضخم الذى بذله صبيح فى مشروع الإصلاح الزراعى طلب أن يكتب مقالاته فى الجمهورية تقديرا لدوره

الإعلامى فى المشروع لثقته فى قدرة صبيح الصحفية .

إستجاب صبيح لطلب الرئيس وعمل كاتبا بجريدة الجمهورية فى الوقت الذى كانت جريدة القاهرة التى أسسها زميله حافظ محمود قد توقفت عن الصدور .

ومن خلال كتاباته للجمهورية كلف برئاسة تحرير مجلة (التحرير) التى صدرت عن الجمهورية لفترة وجيزة ثم توقفت عن الصدور .

●● صلاح سالم يخفى قرار عبدالناصر

تولى صلاح سالم رئاسة مجلس إدارة دار التحرير التى تصدر عنها جريدة الجمهورية بعد أنور السادات .. وأصدر الرئيس جمال عبدالناصر قرارا بتعيين محمد صبيح رئيسا لتحرير الجريدة .. ولكن صلاح سالم أخفى هذا القرار فى درج مكتبه ولم يعمل على تنفيذه .

وذلك لأنه قام بعرض هذا القرار على حسين فهمى وكامل الشناوى وكانا يعملان رئيسين لتحرير الجريدة .. إعترض الإثنان . وقال كامل الشناوى لصلاح سالم :

أظن أن محمد صبيح سيتعبك كثيرا كرئيس للتحرير ، لأنه جاد جدا ، وهو لايعرف غير العمل ، كما أن دماغه ناشفة ، ولكن لاتستطيع السيطرة عليه . (١)

وهكذا أخافوا صلاح سالم من صبيح .. فلم يعمل على تنفيذ القرار .. وحفظه فى درج مكتبه !!

---

(١) - جميل عارف - المرجع السابق (ص٣١٠)

● ● صلاح سالم يثور فى وجه صبيح :

صمم صبيح على الانتقال بمراقبة الصحافة إلى مبنى مستقل عن قصر عابدين الذى اتخذ الإصلاح الزراعى منه مقرا فى بداية عهد الثورة ـ وقد أيده فى ذلك الاتجاه المهندس سيد مرعى بعد نجاحه فى الإعلام عن الاصلاح الزارعى داخليا وخارجيا وابراز جهود الثورة فى الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى بصفة عامة ، وتسجيل وتوثيق وقائع فساد الملك والحاشية فى عهد الملكية .

واتفق مع سيد مرعى على استئجار مكان أرحب وأوسع يضم مراقبة الصحافة للإصلاح الزراعى والمجلة الزراعية التى كان قد صدر العدد الأول منها فى يوليو عام ١٩٥٨م ومايمكن إصداره من صحف ومجلات بعد ذلك .

بعد البحث إستقر الرأى على مقر جريدة الشعب التى هى أصلا مقر جريدة المصرى .. وأصحابها آل أبو الفتح .

كانت جريدة الشعب بعد إغلاقها قد انضمت الى أسرة تحرير جريدة الجمهورية . وإن كان مقرها ما زال يتبع دار الجمهورية التى كان يرأس مجلس إدارتها صلاح سالم خلفا لأنور السادات كما ذكرنا .

أرسل صبيح خطابا رسميا إلى صلاح سالم يطلب منه تأجير هذا المقر .. ولكنه رفض .. فطلب صبيح مقابلته .. ودار حوار هذا نصه :

ـ أرسلت الى سيادتكم خطابا لتأجير مقر جريدة الشعب فلماذا رفضت ؟

ـ إنت عايز تورثنى بالحيا والا إيه ياسى صبيح ؟

ـ نحن جميعا نصدر صحفا باسم الثورة وأنت من نجوم الثورة .

- رغم كل ماتقوله فأنا لن أفرط فى هذا المقر مهما كانت الأحوال !!

- ولكن فى عهدك هذا المقر مطفأ ، وعندما نستأجره ستدب فيه الحياة ويصبح منيرا بدلا من أن يكون مهجورا .

إستراح سالم وبدأت عصبيته المشهورة تخف تدريجيا ولكن صبيح واصل حديثه معه بخبر أربكه وأثار دهشته .

- فى درج مكتبك قرار من الرئيس جمال عبدالناصر بتعييني رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية ، وأنت لم تنفذه حتى الآن ، وأنا متنازل عن هذه الوظيفة فى مقابل أن تؤجر لى مقر جريدة الشعب .

(دقائق من الصمت)

- موافق على أن أؤجر دار الشعب بشرط واحد أن تقول لى من أخبرك بهذا القرار ؟

- إسمح لى ألا أخبرك .

- أنا موافق على تأجير المقر .

وكان الذى أخبره بالقرار ورفض ذكر اسمه هو المرحوم وجيه أباظة وكان يشغل وظيفة العضو المنتدب لدار الجمهورية حينذاك(١)

وهكذا استطاع صبيح بخطة محكمة استخدم فيه ذكاءه استخداما طيبا أن يحصل على عقد إيجار المكان المطلوب له .

---

(١) الاستاذ / محمد صيفى عبدالقادر

.. وكان انتقال المجلة الزراعية إلى مبنى دار الشعب بشارع قصر العينى وكذلك انتقال مراقبة الصحافة والإرشاد لهذا المبنى يعتبر بكل المقاييس نوعا من التوسع له شأنه فى إنشاء مؤسسة دار التعاون الصحفية . وبدأ صبيح فى بناء عنبر فى الجزء الخلفى من مبنى دار الشعب ، واشترى له ماكينات طباعة جديدة .. ثم بدأ فى تكوين الجمعية التعاونية للطبع والنشر بمساهمات من الجمعيات التعاونية للاصلاح الزراعى .

وكانت هذه الجمعيات بها وفرة فى الأموال .. فهناك فى كل جمعية بند تحت مسمى (المكتبات والتثقيف العام) .

وقد انهالت المساهمات من الجمعيات حتى أصبح رصيد الدار من الأموال لابأس به .

● مكتب عن أسباب تمسك الفلاحين بالثورة يقول :

(.. وكان الفلاحون على حق فى تمسكهم بهذه الثورة ، والذين قادوها .. فقد عاشوا أزمانا رازحين تحت مظالم يندى لها جبين التاريخ سواء فى أيام الحكم المملوكى ، أو التركى ، أو فى عهد محمد على وخلفائه .. فلما جاء الانجليز ، تفننوا فى وصف تعاسة الفلاح ، ولكنهم مكنوا للمرابين الأجانب ، ومكنوا لأعوانهم . من رقاب الفلاحين ، وأرزاقهم مما لم يحدث له مثيل من قبل .. وماحدث فى أيام الحرب العالمية الأولى ، من سوق مليون شاب من أبناء الريف للعمل وراء خطوطهم فى فلسطين ، بغير أى حقوق ولارعاية ، جدد أيام حفر قناة السويس ، وماحدث فى عهد دليسبس والخديويين سعيد واسماعيل ولكن بصورة أعنف ، وتزيد عليها سخرة الفلاحين ، ومصادرة أرزاقهم ومواشيهم ودواب الحمل من كل نوع ..)(١)

---

(١) مجلة التعاون الصادرة فى ١٩٩٣/٤/١٣

.. وإلى صبيح يرجع الفضل فى نجاح مؤتمرات الاصلاح الزراعى التى حضرها عبدالناصر فى مناطق كثيرة مثل دميرة وانشاص والفاروقية وبلقاس وغيرها من المناطق التى وزعت بها الأراضى المصادرة من الاقطاعيين على الفلاحين .

● ● فيلم الثورة الخضراء

إستطاع صبيح أن يقنع صديقه المخرج السينمائى محمد كريم بإنتاج أول فيلم عن الاصلاح الزراعى اسمه « الثورة الخضراء » وقد تم تصويره فى مواقعه الحقيقية

● ● شوفوا محمد صبيح عمل إيه

أثناء اجتماعات مجلس الوزراء جاء الرئيس عبدالناصر بمجموعة من الكتب التى أصدرها الاصلاح الزراعى ووضعها على منضدة الاجتماع أمام الوزراء وكان بينهم فتحى رضوان وزير الارشاد القومى وقال لهم :

شوفوا محمد صبيح كفرد عمل إيه .. واحنا عندنا مصلحة استعلامات ووزارة للإرشاد القومى مش قادرة تعمل اللى بيعمله صبيح وحده .

.. وكان هذا يعنى تقديرا خاصا من عبدالناصر للجهد الكبير الذى قام به صبيح لإثارة حماس جماهير الشعب فى مصر للاصلاح الزراعى .. وكانت شهادة رسمية تؤكد نجاح الرائد فى عمله الجديد . (١)

---

(١) جميل عارف ـ انا وبارونات الصحافة ـ الدار العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٩٣ .

● ● الاصلاح الزراعى قبلة الزائرين

ذكرنا أن مشروع الاصلاح الزراعى كان مشروع الثورة الأول وكان درة انجازات جمال عبدالناصر .. فلم يأت إلى مصر زائر كبير أو وفد صحفى أجنبى الا وكان على رأس برنامج زيارته لمصر زيارة مشروع الإصلاح الزراعى .

وكانت مراقبة الصحافة تشرف على هـذه الزيـارات ، وتقوم بتـرتيبات لقائهم بالفلاحين الذين تملكوا أرضا .

.. وكانت هذه الإنجازات الاعلامية تتم تحت نظر الرئيس عبدالناصر .

الصحافة التعاونية

أول من أصدر الصحف والمجلات التعاونية الدكتور إبراهيم رشاد الرائد الثانى للتعاون فى مصر .. وقد أصدر العديد من المجلات التعاونية مثل : « الهداية » و« الشعلة » و« التعـاون » و« الاتحاد التعـاونى » و «الرسالة» .. وغير ذلك من المجلات التعاونية التى صدرت فى النصف الأول من هذا القرن .

وعندما نتحدث عن دخول صبيح حلبة التعاون ووصوله إلى قمة رجالها .. نقول إن عمله بالإصلاح الزراعى ، وإيمانه به كمشروع ثورى ، والقيام بالدعاية له كأول إنجازات الثورة الاقتصادية والاجتماعية ومبعث فخر رجالها واعتزازهم كان هو الباب الذى دخل منه مستندا فى ذلك إلى قلمه الواعى وفكره المستنير .

فالإصلاح الزراعى وتوزيع الأرض على الفلاحين المعدمين طبقا للقانون ١٨٧ لسنة ١٩٥٢ م إستحدث نظاما تعاونيا محكما .. حيث

نص على تأسيس جمعيات إجبارية العضوية من صغار ملاك الأرض التى قام الاصلاح بتوزيعها .

.. ومن ثم كانت جمعيات الإصلاح الزراعى هى مصدر التمويل للنشرات والكتيبات التى يصدرها وكان جمهور قرائهـا معظمهم من منتفعى هذا المشروع .

.. وإذا كانت تجربة صبيح الأولى فى التعاون قد انتهت بقيـام الحرب العالمية الثانية إلا أنه ورجال مصر الفتاة كان اتجاههم تعاونيا كما قلنا من قبل .. وكان عمله بالإصلاح الزراعى هو الباب الذى دخل منه إلى حلبة التعاون وانطلق كى يؤسس صحافة تعاونية أسبوعية منتظمة فى إصدارها بدءا بالمجلة الزراعية .

●● صعوبة الإصدارات الأولى

.. لم يكن ميلاد هذه المجلة سهلا ميسورا مثل مولد كل الصحف والمجلات المصرية وقتها . بل كانت هناك معاناة شديدة لتخرج أعدادها للنور .. وكانت أسرة التحرير تجمع وتطبع أعداد المجلة الأولى فى أكثر من مطبعة ..

.. صحيح أن الإصلاح الزراعى كان يملك مطبعة صغيرة هى فى الأصل مطبعة مديرية التحرير وكانت قد انضمت إلى الجهاز الإعلامى بالإصلاح الزراعى وقتها ولكن لم تكن تفى بطباعة مجلة كهذه تصدر فى أكثر من عشرين ملزمة أغلبها بالألوان ..

.. ولأن صبيح كان يؤمن بأنه لاحياة لجريدة أو مجلة بدون مطابع تملكها ومقر مريح تملكه .. فعمل جاهدا على تأجير مقر جريدة الشعب واستعان بمطابعها وأضاف إليها . وقد تناولنا الحوار الذى دار بينه وبين صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة والذى انتهى

بإعجاب الأخير بمنطق صبيح فأجر له جزءاً من دار الشعب بعد أن كان رافضا ذلك تماما .. وقام صبيح باستيراد مطابع حديثة مازالت تعمل إلى الآن بدار الشعب وتعرف حتى اليوم بعنبر التعاون .

وانطلقت المجلة الزراعية كمجلة شهرية بشكل منتظم وقوى وفى ذهن صبيح أن تكون مجلة على غرار مجلة (الجغرافيك ماجزين) الأمريكية وهى واحدة من أعظم المجلات العالمية ، ولكن قلة الإمكانيات الطباعية حالت دون الوصول إلى هذا المستوى الراقى ، وإن كانت قد صدرت بشكل جديد عن المجلات التى كانت تصدر بمصر ، وعندما نقول قلة الإمكانيات الطباعية فقد كانت المجلة تطبع فى أكثر من مطبعة ويقوم على إخراجها كتيبة من أفضل الفنانين على رأسهم الأستاذ عبد السلام الشريف والفنان الكبير حسن فؤاد الذى كتب فى رثائه بعد وفاته قائلا :

« لا أنسى أيام أن اشتركت معه فى إصدار المجلة الزراعية التى كانت وما زالت أول مجلة مصرية متخصصة فى الزراعة .. كان دنيا من الحماس والتفاؤل وقهر المستحيل ، وبرغم أنها كانت تصدر عن هيئة رسمية هى الإصلاح الزراعى إلا أنه كان يملك القدرة على إضفاء الحافز الفردى على كل مايفعل .. كان طرازا من الرجال .. إما أن تعمل معه أو تفرَّ منه !! »

وبعد وقت ليس بالطويل أسند مسئولية إصدار المجلة إلى المهندس الزراعى والصحفى عز الدين كامل الذى قام بهذا الجهد لسنوات طويلة تم تبعه محمود بسيونى الذى رأس تحريرها وعانى كثيرا فى سبيل إصدارها بشكل منتظم نتيجة عقبات من رئيس المؤسسة المسئول وقتها ولم يكتف صبيح بالأسرة الصحفية الصغيرة التى كانت تعد على أصابع اليد الواحدة بل رأى صبيح أن يكون للمجلة الزراعية مجلس إدارة من (علماء الزراعة والمهتمين بقضايا

الزراعة) فشكل مجلس إدارة لها برئاسته ، وعضوية عمداء كليات الزراعة وكبار المهتمين بالعمل الزراعى .

وكان المجلس يناقش مشاكل الزراعة فى مصر ويرسم الخطط للتغلب على الصعاب وتنبيه الحكومة إلى الأخطاء وعرض مطالب الفلاحين عن طريق المجلة .

يذكر صبيح عن هذه المجلة :

(إن هذه المجلة تصدر وعناية العلماء تحوطها . فتخاطب العقول العالمة المفكرة بالأسلوب الذى يرضيهم وهى فى نفس الوقت تجد ما تقوله لقرائها من الزراعيين ذوى الوعى ومن المثقفين عامة) .

•• جريدة التعاون (أسبوعية)

بعد عام تقريبا فكر صبيح فى إصدار جريدة تكون ملحقا للمجلة الزراعية تصدر كل أسبوعين بصفة مؤقتة ثم كل أسبوع .

.. صدرت باكورة أعداد الجريدة .. فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٩م فى مناسبة الاحتفال بالعيد السابع لقيام ثورة يوليو ١٩٥٢م لذلك يعتبر مؤرخو الحركة التعاونية المصرية أن يوم صدور هذه الجريدة هو الميلاد الحقيقى للصحافة التعاونية الزراعية المنتظمة فى مصر .

.. ومنذ صدور العدد الأول وحتى الآن ـ لم تتوقف هذه الجريدة عن الصدور أسبوعا واحدا وذلك بفضل رعاية تلاميذ محمد صبيح لها وفى مقدمتهم الاستاذ محمد رشاد عبدالله .. أبرز تلاميذه ورئيس مجلس إدارة مؤسسة دار التعاون الحالى ورئيس تحرير جريدة التعاون ، وحامل رسالته .

.. ونجاح هذه الجريدة واستمرار صدورها لمدة ستة وثلاثين عاما يرجع إلى أنها تركز اهتمامها على القضايا التعاونية ومشاكل وأخبار

التعاونيات فى مناطق الائتمان الرراعى والاصلاح الزراعى . والمناطق الجديدة فى أراضى الاستصلاح والاستزراع .

.. واستطاعت أن تبرز الشخصيات التعاونية فى المحافظات المختلفة وتقدمهم كقادة تعاونيين .

واستعانت القيادة السياسية بالأسماء التى لمعت فى جريدة التعاون من الفلاحين فقد كان كل سكرتير جمعية تعاونية فى الريف هو مراسل الجريدة فى ترشيحات المجالس المحلية ومجلس الأمة وقتها فقد كانت نسبة الـ ٥٠٪ تفرض أن يكون ربع هذه المجالس من الفلاحين ولمعت أسماء مثل عبدالحميد غازى وعبدالسلام الخولى وعبدالمولى عطيه والشيخ محمد جعفر والمرحوم أحمد الشهيدى ورشاد عمران وعطا سليم وعلى كامل وكل هؤلاء نجحوا كأعضاء فى مجلس الأمة ومازال بعضهم عضوا بمجلس الشعب .

•• قصة صدور جريدة التعاون أسبوعية

فى منتصف عام ١٩٥٩م أقيم معرض زراعى صناعى بالجزيرة . وأقام الإصلاح الزراعى جناحا أشرف عليه الفنان عبدالسلام الشريف ـ الذى حاز جائزة الدولة التقديرية منذ عامين ـ وقام الشريف بتصميم كافيتريا فلاحى من جذوع الأشجار وأقيمت بها أفران لتصنيع الفطير المشلتت والحمام وغير ذلك من الأكلات الفلاحية .

وتقرر أن يفتتح الرئيس عبدالناصر هذا المعرض وقرر أن يتناول مع مجلس قيادة الثورة وكبار رجال الدولة طعام الغداء فى هذه الكافيتريا وأثناء تناول القادة الغداء طلب الرئيس من السكرتارية احضار صبيح ودار الحوار التالى بينهما :

ـ لماذا لم أر يا صبيح جريدة التعاون هذا الأسبوع ؟

ـ لأنها تصدر كل أسبوعين يا سيادة الرئيس .

ـ لماذا ؟

ـ لقلة الامكانات .

وهنا طلب الرئيس سكرتيره الأستاذ محمد أحمد وقال له على مرأى ومسمع من كبار رجال الدولة ومن بينهم المهندس سيد مرعى : .

ـ يا محمد جميع طلبات صبيح تنفذ فورا .. وأى مذكرة بشأن طلبات له لجريدة التعاون تجاب .

شكر صبيح الرئيس عبدالناصر . ومن ذلك الحين وحتى الآن والجريدة تصدر أسبوعيا .

•• مشروعاتها الثقافية

وكان للصحافة الجديدة مشروعات ثقافية عديدة كمشروع محو الأمية . فقد أصدرت ملاحق أسبوعية تتضمن أحدث الأساليب العلمية المبسطة لتعليم الفلاحين القراءة والكتابة وكانت توزع مع هذا الملحق أقلام رصاص وأعلنت عن هدايا ضخمة تهم الفلاح كبناء منزل له أو بقرة أو جاموسة وكانت وقتها شيئا ثمينا بالنسبة للفلاح وظل هذا الملحق سنوات طويلة يصدر عن جريدة التعاون ورحب به كبار المفكرين فى مصر على أساس أنه خطوة عملية لمحو بعض آثار الأمية فى ريفنا المصرى وكانت الجريدة تناشد أبناء الفلاحين الذين دخلوا المدارس بعد الثورة أن من يعلم والده أو أى فرد من أهل قريته له مكافأة أخرى .

وعندما قامت ثورة اليمن ، سافرت بعثة من جريدة التعاون إلى اليمن ومعها نسخ من الجريدة وملحقها لمحو الأمية وطلب الرئيس السلال أن تمده جريدة التعاون بهذه الملاحق لأهميتها ولمحو أمية اليمنيين وقد لبت التعاون طلبه .

●● دائرة المعارف الزراعية

ولعل من أهم الأعمال الثقافية التى قامت بها دار التعاون إصدار دائرة المعارف الزراعية ، وكان هذا العمل فى حقبة الستينات عملا ضخما ينوء بحمله أقوى المؤسسات الثقافية .

واستعان صبيح فى تحقيق هذا المشروع الضخم بالعالم الزراعى الكبير الدكتور أحمد رياض رئيس مصلحة الكيمياء حينذاك واستعان الدكتور رياض بكبار علماء الزراعة والاقتصاد الزراعى وعمداء كليات الزراعة فى هذا المجهود العلمى الجبار وكانوا يتقاضون أجرهم على أساس سعر الكلمة الواحدة وصدر من أجزائها إثنا عشر جزءا حتى الآن .

ولما ترك صبيح المؤسسة توقف العمل بهذا المشروع الثقافى والعلمى الكبير لمدة تزيد على العشرين عاما وعندما تولى الأستاذ محمد رشاد ابن المؤسسة أعاد إصدار دائرة المعارف عام ١٩٩٣م وكلف بها واحداً من الرعيل الأول الذى كان مشاركا فى تحمل مسئولية إصدارها وهو الأستاذ عز الدين كامل ويقوم بالإشراف العلمى عليها الدكتور أحمد مستجير عميد كلية الزراعة جامعة القاهرة .

ومنذ صدور العدد الأول إهتمت الدوائر العلمية بهذا الإصدار .

حتى ان مكتبة الكونجرس أكبر مكتبة فى العالم كانت تطلب أعدادها بمجرد صدورها وكذلك الدوائر الجامعية العربية والأجنبية .

•• كتاب التعاون وكتب التراث

كما قامت دار التعاون بإصدار كتاب التعاون لكبار المفكرين التعاونيين كما نهضت المؤسسة فى بداية الستينات بطبع وتحقيق كُتب التراث بأسلوب عصرى وعلى ورق فاخر فبادر محمد صبيح بالاستعانة بكبار المحققين الإسلاميين تحت إشرافه شخصيا بصفته مؤلفا إسلاميا واستعان وقتها من أسرة العاملين بالدار بالدكتور محمد عاشور الكاتب الإسلامى الشهير والدكتور محمد البنا الأستاذ بالجامعات الإسلامية ، وبدأ فى إعادة إصدار وتحقيق كتاب (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) وهو من كتب الإسلام الوثيقة والشهيرة ثم كتاب (فتوح مصر وأخبارها) وقد لاقت هذه الكتب حين صدورها رواجا كبيرا ومازالت وما إن أجبر صبيح على ترك الدار عام ١٩٦٥ حتى توقف هذا الإنجاز وبدأت الدار بعد أن تحولت إلى مؤسسة صحفية تاركة اسمها الأول (الجمعية التعاونية للطبع والنشر) إلى طبع خطب الرؤساء والمسئولين واجتماعات الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الحين .

ومن الغريب أن يدور الآن فى الأوساط السياسية والصحفية حديث حول دور المؤسسات الصحفية وهل تصبح شركات مساهمة أو جمعيات تعاونية أسوة (بالليموند الفرنسية) وبهذا يعد تأسيس دار التعاون على أساس أنها جمعية تعاونية سبقا للأحداث بأكثر من ثلاثين عاما .

•• الصحافة التعاونية هى المتنفس للأقلام الحرة

إستطاع صبيح من خلال الصحافة التعاونية أن يكتب ما يشاء وينشره بين القراء وفى ذلك المتنفس الحقيقى للأقلام الحرة .. لأنها تخاطب فئات معينة وتحرص على وصول جرائدها ومجلاتها إلى هذه الفئات بانتظام .

وفى مقال طويل له كتب يخاطب الرئيس مبارك : (١)

« ترى هل يفتح عهد مبارك صفحة جديدة فى تاريخ الصحافة المصرية ويمد للصحافة من الحريات ما حد منها فى الماضى .. وأهم شىء قيد مجلس الصحافة وقيد إصدار الصحف والمجلات .. إن الصحافة التعاونية هى المتنفس المميز الآن للأقلام فاللهم أدمها نعمة .. واحفظها من الزوال » .

وهذه الكلمات تظهر حبه الشديد للصحافة التعاونية والصحف والمجلات التى أنشأها .. فهى وسائل التنوير للعاملين بالقطاع الزراعى موظفين وفلاحين وهم أحوج الناس فى المجتمع للثقافة والتنوير .

ومن آيات هذا الحب ما كتبه الأستاذ على الفولى إذ يقول : (٢)

« ضمتنى جلسة مع سيد مرعى بحضور المرحوم الأستاذ محمد صبيح الذى كان قد بدأ إصدار جريدة التعاون من مقرها حينذاك وكان بدار الشعب الحالية ، ومن خلال الحوار مع سيد مرعى حصلت على خبر ورأى محمد صبيح أنه يصلح خبر الصفحة الأولى من جريدة التعاون فقال سيد مرعى إنه أصبح خبر على الفولى وهو صاحب الحق فيه ، ولما كان محمد صبيح هو أول أستاذ لى فى العمل الصحفى فقد أكدت له تنازلى عن الخبر فقال سيد مرعى لمحمد صبيح إذا قبلت هذا فعلا فلابد أن تدفع له قيمة هذا الخبر .

فقال صبيح ـ رحمه الله ـ أدفع له فعلا وكتب ورقة بمبلغ سخى بقيمة هذا الخبر لكى أتسلمه من إدارة الجريدة ، وأضاف كما أننى

---

(١) ـ صوت التعاون ـ يوليو سنة ١٩٨٣م (ص١٧)
(٢) ـ المجلة الزراعية ـ ديسمبر سنة ١٩٩٣م (ص١٥)

سأفتح له مجال التعاون معنا فى الجريدة وفعلا استمر تعاونى مع صبيح فى التعاون حتى نقلتنى وكالة أنباء الشرق الأوسط التى كنت أعمل بها مديرا لمكتبها فى دمشق .» .

●● إعداد كتيبة الصحفيين (١)

بعد التفكير فى إنشاء دار للصحافة التعاونية.. وبدأفى اختيار مجموعة من الشباب من خريجى الجامعات للعمل بالدار ، وساعدته ظروفه إذ كان يعمل أستاذا لمادة (الصحافة العملية) بالجامعة .

كان ينتقى المواهب الشابة التى يتنبأ لها بمستقبل صحفى مبهر .. وكان ممن وقع عليهم الاختيار الأستاذ محمد رشاد عبدالله رئيس مجلس إدارة مؤسسة دار التعاون الحالى وسلامة أبوزيد رئيس تحرير جريدة السياسى المصرى ، وعبدالقادر السعدنى ، وصلاح الدين حافظ الصحفى اللامع بجريدة الأهرام الآن ومحمود بسيونى رئيس تحرير المجلة الزراعية الحالى والمرحوم أحمد الشابورى والمهندس عز الدين كامل اللذان كانا يعملان معه بمراقبة الإصلاح الزراعى ثم استقالا بعد ذلك وتفرغا للعمل الصحفى .. ومن أبناء الدار القدامى والمؤسسين الصحفى الفنان طلعت رزق الذى أبدع فى الاخراج الصحفى لجريدة التعاون .. وكان يكتب عمودا اسبوعيا ، ثم أصبح مديرا عاما للتحرير بالمؤسسة ، وانتخب عضوا بمجلس ادارتها .. ومازال حتى الآن .. وهو الذى قام باخراج هذا الكتاب وبذل فيه جهدا خارقا بمحبة وود باعتباره إبنا من أبناء محمد صبيح .

ومن الفنانين والمخرجين الصحفيين الأساتذة رعاية النمر وحسن عثمان بالجمهورية الآن وممدوح عمارالذى أصبح بعد ذلك عميدا

---

(١) الاستاذ محمد صبيح - حديث مع المؤلف

لكلية الفنون الجميلة وجميل شفيق الفنان الموهوب الذى أصبح مستشارا فنيا لصحف المؤسسة وعشرات غيرهم من الصحفيين الشبان .

وكانت تشرف على صفحة المرأة الريفية الدكتورة هيفاء الشنوانى ، كما عملت لفترة طويلة الدكتورة جيهان رشتى - عميدة معهد الإعلام بعد ذلك ثم انضم الأستاذ رائد العطار لهذه المجموعة بعد فصله من جريدة الجمهورية .

● ● تأسيس الجمعية المصرية للدراسات التعاونية

إشترك محمد صبيح فى تأسيس أول جمعية علمية تعاونية فى مصر هى الجمعية المصرية للدراسات التعاونية التى تمتلك معهد الدراسات التعاونية والإدارية الآن . وكان عضو مجلس ادارة الجمعية مع الرائد التعاونى الكبير الدكتور كمال أبو الخير . الذى يرجع إليه الفضل فى قيام الجمعية بمشروعات كثيرة فى مجال التعليم التعاونى .

والمعهد صرح علمى تعاونى كبير .. يقع وسط القاهرة فى شارع قصر العينى تخرج منه عشرات الآلاف من مصر والدول العربية .. وقد عمل صبيح أستاذا بمعهد التعاون لفترات طويلة .. لمادتى الإعلام التعاونى والقومية العربية . وكذلك كان يدرس هذه المادة فى معهد التعاون الزراعى الذى أصبح اليوم صرحا ضخما بفضل جهود الدكتور فخرى شوشة الذى تقدم مشكورا فى احتفال مؤسسة دار التعاون بالذكرى العاشرة لوفاة مؤسسها بمنحة مالية على أن تخصص سنويا للتعاونيين من شباب الصحفيين التعاونيين باسم جائزة « محمد صبيح » .

● ● الصحافة التعاونية المصرية تتخطى الحدود

كانت الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ فرصة طيبة للصحافة التعاونية الوليدة إذ استطاع صبيح أن يذهب إلى سوريا أو الإقليم الشمالى كما كان يسمى واشتركت الجمعيات التعاونية التى أنشئت فى سوريا وأصبح سكرتيرو هذه الجمعيات مراسلين لها فى القاهرة وبذلك ساعدت الصحافة التعاونية المصرية على إيجاد وحدة من الفكر والعاطفة بين الفلاحين والزراعيين فى الإقليمين مما شهد به وزراء الزراعة فيهما .. بل إن وزيرى الزراعة فى سوريا المتعاقبين وهما الوزير الجنيدى والوزير أحمد الحاج يونس قد أشادا بما يكتب فى صفحات جريدة التعاون والمجلة الزراعية واعتبار ذلك من فضائل الوحدة .

ثم يستمر بنا الحديث إلى قصة شراء المقر الحالى لمؤسسة دار التعاون ـ ٦ شارع عبد القادر حمزة ـ حيث كلف صبيح زميله المرحوم إسماعيل عامر بالبحث عن مقر جديد لدار التعاون وكانت لإسماعيل خبرة طويلة فى مثل هذه الأمور وظل يبحث .. إلى أن وجد مقرا لمستشفى يديرها اللواء طبيب إبراهيم الدمرداش ويريد أن يؤجرها وكان هذا المقر ملكا لداود عدس .

وذهب لمقابلته المرحوم إسماعيل عامر بصحبة محمود على مدير إدارة الدار ومحمد صيفى وطلب اللواء الدمرداش إيجارا شهريا قدره خمسمائة جنيه وبشروط هى : أن يدفع مقدما إيجار ثلاثة أشهر كتأمين وأن يتم تعيين التومرجية والبوابين بدار التعاون وأن تشترى الدار بعض الأسرة والكراسى وأنابيب البوتاجاز الموجودة بالمبنى .

.. وبعد إلحاح وافق على أن يكون الإيجار ثلاثمائة جنيه شهريا وفوجىء الدكتور بأن محمود على أخرج دفتر الشيكات من جيبه وكتب له شيكا بالمبلغ الذى انتهى الاتفاق عليه .

ومن الجدير بالذكر أن القيمة الإيجارية التى اتفق عليها إلى جانب أنها كانت تعتبر مبلغا ضخما فى ذلك الوقت فهى فوق القدرة المالية للمؤسسة المضطهدة .. وسميت من ذلك الحين بدار التعاون .

وسرعان ما انتقل إلى المقر الجديد (القصر) جهاز التحرير والإدارة بعد إجراء بعض التعديلات عليه والتى كانت تقابل بمعارضة شديدة من المؤجر الدكتور الدمرداش .. بل إنه كان يأتى يوميا للتفتيش على القصر وأشجار المانجو التى زرعت بحديقته .

وضعت آلات الجمع ببدروم القصر وبدأ صبيح كعادته فى شراء بعض الماكينات الصغيرة .. لأنه كان يؤمن بأنه لا تقوم صحافة بدون مطابع تمتلكها ..

وكلف محمد صبيح إسماعيل عامر بالبحث عن مالك القصر لمحاولة شرائه .

وأجرى المرحوم إسماعيل عامر اتصالات ضخمة لمعرفة : من وكيل داود عدس فى مصر ؟ ووصل إليه وكان محاميا فى شارع طلعت حرب (سليمان باشا) وعرف أن القصر ليس من القصور المصادرة وأنه باسم صاحبه المقيم فى باريس وتمت المفاوضة واستدعى الأمر سفر المحامى إلى باريس ليأخذ توقيع داود عدس ، ثم بدأت الاتصالات للتمويل ، فقام بها الأستاذ أحمد أبو الغار من كبار مديرى بنك التسليف وعضو مؤسس فى مجلس إدارة دار التعاون ، وكان يرأس مجلس إدارة البنك المرحوم سامى أبو العز وهو من أفاضل الرجال واستدعى الأمر الاتصال بالدكتور نجيب حشاد وزير الزراعة والمشرف على البنك وكذلك على دار التعاون وأرسل مدير عام المبانى بالوزارة ليدرس الأمر على الطبيعة وقد كان ، وتمت الصفقة سرا وكان الثمن وقتها ٤٥ الف جنيه ومساحة القصر والحديقة المحيطة به فى شارع عبد القادر حمزة بجاردن سيتى ٢٢٧٥ مترا .

وبدأ صبيح فى بناء مبنى فى أحد جوانب القصر بينما المفاوضات للشراء قد أوشكت وما إن عرف الدكتور الدمرداش حتى جاء منذرا ومحذرا طالبا الإخلاء الفورى وأرسل إنذارا بفسخ عقد الإيجار وكان الشراء قد تم تسجيله ، فقام الدكتور على الرجال المحامى ومستشار التعاون القانونى بإرسال رد على إنذار الدكتور الدمرداش بأن التعاون استأذنت المالك فأذن لها بالبناء ، واحتار الدكتور الدمرداش فى : من يكون هذا المالك الذى استأذنوه ؟

وسرعان ما عرف (الطرفة) فى هذا الرد ، فلم يكن المالك سوى دار التعاون أى أنها استأذنت نفسها .

كانت هذه الأحداث عام ١٩٦١ م ، وما إن فرغ صبيح من استقرار هذه الدار الصحفية فى موقع فريد وسط القاهرة وتم ذلك كما أسلفنا بقرض للدار من بنك التسليف يسدد على أقساط سنوية تم دفعها فى خلال سنوات قليلة حتى بدأ التفكير فى بناء مطابع للدار الصحفية ووجد الإجابة عند صديق عمره المهندس سعد هجرس احد كبار المسئولين بالإصلاح الزراعى وقتها والعالم الزراعى الشهير وكان فى خمسة أفدنة فى دار السلام على طريق المعادى الزراعى وسرعان ما شمر عن ساعد الجد مستعينا بالرجل الفاضل الدكتور حشاد وزير الزراعة الذى أعطاه تأييده ومساندته الكاملة وأرسل أكبر جهاز للمبانى بالوزارة وكذلك استعانت المؤسسة بمهندسين معماريين على رأسهم المهندس سمير النشوقاتى وبدأ فى إقامة مبان ضخمة لمطبعة صحفية وتجارية .

ولأول مرة فى مصر توضع ماكينات طباعة أوفست تجارية فى الدور الثانى والثالث وقد استدعى ذلك إقامة قواعد وأعمدة خرسانية ضخمة تحمل هذه الأثقال من الماكينات وسرعان ما تعاقد مع وكلاء شركات ألمانية لتصنيع ماكينات الطباعة وبدأت فى الوصول .

وفى افتتاح هذا المبنى الضخم أناب الرئيس عبد الناصر الـدكتور نجيب حشاد وزير الزراعة وقتها ، وحضره كبار رجال الإعلام ، وقد ألقى عبد الحميد غازى كلمة ممثـلا التعاونيـين والفلاحـين أصحاب الـدار ومساهميها .



الفصل الثامن

أزمات دار التعاون

● الأزمة الأولى لدار التعاون (١)

فى أواخر عام ١٩٥٩ م وأوائل عام ١٩٦٠ ظهر فى أروقة الحكم صراع بين كمال الدين حسين أمين الاتحاد القومى وقتئذ والمهندس سيد مرعى .

وكان فى الحكم مجموعة تريد القضاء على سيد مرعى ونفوذه ... وكان من مظاهر هذا الصراع القضاء على جريدة التعاون .. وهنا طلب كمال الدين حسين من المسئولين عن الجريدة إخلاء الجزء الذى يستقرون فيه بدار الشعب بحجة أن ملكيتها آلت إلى الاتحاد القومى .

(١) ـ محمد صبفى عبد القادر ـ حديث مع المؤلف .

وعبثا حاول صبيح إقناعه بالبقاء فى دار الشعب ولكن الرفض كان قاطعا ومن هنا بدأ البحث عن مكان لجريدة التعاون ، ووجـد أن مكان جريدة الزمان الذى احتلته جريدة الجمهورية ثم تركته إلى مقرها الحالى لا يزال خاليا إتصل صبيح بشركة الإعلانات الشرقية وتفاوض معهـا على شراء هذا المبنى القديم الذى يقع فى نهاية شارع الصحافة .. وتم شراؤه ودفع ثمنه بالكامل ، وبنفس أسلوب صبيح سرعان ما تم شراء ماكينات طباعة جديدة .. وبدأ العمل يتسـع وزاد عدد الصحفيـين والإداريين والعمال .. وأصبحت دار التعاون أصغر الدور الصحفية تأخـذ شكل الدور الصحفية الكبيرة .

● الأزمة الثانية (٢) :

لم يمض على الأزمة الأولى بضعة أشهر وظهـرت أزمة جـديدة بسبب محصول القطن عام ١٩٦٠ م .

وقتها كان المهندس سيد مرعى وزيرا مركزيا فى عهد الوحدة مـع سوريا والدكتور أحمد المحروقى وزيرا للزراعة .

كان لابد وأن تغطى جريدة التعاون كارثة المحصول بـالوقـائع الصحيحة وعندما مثلت الجريدة للطبع ذهب صبيـح ورائد العطـار ومحمد رشاد ومحمد صيفى إلى سينما مترو للترويح عن أنفسهم بعد عناء الإعداد لطبع الجريدة .. وفجـأة أثناء مشـاهدتهم للفيلم نـودى بميكروفـون السينما على صبيح وزملائه أن يتجهوا فورا إلى الجريدة .

وما إن وصلوا إلى جريدتهم فوجئوا بتعليمات بتغيير ما سينشر عن محصول القطن وسرعان ما تم ذلك .

---

(١) - محمد صيفى عبدالقادر - حديث مع المؤلف .

واتضح لهم أن هناك أزمة كبرى بين الوزراء فى هذا الشأن كان لها انعكاساتها على جريدتهم ـ فهناك مجموعة من الوزراء تريد ضرب المهندس سيد مرعى وكان على رأس هذه المجموعة على صبرى وعبد المحسن أبو النور .

ولذلك كلفوا الرقابة الإدارية بالتوجه إلى مقر الجريدة بحجة أن هناك مخالفات كما كلفا ديوان المحاسبة (الجهاز المركزى للمحاسبات) بالفحص والتدقيق فى حسابات الجريدة .

أخذت الجهتان تفتشان وتدققان أوراق مؤسسة التعاون ورقة ورقة .. واستبان الهدف من هذه الحملة التترية على جريدة التعاون .. فقد طلبت الرقابة الإدارية من عبد المحسن أبو النور وزير الإصلاح الزراعى آنذاك وهى الجهة المشرفة على جريدة التعاون أن يعطى صبيح إجازة مفتوحة .

● ● صبيح فى إجازة مفتوحة :

أبلغ صبيح أنه فى إجازة مفتوحة وذهب إلى منزله وهو فى عجب من كل ما يحدث ولأن أعصابه فولاذية فهو الرجل الذى عمل بالسياسة وقاوم الإنجليز ودخل كل معتقلات مصر .. فقد تلقى الأمر بهدوء .

إختار عبد المحسن أبو النور واحدا من كبار محررى الجريدة والذى عرف أنه يكتب الشكاوى للتشكيك فى سلامة عمل إدارة الجريدة .. وكلفه بالعمل بدلا من صبيح .. وما هى إلا أيام حتى أعطى محمد صيفى عبد القادر شقيق صبيح إجازة مفتوحة هو الآخر إذ اعتبر وجوده فى الدار امتدادا لصبيح !!

إستمر الحال شهورا قاسية تحمل فيها تلاميذ صبيح من الصحفيين القهر والعذاب وكان على رأس هؤلاء محمد رشاد عبد الله .

وانتهى عمل الرقابة الإدارية وديوان المحاسبة ولم يجدوا أية مخالفات وهنا .. وجد عبد المحسن أبو النور نفسه فى مأزق .. فخطته أن يعصف بصبيح .. ولو أقاله من عمله دون ماسبب فإن الرئيس عبد الناصر سيسأل عن السبب .. وأشار عليه معاونوه أن ينقل الإشراف على المؤسسة من الإصلاح الزراعى إلى وزارة الزراعة على أن يأخذ الإصلاح مقر مؤسسة التعاون بشارع الصحافة بما فيها من ماكينات طباعة ومكاتب .. بحجة أنها اشتريت من أموال جمعيات الإصلاح الزراعى - ومن مساهماتها .. وبذلك يكون الأمر مقبولا أمام الجميع ..

وفعلا أخذ بالمشورة وصادر المقر بما فيه .. وهدد صبيح ورجاله بأنهم سيعتقلون إذا احتجت جمعيات الإصلاح على مصادرة ممتلكاتها .. لأن الدار قد أهداها أبو النور إلى الدار القومية للطباعة والنشر والتى كان يشرف عليها الدكتور عبد القادر حاتم .. ومن هذا المقر وعلى هذه المطابع اصدر الدكتور حاتم ماسمى وقتها بكتاب كل ست ساعات !!

● عودة صبيح

كان قرار تحويل الإشراف على جريدة التعاون من الإصلاح الزراعى إلى وزارة الزراعة دون معرفة الوزير بذلك وبعد سنوات كان الدكتور حشاد قد ترك منصب وزارة الزراعة وعين مديرا لجامعة القاهرة وفى زيارة لصبيح بمنزله وكان برفقته الدكتور حلمى مراد نائب مدير الجامعة وقتها ، روى الدكتور حشاد أنه فوجىء بانتقال دار صحفية لإشرافه ولم يكن وقتها يعرف من كان يتولى رئاستها ووجد أمامه أسماء محمد صبيح والشخص الذى اختاره عبد المحسن أبو النور ليعمل بدلا من صبيح الذى أجبر على إجازة مفتوحة .. فاتصل بالرئيس جمال عبد الناصر وأخبره بما حدث .. وقال له : أمامى أسماء لا أعرفها وذكر لسيادته الأسماء ليختار منها من يكون رئيسا لدار التعاون الصحفية فقال له الرئيس الراحل :

محمد صبيح طبعا .. وهكذا .. عاد محمد صبيح إلى عمله بعـد أن أخرج من المقر الثانى الذى اشتراه .

بقيت مشكلة .. كيف يصدرون جريدتهم وليس لهم مقـر أو آلات للطباعة ؟..لم يجدوا مفرا من استخدام مكتب صغير يملكه محمد صيفى بشارع البستان وذهب إليه المحررون ..وقاموا بإعداد جريدتهم وطبعها فى مطابعهم القديمة التى استولى عليها أبو النور وأهداها إلى الدكتـور حاتم .

.. وبعد صدور العدد دار البحث على قدم وساق لتأجير مقر لأن مكتب محمد صيفى لم يزد على غرفتين صغيرتـين ثم وجدوا أن مقـر جريـدة القاهرة الذى يقع على شارع منصور الموازى لخط متـرو حلوان ويملكـه ورثة عبد القادر حمزة باشا هو الأنسب .. وفعلا تم استئجاره منهم ولأن هذا المقر كان مهجورا منذ إغلاق جريدة القاهرة التى كان قد أسسها حافظ محمود وعمل بها صبيح معه كما ذكرنا .. فقد استغـرقت عملية نظافته أياما شارك فيها صبيح نفسه ـ وظلت جريدة التعاون تصدر من هذا المقر لعدة أسابيع محدودة حتى عقدت النية على ايجاد مقر يليق بالتعاون والتعاونيين .

وكان ماذكرناه على الصحفات السابقة من قصة شراء المقر الحالى لدار التعاون .

●● إنتخابات النقابات المهنية .. والعاصفة (١)

بعـد أن اكتمل الصرح الطبـاعى بدار السـلام وشراء قصر داود عدس .. بدأ الجو السياسى لمحمد صبيح يتلبد !!

---

(١) ـ الأستاذ محمد صيفى عبد القادر ـ حديث مع للمؤلف .

ففى هذا العام (١٩٦٤م) رشح المهندس إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل الآن نفسه نقيبا للزراعيين ..وطبعا خاضت التعاون بمكاتبها بالأقاليم وبمحرريها الذين يعرفون قطاع الزراعة بمصر والأقاليم جيدا معركة انتخاب النقيب .. لأكثر من سبب :

□ أولا :

لأن ابراهيم شكرى كان أحد عمد مصر الفتاة وكان أخا وصديقا لمحمد صبيح .

□ ثانيا :

كان عضوا بمجلس إدارة الجمعية التعاونية للطبع والنشر .

□ ثالثا :

كان وجها جديدا يمثل الكفاح الوطنى قبل ثورة ١٩٥٢م .

بفضل هذه الجهود وغيرها .. نجح إبراهيم شكرى ، وأصبح نقيبا للزراعيين .

وفى عام ١٩٦٥م أجريت انتخابات نقابة الصحفيين ، وتقدم للترشيح شيخ الصحفيين حافظ محمود ـ ووقفت مؤسسة دار التعاون أيضا بجانبه بقوة وعزم .. ونجح وأصبح نقيبا للصحفيين بعد معركة ضارية استمرت فيها الجمعية العمومية حوالى ١٨ ساعة وأعلن فوز حافظ محمود فى فجر اليوم التالى رغم أن عدد الصحفيين وقتها لم يزد على خمسمائة صحفى وكان منافس حافظ محمود ذا ميول يسارية .. واعتبر

اليسار والشيوعيون فى مصر أن نجاح حافظ محمود هزيمة لهم .. وكانوا وقتها يسيطرون على الاتحاد الاشتراكى وكانت لهم السيطرة آنذاك على أغلب الصحف المصرية كما كان على صبرى رئيسا للوزراء .

ولهذا - فقد تداولت كل هذه الجماعات واجتمعت كلمتهم على عقاب دار التعاون ومن فيها وعلى رأسهم محمد صبيح !!

بدأت حملة شعواء فى جريدة الجمهورية على صبيح قادها بعض كتابها أمثال فاروق القاضى ومحمد دياب وغيرهم كثير !!

وتلتها حملة صحفية أخرى فى مجلة (الاشتراكى) التى كانت تصدرها أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى ويشرف على تحريرها المرحوم سامى داود . وكتبت وقتها عدة مقالات تهاجم فيها دار التعاون وصحفها ورئيس تحريرها !!

عرض صبيح الأمر على مجلس إدارته فقرر المجلس أن يقوم هو بالرد على هذه الافتراءات على صفحات مجلة (الاشتراكى) لتنشرها عملا بأصول النشر ولكنها امتنعت .. فقام بنشر الرد على صفحات التعاون .. وكان ردا عنيفا بطبيعة الحال !!

وأثير هذا الموضوع فى مجلس الوزراء برئاسة على صبرى - وانبرى بعض الوزراء فى المجلس يسألون : من المسئول عن هذه الدار الصحفية ؟ وطالب البعض بتصفيتها .

وطلب على صبرى من عبد المحسن أبو النور وكان نائبا لرئيس الوزراء للزراعة والإصلاح الزراعى أن يدلى برأيه .. فقال إنه لا يعرف شيئا عن هذه الدار .

ولكن الرجل الشجاع أحمد عبده الشرباصى وكان وزيرا للأشغال .. انبرى للجميع وقال :

إن هذه الدار الصحفية ـ فضلا عن أنها تصدر صحفا زراعية وتعاونية وتدافع عن الفلاح ـ فإنها تصدر مجموعة من الكتب الإسلامية أمثال :

فتوح مصر وأخبارها ، وأسد الغابة فى معرفة الصحابة .. كما تصدر دائرة المعارف الزراعية وهو عمل علمي كبير .

وتصدى الشرباصي للدفاع عن دار التعاون حتى أحبط اتخاذ قرار ضدها .

إلا أن حملة الكتاب الشيوعيين ضد صبيح ودار التعاون ظلت مستمرة .. لأن الجهاز السرى قرر الإجهاز عليهما معا .. الدار .. وصبيح !!

وحدث فى أواخر عام ٦٤ وأوائل عام ١٩٦٥م أن تم استصلاح أراض ضخمة امتدادا لمديرية التحرير وكتب محمد حسنين هيكل مقالا فى الأهرام يقول فيه : ماذا نفعل بهذه الأراضى ؟ هل تصبح مزارع دولة ؟ أم توزع على الفلاحين ؟

وانتهى فى مقاله إلى طلب فتح مناقشة فى هذا الموضوع .

إنتظر صبيح أن يرد أحد من كبار الزراعيين فلم يرد إلا المهندس سيد مرعى وكان وقتها بعيدا عن العمل التنفيذى . ورد صبيح فى جريدة التعاون مفندا الرأى القائل بجعل هذه الأراضى مزارع دولة .. وطالب بتوزيعها على الفلاحين .

ونزلت مجلة الطليعة المعركة .. فكتب فيها لطفى الخولى مقالا كبيرا يطالب بأن تكون هذه الأرض المستصلحة مزارع جماعية ، أو مزارع دولة وهاجم من يطالبون بتوزيعها على الفلاحين أو إنشاء جمعيات تعاونية لهذه الأراضى !!

وتصدى صبيح لهذا الرأى فى المجلة الزراعية التى تصدرها دار التعاون بمقال عنيف عنوانه :

.. إخوان ماركس والتنمية الزراعية ..

وقد هاجم فى هذا المقال بجرأته المعهودة الشيوعية والشيوعيين . وقال إن هناك مزارع دولة .. فماذا قدمت لخدمة الإنتاج الزراعى ؟

كان الشيوعيون وقتها قد استولوا على دار أخبار اليوم وزرعوا أنصارهم فى كل مواقعها .. ونحى مؤسسها مصطفى أمين وأصبح كاتبا صحفيا فقط .

وقتها طلب موسى صبرى كمية من المجلة الزراعية التى تحمل مقال صبيح بصفة سرية ، وأرسلت له الأعداد . فقام بوضعها على جميع مكاتب الشخصيات المهمة بأخبار اليوم .. وعندما وصلوا ووجدوا العدد وقرأوا ما فيه .. اعتبروه منشورا ضدهم فى وقت كانت لهم السيطرة على الإعلام كله .

وهاجت الأوساط الصحفية وماجت ، واجتمعت لجان الجهاز السرى فى الصحافة المصرية وقرروا التخلص نهائيا من صبيح وأعوانه .

وكانت أحوال البلاد فى ذلك الوقت ـ منتصف عام ١٩٦٥م ـ فى منتهى التوتر .. فقد تم القبض على تشكيلات سرية للإخوان المسلمين قيل إنها كانت تعد العدة لاغتيال الرئيس عبدالناصر ، وأطلقت يد المباحث العسكرية التى تتبع المشير عامر فى الإغارة على المؤسسات الصحفية .. فقامت بالهجوم على قسم التصوير بجريدة الجمهورية وقبض على خيرة المصورين وتم نقل ٧٥ صحفيا إلى مؤسسات غير صحفية .

واكتملت حملة الاستفزاز بتلفيق تهمة للكاتب مصطفى أمين وأودع

السجن ولم يبق من المستهدفين غير محمد صبيح وكان كالثمرة الناضجة التى حان قطافها .

•• تدبيـر محكـم لإقالـة صبيـح (١)

كان رجل المخابرات عبدالفتاح أبـوالفضل أمينـا لشئون التنظيم بالاتحاد الاشتراكى ، وكان يعمـل معه بعض الصحفيـين فيما يخص الصحف بهذه الأمانة .

فطلبوا من بعض أعوانهم محاولة اختراق دار التعاون من الداخل وكان منهم المرحوم ممدوح رضا الذى قام بالاتصال ببعض الصحفيين بالدار ومنهم صلاح الدين حافظ - مدير تحرير الأهرام حاليا ، ومحمد رشاد عبد الله - رئيس مجلس إدارة مؤسسة دار التعاون الحالى ، وفهمى عبد الصادق - المصور بالجريدة - وعلى المعاش حاليا ، وسلامة أبوزيد - رئيس تحرير السياسى المصرى - حاليـا ، وطلب منهم الاجتماع بـه خارج الدار لمعرفة السلبيات بالدار فقبل البعض ورفض البعض الآخر .

وكان هذا تمهيدا لكتابة تقرير من أمانة التنظيم ضد صبيح ودار التعاون وقد تم ذلك فعلا .

كان ومازال عادة متبعة أن يحضر رئيس مجلس إدارة دار التعـاون صباح كل يوم جمعة لإنجاز الأعمال الهامة وأداء فريضة صلاة الجمعة فى جامع عمر مكرم وفى يوم جمعة وبعد انصراف المحررين حـوصرت دار التعاون برجال الأمن ، ووصل وفد من مكتب عبدالمحسن أبوالنور ومعه قرار بالاستيلاء عـلى دار التعاون وإقـالة مجلس الإدارة ورئيس التحـرير ، وتعيين مجلس جديـد برئـاسة مصطفى المستكـاوى رجل المخابرات السابق ورئيس تحرير جريدة المساء .

واستعان المستكاوى ببعض أنصاره من جريدة المساء منهم سليمان مظهر ، وعبدالوهاب دنيـا ، وإبراهيم عبد اللطيف وغيرهم .

---

(١) المرجع السابق .

وفى أول اجتماع للمجلس الجديد قرر إعطاء إجازة إجبارية لمحمد صيفى شقيق صبيح ، والسيدة نوريس أحمد المحررة بالدار وتنحية كبار المحررين عن مواقعهم وتوزيعها على الوافـدين الجدد . وأعفى محمـد صبيح وصدرت قرارات لحوالى عشرين من المحررين والإداريين ونقلوا إلى مؤسسات غير صحفية سبع سنوات كاملة .

●● لماذا أقيل صبيح للمرة الثانية ؟

قد يسأل القارىء .. كيف أقيل صبيح أكثر من مرة فى عهد الرئيس عبد الناصر وهو الذى يعرف قـدره ومكانته . وكان الوحيد الذى اعترض على اعتقاله بعد قيام الثورة كما ذكرنا .

الرواية يحكيها الدكتور المهندس طاهر درة مدير عام العلاقات العامة بوزارة الزراعة وعضو مجلس إدارة التعاون آنذاك لمحمد صيفى .

يقول إنه علم بإقالة مجلس الإدارة برئاسة صبيح وتعيين مجلس آخر برئاسة المستكاوى وكان أيضا هو عضو فيه ..

وقبل أن يطلب منه حضور اجتماع المجلس الجديد رفض إلا إذ قرأ القرار بهذا التغيير .

ويقول إنه قرأ المذكرة التفسيريـة لهذا القـرار وتأشـيرة الرئيس عبد الناصر عليها وكانت :

يحل مجلس الإدارة ويعفى رئيس التحرير ويحقق ويعرض .

وانظـر لكلمة (يعرض) هذه لأنها سيكون لها دور كبير فى حمـاية محمد صبيح وأعوانه من السجن الذى كان مخططا ممن دبروا له هذا الأمر .

وكـانت مذكـرة أبوالفضـل بها العجب العجـاب . فقـد تضمنت افتراءات كثيرة على صبيح منها :

أنه يجمع رجال مصر الفتاة السابقين بدار التعاون ومنهم إسماعيل عامر وعبدالخالق التكية وعبدالحميد المشهدى وعبـدالوارث رضـوان وغيرهم .. وأنهم يعدون لمؤامـرة لقلب نظام الحكم ، وفى حـالة فشلهـا سيهربون إلى ليبيا عن طريق صديقهم أحمد يونس نائب البحيرة .

وأنه تدخل فى انتخابات إبراهيم شكرى رجل مصر الفتاة واستطاع أن يوصله إلى منصب نقيب الزراعيين ، وأنه صرف على انتخابات حافظ محمود من أموال المؤسسة أكثر من سبعة آلاف جنيه لإنجـاحه نقيبـا للصحفيين .. ولحافظ انتماءات سابقة لمصر الفتاة .

وأنه حشد المحـررين لندوة أعـدت بنادى القصـة لمناقشـة قصة (ازهار) لكاتبها أحمد حسين وأن الحاضرين هتفوا فى نهاية الندوة باسم (الزعيم أحمد حسين) .

وغير ذلك من التهم الكاذبة .. التى لم يجد الرئيس بدا من تأشيرته التى ذكرناها .

وبدأت التحقيقات مع بعض المحررين بدار التعاون .. كمـا بدأت لجان تفحص المستندات ورقة ورقة .

كل هذه اللجان كانت تحت إشراف المستشار المرحوم نبيل دكرورى الذى كان له دور بارز فى لجان تصفية الإقطاع التى كان يرأسها المشير عامر والتى أحدثت فزعا شديدا فى ريف مصر .

ولرئيس دار التعاون الحالى الأستاذ محمـد رشاد كتـاب عن هذه اللجان يشهد بذلك .

وكان لابد أن يسمع أقوال المرحوم صبيح فيما نسب إليه .. إلا أن أصدقاءه نصحوه بألا يدلى بأية معلومات لهذه اللجنة ولا يستجيب لطلبها لاسيما وأنها لجنة خاصة وليست لها صفة قانونية .

ولكن جرأته جعلته يخرج على نصيحة الأصدقاء وصمم على حضور اللجنة والرد على الأكاذيب وشرح لها كيف أن أعداءه يحاولون قلب الحقائق .. ويحولونها من إجراء سياسى إلى مسائل إدارية وياليتها كانت صادقة ، أو فيها شيء يمس نزاهته الشخصية .

والذى يثير الدهشة حقا أنه يوم أن ذهب للمثول أمام اللجنة لأول مرة بمبنى الإصلاح الزراعى بالدقى لم يجد على رأسها المستشار نبيل دكرورى .. فأصر على وجوده .

وحضر رئيس اللجنة بعد وقت طويل يقدم رجلا ويؤخر أخرى فقال له صبيح فى جراة :

.. هل تذكر يا (نبيل) يوم أتيت لى فى أوائل الخمسينات فى الإصلاح الزراعى وكنت حليق الرأس خارجا لتوك من المعتقل لانتمائك للإخوان المسلمين وقلت لى إنك لا تجد عملا .. وإنك حضرت لى بصفتى سياسيا قديما ذاق الأمرين من الاعتقال بسبب آرائى السياسية .. وطلبت منى أن أتوسط لك عند المهندس سيد مرعى لتعمل بالإدارة القانونية تحت إشراف المستشار سعد أبوعوف .

.. أخذ نبيل دكرورى يعتذر له ولم يستطع أن يفلت من هذه المواجهة الحادة .. وأنه ينفذ تعليمات من هم أكبر منه .. فهو (عبد المأمور) .

.. وانتهت الجلسات بأن رد على كل التهم الملفقة التى وجهت إليه .

●● وتمت المؤامرة

فى آخر جلسات التحقيق بالإصلاح الزراعى .. لم يجد المحققون أى دليل على إدانة صبيح أو إهماله فى الإدارة .. إلا أن لجنة التحقيق كما قال المشرف عليها إنها تنفذ تعليمات من هم أكبر منه .. وهكذا لم تثبت أية إدانة وإن كان قد تحقق مرادهم وهو إبعاده عن دار التعاون .

يصف المهندس سيد مرعى المؤامرة بقوله :

.. وتدور الأيام ويترك الإصلاح الزراعى ، وتنهال معاول الهدم على دار التعاون وعلى محمد صبيح ـ يحارب الرجل محاربة لاهوادة فيها من زملائه فى الصحافة وخارجها .. وهو يحاول أن يصد هذا الهجوم ـ تارة يفشل وتارة ينجح ـ ولكنه فى الحالتين يتألم .. وهو يريد أن يبدو هادئا حتى انتهى الأمر بإبعاده عن دار التعاون .. الأمر الذى لاشك فيه قد أثر عليه وعلى معنوياته تأثيرا كبيرا ..

يصف المستشار شمس الدين خفاجى المؤامرة بقوله : (١)

.. عندما تآمرت قوى الشريتزعمها عبدالمحسن أبو النور نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة والإصلاح الزراعى فأطاحت بمحمد صبيح من موقعه كأثر من آثار الإطاحة من قبل بالمهندس سيد مرعى .

وكان لى مكتب دائم بالدار كعنصر من عناصر تأسيسها ورعايتها شهدت بنفسى الأفاعى وهى تطل برأسها من خارج الدار ، وبعضها من داخلها وبينما كان التحقيق .. والتلفيق يجرى فى أروقة الدار فى

---

(١) مجلة التعاون الصادرة فى ٦/ ١٩٩٣/٤ (ص ٩)

غيبة صاحبها ومنشئها وراعيها .. كانت الفضيلة تراق على أرض المعركة غير المتكافئة وغير الشريفة .. حتى إن أحد المحررين أمسك بخنجر وأخذ يضرب ظهر الرجل بعنف وقسوة .. فلم يجد يوما ملاذا يلوذبه إلا محمد صبيح الذى اتسع له صدره وأكرم وفادته وأعطاه قلما .. وقال له اذهب فأنت صحفى ..

● ● صبيح والأجنحة المتصارعة فى الحكم

مرت شهور على صبيح وهو فى منزله بلاعمل .. وانتهت لجنة الإصلاح الزراعى من التحقيقات والفحوص التى أجرتها ولم يتبين لها خطأ أو تقصير من صبيح حتى ينحى عن موقعه كمؤسس لدار صحفية وككاتب وطنى قدم لبلاده الكثير .

.. وفى يوم ما ذهب لزيارة صديق مريض .. وعاد إلى منزله بشارع الفلكى .. وكان يجاوره فى السكن الدكتور على الرجال المحامى والذى عمل معه فى جريدة الأساس الناطقة بلسان الحزب السعدى قبل الثورة ..

.. دق جرس باب شقة صبيح ، وعندما فتح أحد أبنائه الباب وكان أبوه نائما وجد شخصا يناوله مظروفا كبيراً ويقوله له :

أنا سواق تاكسى والاستاذ الذى كان يركب معى اليوم نسى هذا المظروف .. ثم انصرف السائق مهرولا .. فصدقه الابن لأن أباه لا يملك سيارة ويتنقل بالتاكسى أو مترجلا .

وعندما استيقظ صبيح من النوم اخبروه بما حدث من سائق التاكسى ويفتح المظروف .. فيجد فيه نسخة كاملة من صور التحقيقات التى أجريت معه والتى أجريت مع جميع من بدار التعاون والتى تمت بالإصلاح الزراعى بإشراف المستشار نبيل دكرورى .

اندهش صبيح .. فلم يكن معه مظروف ينساه فى التاكسى . وظل هذا الحدث محيرا له لمدة طويلة .

.. وتمر الأيام والسنون ويعتقل صلاح نصر مدير المخابرات ويختار للدفاع عنه الدكتور على الرجال .

.. وعند صعود صلاح نصر لمسكن محاميه لفت نظره أن الشقة المقابلة هى شقة صبيح .. وعندما قرب انتهاء حديثه مع الدكتور الرجال .. قال له :

.. على فكرة .. بلغ صبيح أن المظروف الذى سلم له منذ سنوات وبه التحقيقات التى كانت معه ورجاله أنا الذى ارسلته له .. وإن سائق التاكسى هو أحد رجال المخابرات ، وقد أرسلته له ليعرف ما يدور .. وأنا أعرف أنه مظلوم فى اخراجه من التعاون ..

وفوجىء الدكتور الرجال بهذه الرسالة الخفية وفهم أن الجناح الشيوعى فى الحكم ورجاله وعلى رأسهم على صبرى وعبدالمحسن أبو النور كانوا جبهة فى الحكم ضد أخرى منها صلاح نصر .. الذى أراد ان يطلع محمد صبيح على ما يدور فى التحقيقات بطريقتهم الخاصة .

● ● الانتقام .. ولقمة العيش

كان فصل صبيح وإبعاده عن دار التعاون التى أسسها من الألف إلى الياء مثار حديث فى الوسط الصحفى كله ومدعاة لابتهاج الشيوعيين وأعضاء الجهاز السرى فى الاتحاد الاشتراكى . كما كان مدار حديث فى المنتديات الصحفية والسياسية .. وكان التعليق .. إن قلعة أخرى للرجعية قد سقطت وذلك بعد تخلصهم من قلعة مصطفى امين .

.. واستخدم أسلوب (التجويع) ضد صبيح .. فقد كان الصحفى الوحيد الذى أخرج من منصبه دون مرتب أو مكافأة أو معاش !!

وهو أمر غريب .. فالمتبع فى ذلك الوقت وعلى لسان الرئيس عبدالناصر ان أى كاتب أو صحفى لا يعجبه النظام يظل فى منزله ويتقاضى مرتبه !! فلم تكن الفلوس مشكلة بالنسبة لأصحاب الرأى .. ولكنه الوحيد الذى حرم من أى مصدر رزق .

وهكذا .. منع من العمل فى أى جريدة بالداخل لأن الصحف مؤممة وتتبع الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت ..

.. عز ذلك على أحد زملائه من الذين يعملون بجامعة الكويت فى منصب مرموق فأرسل له عقد عمل كمحاضر فى جامعة الكويت ولكنه منع من السفر .. وأحكمت السلطة الشيوعية التى كانت تدير البلد فى ذلك الوقت قبضتها على الرجل ..

.. وفى هذا الجو المظلم الذى تعيشه أسرة واحد من نجوم السياسة والصحافة .. مرضت زوجته مرضا أقعدها الفراش لمدة طويلة وذلك من الضغوط النفسية التى كان فيها زوجها .. وفى هذه الفترة .. انتقلت زوجته إلى رحمة ربها ..

أما هو فكان صلبا كما عودته الأيام طوال تاريخه فى الجهاد الوطنى .. وكان يقول لزواره وأصدقائه :

مادام القلم فى يدى فلاشىء يهم ..

فى أثناء استخدام خصومه سلاح التجويع هذا .. عاد إلى إصدار (كتاب الشهر) الذى كان يصدره فى الثلاثينات من هذا القرن .. ووقف بجواره فى محنته الدكتور كمال أبو الخير عميد معهد

الدراسات التعاونية والإدارية والذى كان يحاضر فيه صبيح مادة القومية العربية قبل اخراجه من دار التعاون .. وشارك فى هذه الضغوط المرحوم كمال رفعت رئيس الجمعية التى كان المعهد يتبعها ، ودافع الدكتور ابو الخير بصلابة عن صبيح ومازالت أسرته تذكر له هذا الفضل حتى الآن .

وطالت مدة عزل صبيح عن الدار الصحفية التى أسسها فبدأ بداية أخرى .. وهى تأليف الكتب الموسوعية ..

فأصدر كتاب (كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين) وكتاب (القدس ومعاركنا الكبرى) وكتاب (المعتدون اليهود .. من أيام موسى إلى أيام ديان) وكتاب (أيام .. وأيام) وغير ذلك من الكتب الضخمة التى تؤرخ لكفاح الشعب المصرى وكفاح العرب ..

● ● حوار بين عبد الناصر وحلمى مراد عن صبيح

بعد هزيمة ١٩٦٧ م حوكم بعض القادة ورجال الطيران فى الجيش المصرى وكانت مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ م تطالب بإعادة المحاكمة نظرا للأحكام البسيطة التى حكم بها على هؤلاء القادة والتى لاتتناسب مع حجم الهزيمة .

واجتمع عبدالناصر بمديرى الجامعات ليسمع منهم أسباب التذمر الشديد للطلبة .. وكان فارس المناقشة مع الرئيس هو الدكتور حلمى مراد مدير جامعة عين شمس .

.. وأعجب الرئيس بشجاعة الدكتور حلمى مراد ، واختاره وزيرا للتربية والتعليم .

وبدأ نشاط الدكتور حلمى مراد المهنى والسياسى يلفت الأنظار بما أحدثه من تغيير فى التعليم فأوكل الرئيس عبدالناصر إليه كتابة بيان (٣٠ مارس) مع الدكتور عبدالعزيز حجازى على عكس ما شاع أن آخرين هم الذين كتبوه .

.. أثناء زيارة الدكتور حلمى مراد للرئيس فى منزله لعرض بعض الموضوعات عليه .. عرض أيضا موضوع صبيح .. وفوجىء بحديث طيب من الرئيسى عنه وعن أيامه فى حزب مصر الفتاة .. وكيف كانت علاقته مباشرة مع صبيح وقال إنه عرضت عليه تقارير كثيرة عن مخالفات فى جريدة التعاون بل قال له بالنص أعمل إيه كل واحد يخش علىّ .. يقول لى إنت مخلى صبيح ليه !

.. إلا أن الدكتور حلمى مراد عرض الموضوع على الرئيس عرضا سهلا ورائعا كعادته فى عرض الموضوعات .. وهنا قال له الرئيس : هل أصدر قرارا بعودة صبيح إلى دار التعاون ؟ ولكنه رد عليه بأن أعداء صبيح مازالوا موجودين وسيسببون له مشاكل لاحصر لها . ثم قال :

.. فضلا عن إنه صحفى كبير .. فهو مؤلف كبير واقترح على الرئيس أن يتولى صبيح رئاسة الدار القومية للكتاب فهو قادر بخبرته فى هذا المجال أن يثرى هذه الهيئة .. فرد الرئيس إن هذا الاقتراح موفق .. وإنه موافق عليه ..

.. وطلب منه الاتصال بالدكتور عبدالقادر حاتم للاتفاق معه على هذا الأمر وإعداد القرار وعرضه على الرئيس لتوقيعه .

.. واتصل الدكتور حلمى مراد بالدكتور حاتم .. ولكن الأخير ماطله .. وبعدها ساءت العلاقات بين عبدالناصر وحلمى مراد .. وخرج من الوزارة دون أن تحل مشكلة محمد صبيح التى لم تجد أحدا يتبناها من بعده .

.. هكذا .. ظل صبيح يتعيش من إلقاء المحاضرات وتأليف الكتب لمدة سبع سنوات (١٩٦٥ م ـ ١٩٧٢ م) وحرم من مرتبه كما حرم من المكافأة أو المعاش وبرغم الظروف السيئة التى أحاطت بصبيح فى هذه الفترة إلا أنه بعد وفاة زوجته رأى أن يقيم مدفنا ومسجدا ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .. وهذا يستدعى وجود مساحة أرض فى منطقة البساتين بالقاهرة ..

وكتب يطلب من الرئيس عبدالناصر تخصيص الأرض ليقيم عليها مشروعه الديني .. وحمل رسالته للرئيس صديقه : محمد أحمد سكرتير الرئيس ومالبث أن جاءه الرد بموافقة الرئيس على طلبه .

.. وبدأ ينشغل بالمشروع ، وتفرغ له ، واستطاع بهمته التى لا تفتر ومساعدة أهل الخير تنفيذ واستكمال المشروع ، وكان على رأس المساعدين فى ذلك صديق عمره الشيخ محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية وكثير من أصدقائه .. منهم من عمل معه فى التعاون مثل عبداللطيف البجيرمى ومحمود على .. وغيرهم من أهل الخير ..

.. ومازال المسجد الذى سمى باسم زوجته (فاطمة النبوية) تقام فيه الشعائر حتى اليوم وألحقت بالمسجد مقبرته .. وتوقف مشروع مدرسة تحفيظ القرآن الكريم لمرض صبيح ثم وفاته .

● ● قرب العدو .. وبعد الصديق

.. بعد أن توفى الرئيس عبدالناصر تولى الرئيس أنور السادات خلفا له .. وزاد أمل المضطهدين فى التغيير .

.. وفى أوائل عهد الرئيس السادات أصبحت الندوات التى كان يقيمها محمد صبيح فى منزله شبه يومية ..

.. وما إن جاء أول مايو وأعلن السادات عزمه القضاء على مراكز القوى فى الحكم حتى زاد عدد أعضاء الندوة .. وحضرها الكثير من المجاهدين القدماء فى مصر الفتاة ، وظهرت فيها وجوه جديدة مثل توفيق الملط وكمال يعقوب وكمال منسى وغيرهم .

.. ظلوا يبحثون فى الندوة عن أنسب أسلوب لتأييد الرئيس السادات ضد مراكز القوى .. وتم لهم الاتصال بالسادات عن طريق المهندس سيد مرعى .. فكان صبيح يرسل شقيقه محمد صيفى فى التاسعة من صباح كل يوم لإبلاغه بما حدث فى الندوة .. وكذلك عن طريق توفيق الملط أحد المقربين إلى السادات فقد اعتقل معه فى معتقل ماقوسه بالمنيا .. ومع قادة مصر الفتاة فى سنوات ماقبل الثورة ..

.. فى يوم نمى إلى علم صبيح من المهندس سعد هجرس أن الرئيس سيزور الأراضى المستصلحة فى امتداد مديرية التحرير .. وإنه علم أن هناك مؤامرة لخطف الرئيس !!

.. ولأنها أخبار هامة ومزعجة فقد استدعى صبيح توفيق الملط بسرعة وأخبره بما علمه .. ولأن توفيق كان يستطيع مقابلة السادات فى أى وقت .. فقد طلب منه صبيح أن يلغى الرئيس زيارته لمديرية التحرير .. وكان عند الرئيس أنباء أخرى عن هذا الموضوع وفعلا تم ذلك وألغيت الزيارة .

.. قام الحاضرون بندوة صبيح بكتابة مجموعة من المنشورات تدعو إلى تأييد السادات والسلطة الشرعية والهجوم على مراكز القوى .. وما إن كان ١٥ مايو إلا وتخلص السادات من مراكز القوى وانفرد بالحكم .. وتوقع الجميع عودة صبيح إلى دار التعاون بعد مؤازرته للسادات .. ومضى شهر على حركة مايو التصحيحية أقيل فيها رئيس دار التعاون واختار الدكتور الزيات الدكتور رجاء العزبى

رئيسا جديدا للدار .. وظل فى هذا المنصب شهورا .. وتعجب صبيح من هذا الموقف .. فالذين أبعدوه عن دار التعاون هم مراكز القوى .. وهم الآن بالسجون .. ولما ضاق به الأمر أرسل للرئيس السادات برقية قال فيها :

(.. سئل حكيم لماذا دالت دولة بنى أمية .. فقال لأنهم قربوا العدو وأبعدوا الصديق ..

فلا العدو أصبح بالقرب وفيا ولا الصديق أصبح بالبعدوليا ..)

روى المهندس سيد مرعى أن الرئيس السادات عندما قرأ برقية صبيح قال له ضاحكا إن صبيح اعتبرنا كبنى أمية !! وأمر بعودته إلى دار التعاون .

● ● صبيح فى دار التعاون مرة أخرى

عاد محمد صبيح لرئاسة دار التعاون بعد إبعاده عنها سبع سنوات عجاف ظل فيها بمنزله رغم علاقته القوية بقادة الثورة كما ذكرنا .. وعلى قدر علمى أنه لايوجد صحفى واحد أتخذ ضده إجراء كهذا إلا هو .. وقد بدأ صبيح عمله بإصلاحات جذرية فى دار التعاون .. مطابعها ، وصحفها .. فقد كان لايزال بها تلاميذه الذين عينهم وتولى أمر تدريبهم وتوجيههم فأسند إلى محمد رشاد عبدالله مسئولية جريدة التعاون كاملة كرئيس تحرير لها .. وبدأ فى إعداده ليكون خليفة له فى إدارة الدار .. وأخذ كبار الصحفيين فى مصر يترددون على الدار فى أمسيات صحفية وثقافية .. وكان منهم أنيس منصور وإسماعيل النقيب وجميل عارف وعباس الأسوانى والشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل والصحفى عبدالمنعم عبدالعزيز وابراهيم يونس وغيرهم كثير .

•• المستبعدون من الاذاعة والتليفزيون

عندما حدثت أزمة ١٥ مايو وانتصار انور السادات على الجناح الناصرى تم استبعاد عدد كبير من الاذاعيين والتليفزيونيين بل نستطيع ان نقول كل نجوم هذين الجهازين من المذيعين والمذيعات .

وتم احالة بعضهم للمعاش ونقل اكثرهم الى وزارات ومصالح حكومية وفى لقاء الرئيس السادات بقيادات الاعلام ورؤساء المؤسسات الصحفية أثار صبيح أمام الرئيس وبجرأة شديدة قضية هؤلاء وقال للرئيس إن الدولة لكى تخرج إذاعيا ناجحا أو إعلاميا كبيرا تحتاج الى وقت طويل من التدريب والمعاناة ، بل تحتاج الى جهد أمة بأسرها .

وطلب من الرئيس العفو عن المبعدين وإعادتهم الى أعمالهم وأن مرحلة ماقبل ١٥ مايو قد انتهت ، وبدا على الرئيس الدهشة وإن كان قد تمالك أعصابه ونظر وقتها الى الدكتور كمال ابوالمجد وكان وزيرا للاعلام وطلب منه بحث هذا الموضوع .

ونشرت مجلة صباح الخير هذا الدفاع من محمد صبيح وقالت كيف يكون من حضور اجتماعات الرئيس كثير من الإعلاميين ولايتصدى لهذا الموضوع الهام الا محمد صبيح وشكرته وحيته على هذه المبادرة .

ولم يسكت محمد صبيح .. فقد علم بأن مضايقات جمة تحيط بالذين نقلوا الى المصالح الحكومية من توقيع بالحضور والانصراف وما إليه مما ينطبق على الموظفين الحكوميين فأرسل فى طلب مقابلة الاستاذ صلاح ذكى المذيع الشهير وأخبره أنه على استعداد تام أن يكتب خطابات بانتداب أو بإعارة كل زملائه وزميلاته للعمل بدار

التعاون وكان للاستاذ صلاح ذكى صلة بدار التعاون فقد أشرف على القسم الرياضى ببعض صحف المؤسسة وشكره صلاح ذكى على كل إيجابيته فى اثارة هذا الموضوع أمام الرئيس وعلى طلبه الاخير ، وجرت اتصالات وتم انتداب الاستاذ عباس أحمد مقدم البرامج الثقافية المشهور وكذلك السيدة عواطف البدرى وغيرهم من الاذاعيين وترك لهم حرية الحضور فى أى وقت يشاءون وأن يكتبوا مايعن لهم من آراء فى حرية تامة .

ولقد اندهش الاستاذ عباس أحمد وكان مفكرا يساريا شهيرا من أن يقوم محمد صبيح بهذا العمل رغم تباين الافكار واختلاف الرؤى بين اكثرهم وبين صبيح وظل يردد هذا الفضل فى جلساته ولقاءاته حتى توفى الى رحمة الله وهكذا تتضح شخصية صبيح الليبرالى الحقيقى الذى يعتبر أن الخلاف فى الرأى لايفسد للود قضية بل إنه قال للأستاذ عباس أحمد فى أى وقت تحضر فيه الى الدار مكتبى مفتوح لك إجلس فيه واكتب ماتشاء .

●● جريدة المعركة

بدأت الحرب بين العرب وإسرائيل عام ١٩٧٣م ، واجتمعت فى دار التعاون فئات مختلفة من قدامى الوطنيين .. وسأل الصحفى إبراهيم يونس صبيح : .. ماذا نفعل لنشارك فى المعركة ؟

ودار نقاش حول مدى المشاركة إنتهت بأن تصدر دار التعاون جريدة يومية باسم (المعركة) .

وعلى الفور اتصل صبيح بالمسئول فى مصلحة الاستعلامات وأبلغه بما اتفق عليه .. فطلب منه مهلة .. ثم اتصل بصبيح وأخبره بالموافقة على أن تكون مدة الحرب فقط ثم تغلق بعد ذلك . فكانت القيود على

إصدار الصحف فى ذلك الوقت على أشدها ـ فلم يكن يعطى تصريح للمؤسسات القومية والحزبية فى إصدار ما تراه من صحف إلا بعد ذلك بفترة طويلة .

.. وصدرت جريدة المعركة مسائية تحمل إلى الشعب البيانات العسكرية أولا بأول ومقالات لكبار المفكرين والكتاب .

.. فى هذه الفترة كان قد اختمر فى ذهن محمد صبيح إصدار جريدة أسبوعية سياسية .. فقد كانت كل إصدارات دار التعاون متخصصة .. بل كانت الدار الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تصدر صحفا متخصصة للفلاحين والتعاونيين والزراعيين ثم للطلبة .. كما فكر فى إصدار أول جريدة رياضية أسبوعية .. وفعلا صدرت هذه الجرائد وكان توزيع الجريدة الرياضية أكثر من مائة الف نسخة . لأنها كانت الجريدة الوحيدة فى ذلك الوقت .

•• مابعد الحرب .. وأفكار جريئة

بدأت مصر فى الأخذ بسياسة الانفتاح الاقتصادى بعد حرب سنة ١٩٧٣م وفكر صبيح فى كيفية استغلال موقع دار التعاون أحسن استغلال ٢٢٧٥ مترا وكانت حالة الرواج الاقتصادى قد بلغت أشدها .. ولم يجد المستثمرون غرفة واحدة خالية فهى وسط مدينة القاهرة !!

وانتهى صبيح الى أن الحل هو إقامة مبنى ضخم مكان دار التعاون يضم مكاتب إدارية ومحلات تجارية إلى جانب أعمال الدار .. وواصل سعيه إلى ذلك .

وتقدم مكتب فى باريس يمتلكه واحد من أكبر المهندسين يسمى (كالبوك) يعمل معه مهندسون مصريون .. وأعد (ماكيت) لعمارة

تبلغ ثلاثين طابقا جزء منها لمكاتب التحرير بالمؤسسة والجزء الثانى يستغل تجاريا على أن يكون منها ستة طوابق تحت الأرض تستغل كجراج ومطابع وخلافه . وكان الجزء التجارى على هيئة فندق عالمى ..

.. وأرسل صبيح إلى الرئيس السادات يطلب موافقته على مشروعه الجرىء بتمويل من بيت الخبرة الفرنسى .. وأنه سيأتى بالاموال من أثرياء الخليج على شكل قرض يسدد من إيراد العقار .

.. احال الرئيس المشروع إلى السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء أنذاك والتقى به صبيح فى مكتبه وأطلعه على الماكيت ودراسة جدوى الخبراء من كبار رجال البنوك وعلى رأسهم الدكتور حسن زكى احمد رئيس مجلس إدارة بنك القاهرة ثم بنك التسليف ومجموعة أخرى من كبار الاقتصاديين .

.. أعجب السيد ممدوح سالم بفكرة المشروع والماكيت الخاص به ورجا صبيح فى شىء .. أن يكون المجمع مكاتب .. بدلا من فندق لأن المستثمرين لايجدون غرفة واحدة خالية .. وأن سياسة الانفتاح .. تعتمد على وجود أماكن لائقة كمكاتب للمستثمرين .

●● معركة أخرى مع عثمان أحمد عثمان

بعد موافقة رئيس الوزراء على إقامة المجمع الاستثمارى الكبير طلب صبيح التصريح بالبناء من وزير الإسكان .. وكان المهندس عثمان أحمد عثمان وقتها .. وفوجىء صبيح برفض وزارة الإسكان بحجة أن عدد الأدوار كبير والمبنى مرتفع .. ومن الغريب أن مبنى الشركة الكويتية وهو مبنى (كايرو سنتر) مجاور لمبنى دار التعاون وعدد أدواره وارتفاعه غير ماطلبت وزارة الإسكان !! ولم يجد صبيح

إلا أن يدخل فى معركة مع وزارة الإسكان بدأها بإعلان نصف صفحة فى جريدة أخبار اليوم ردفيه على اعتراضات عثمان أحمد عثمان .. وحاول رئيس الوزراء التدخل ايضا ..

.. وأجهض المشروع بخروج صبيح من دار التعاون مرة أخرى .. وبعد أن خرج منها زاره وكلاء (كالبوك) فى منزله . وأخبروه أن موافقة وزارة الإسكان قد تمت .

وعرف صبيح السبب فى رفض وزارة الإسكان لمشروعه .. وهو أن هناك مكتبا هندسيا كبيرا لمهندسين استشاريين لابد وأن يقوم برسم وإعداد الماكيتات الهندسية لأى مبنى كبير مقابل أموال كثيرة .

... وكان عثمان أحمد عثمان الثالث الخفى فى هذا المكتب !!

●● إصدار جريدة الحرية

بعد انتصار سنة ١٩٧٣م أعلن الرئيس السادات رفع الرقابة عن الصحف ، وبدأت بشائر الحريات ..

وبدأ صبيح أيضا فى التفكير الجدى فى إصدار جريدة سياسية تعبر عن المرحلة وتكون واجهة سياسية لمؤسسة دار التعاون كما ذكرنا سابقا .

وبدأ الإعداد لها ، وتم تكوين جهاز التحرير تحت إشراف الأستاذ محمود بسيونى كما قام محمد صيفى الذى كان يقوم بالإشراف على العمل الادارى والطباعى بتجهيز الورق اللازم لإصدار جريدة (الحرية) .

.. وبدأت حملة كبيرة للدعاية الصحفية .. وما إن بدأت هذه الحملة حتى بدأت المعاكسات من بعض الأجهزة للحيلولة دون

صدورها ـ وكان المعمول به فى ذلك الوقت أن يرسل إخطار إلى مصلحة الاستعلامات .. ولم يكن الحال كما هو الآن .. فأى مؤسسة صحفية قومية تصدر ماتشاء من صحف ومجلات .. وتقدم المرحوم قبارى عبدالله عضو مجلس الشعب عن دائرة قصر النيل بسؤال لوزير الإعلام بأن دار التعاون اغتصبت اسم (الحرية) وتريد أن تصدر جريدة بهذا الاسم . وأنه يصدر مجلة لقسم قصر النيل تحت هذا الاسم !!

واختارت دار التعاون اسما جديداً هو (نداء الحرية) وهو اسم مجلة كان يصدرها صبيح فى الأربعينيات .. ولكن المعاكسات لم تنته .. فما إن أعلن عن مولد العدد الأول .. إلا وقامت الدنيا ولم تقعد ..

كان الاعلان يشير إلى أن إبراهيم بغدادى محافظ القاهرة السابق ووكيل المخابرات الأسبق سيكتب مقالا بعنوان (كيف قتلت الملك فاروق) .

وكان المرحوم الدكتور عز الدين عبدالقادر مجاهد مصر الفتاة السابق والذى اتهم بمحاولة قتل الزعيم مصطفى النحاس قد فر إلى المغرب وعين أستاذا فى جامعتها كتب مقالا بعنوان (كيف قابلنى عبدالناصر فى المغرب ودعانى للاشتراك فى الوزارة ثم قبض على بمجرد وصولى إلى مطار القاهرة ..) .

.. وكتب فتحى الرملى عن كيف عذب الشيوعيون فى سوريا أيام الوحدة .. كان صبيح يريد أن تكون جريدة ليبرالية بمعنى الكلمة .. فاتصل قبلها بالأستاذ خالد محيى الدين ليكتب فيها بأى فكر يراه ـ ولكنه طلب الانتظار حتى صدور العدد الاول .

.. أما الاستاذ سعد كامل فقد كتب فى العدد الأول عمودا بعنوان (مطلوب مكتب فى المباحث العامة لمكافحة الرأسمالية) أسوة بمكتب مكافحة الشيوعية وقد أهاج ذلك العمود وزارة الداخلية .

وكتب عباس الأسوانى مقالا عنيفا ضد أحد الصحفيين الكبار وغير ذلك من المقالات النارية خاصة مقال الصفحة الأولى فقد خصصه صبيح للدكتور حلمى مراد الذى فند فيه سياسة الوزارة وقتها وكان يرأسها السيد ممدوح سالم .

•• صدور العدد الأول فى غفلة من الرقباء

كان موعد صدور العدد الأول فى رمضان من عام ١٩٧٤م . وقد نمى إلى علم أسرة التحرير أنه سيصادر قبل توزيعه .. واحتاط الجميع لهذا الأمر .. وما إنْ جاء موعد الإفطار حتى اصطحب محمد صيفى سكرتارية التحرير إلى منزله القريب من الجريدة لتناول طعام إفطار رمضان والنزول بعدها مباشرة ..

.. وقامت أسرة توزيع الأخبار بالحضور مع عربات التوزيع وعلى رأسهم أمين عدلى ، مدير توزيع الأخبار ونائبه على عبدالحافظ . وبدأت ماكينات الطباعة فى الدوران .. وقتها اتصلت مباحث الصحافة بمحمد صيفى تسأله عن موعد الطبع فقام بتضليلهم وأخبرهم بأنه سيبدأ فى الثانية عشرة مساء لعلمه بأن العدد سيصادر .

فوجىء رجال المباحث بأن العدد قد نزل إلى الاسواق فى التاسعة مساء وكانت أولى مناطق التوزيع حى سيدنا الحسين حيث تتواجد أعداد غفيرة من المواطنين فى رمضان .

•• صبيح مطلوب لمقابلة عاجلة !!

بعد صدور العدد الأول من جريدة (نداء الحرية) بيومين إتصل الدكتور حافظ غانم أمين الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت بصبيح

وطلب مقابلته على عجل .. وتوقع الجميع العديد من المضايقات عدا إلغاء رخصة الجريدة .

وعندما ذهب صبيح للدكتور غانم أخبره بأنه صدرت تعليمات من الرئاسة بسحب الرخصة وعدم ظهور العدد الثانى .. وأخرج له من مكتبه (تلكس) من رئاسة الجمهورية بتوقيع أشرف مروان سكرتير الرئيس للمعلومات يبلغ فيه الدكتور حافظ غانم بهذا الأمر الرئاسى .

وفى يوم صدور العدد الأول نشرت جريدة الأخبار كلمة تحية لجريدة (نداء الحرية) فى طبعتها الأولى كتبه مصطفى أمين - إلا أن هذه التحية حذفت من الطبعات التالية ..

.. بعد أيام علمت أسرة جريدة (نداء الحرية) التى صودرت وألغى ترخيصها أن أسرة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر قد اتصلت بالرئيس السادات وقالت له إن صحيفة صدرت تهاجم الرئيس عبدالناصر فى أغلب صفحاتها ..

.. وأن تقريرا أرسل إلى الرئيس السادات يؤكد أن صبيح جمع اغلب رجال مصر الفتاة ليكتبوا فى هذه الجريدة وأنه بدأ بالهجوم على العهد الناصرى وينتهى بالهجوم على العهد الساداتى !!

.. اتصل المهندس سيد مرعى بمحمد صبيح .. وقال له .. انك هاجمت هيكل وأفسدت ماكنت أقوم به من مصالحة بينه وبين السادات وكانت هناك جفوة بين هيكل والسادات .

وأن الحكومة هائجة بسبب مقال الدكتور حلمى مراد الذى هاجم فيه الوزارة وفند أخطاءها .

كما علمت أسرة تحرير الجريدة بأن الرئيس السادات قال : يطالبون بقيام الأحزاب .. إن رجال مصر الفتاة شكلوا الحزب من جديد وأصبح له جريدة أيضا .

.. لم يسكت مصطفى أمين .. فكان ينشر فى باب (عزيزتى أخبار اليوم) رسائل القراء تسأل .. أين جريدة نداء الحرية ؟ واستمر فى نشر هذه الرسائل عدة شهور بل لم يكتف بهذا وعلمنا أنه ذهب بنفسه للقاء الدكتور حافظ غانم ليعرف منه الحقيقة .

وهكذا قامت ضجة كبيرة لغلق الجريدة التى كان الناس يعتبرونها بداية عصر الحرية ورفع الرقابة عن الصحف .. وكان رد الحكومة أن الجريدة لاتحمل ترخيصا ، وأن هناك مجلة باسم الحرية .

.. بعد أسبوع من قرار الغلق حضر اثنان من الوجه البحرى وطلبا مقابلة رئيس التحرير صبيح .. وأخبروه بأنهم يحوزون رخصة لجريدة أسبوعية .. ومستعدان للتنازل عنها لتصدر بدلا منها جريدة الحرية مادامت المشكلة مشكلة رخصة ..

.. كان شعورا جميلا من القراء .. وأثناء العدد الأول طالب بعض كبار الكتاب أن يكتبوا للجريدة الجديدة مثل إبراهيم سعده وإبراهيم البعثى وفوميل لبيب وغيرهم ولكن .. هل سكت الصحفى الثائر بعد توقف جريدةالحرية ؟ ..

كانت دار التعاون تصدر جريدة باسم الطلبة ، وسرعان ما أصدر لها صبيح ملحقا سياسيا كان بنفس قوة وجرأة جريدة الحرية .. وإن كان أقل فى عدد الصفحات ..

زاد توزيع جريدة الطلبة هذه وملحقها السياسى.. ولم تمض شهور حتى أجرى الرئيس السادات تغييرا فى القيادات الصحفية .

اخرج فكرى أباظة من رئاسة المصور وعلى ومصطفى أمين من رئاسة الأخبار ومحمد صبيح من رئاسة التعاون وإحسان عبدالقدوس من رئاسة الأهرام وعبد الرحمن الشرقاوى من رئاسة روز اليوسف .

.. وكان هذا العزل هو الأخير لصبيح .. وتم تعيين رئيس جديد لمؤسسة التعاون ورغم أن الرؤساء المعزولين ظلوا فى مكاتبهم السابقة ككتاب .. الا أن صبيح آثر أن يظل بمنزله حتى نهاية العمر ..

كانت عواطف كبار الصحفيين جياشة نحو صبيح !! وفى لقاء بإحدى المناسبات إلتقى محمد صبفى بمحسن محمد الذى أصبح رئيسا لدار الجمهورية الصحفية فقال له : أبلغ أستاذنا صبيح بأنى أعرض عليه عقدا على بياض ليكتب عمودا يوميا بالجمهورية وبالمرتب الذى يشاؤه .. وسمع جلال الحمامصى هذا العرض وكان حاضرا فأثنى عليه ثناء مستطابا .

وبعد شهور من عزل صبيح .. أرسل الرئيس الجديد لدار التعاون خطابا على منزل صبيح يحيله فيه إلى المعاش .. فى اليوم الذى ينتظر فيه الناس رؤية هلال عيد الفطر .

وقد اخفى أولاده عنه هذا الخطاب وما حواه فقد كان مريضا .. وحتى يمر العيد ..

وعندما علم بذلك صديق عمره حافظ محمود .. إتصل بموسى صبرى الذى أبلغ بدوره الرئيس السادات فغضب غضبا شديدا وقال لموسى صبرى أبلغ رئيس التعاون أن يستمر مرتب صبيح من التعاون مدى الحياة .. وقد نفذ أمر الرئيس !!

•• آخر أيام العمر

كان فى أواخر أيامه يعيش كالغرباء .. وحتى لا يأخذ الحزن منه مأخذا ويزيد من إرهاق جسده النحيل أخذ يكتب ولكن ليس بيده بل يملى على ابنته ما يريد وقال جميل عارف : (١)

---

(١) صباح الخير ... (ص٢٨)

« قبل وفاته بأيام تورمت ساقاه نتيجة لضعف عضلات القلب وعدم تدفق الدم فى شرايين الجسم بصورة طبيعية »..

وذهبت مع أنيس منصور لرؤيته فى الأيام الأخيرة .. أمسك الرجل وهو على فراش الموت بيد أنيس منصور ثم شد عليها بقوة وهو يقول له :

ـ أنا سعيد لأنك أصبحت الآن واحدا من الذين يجلسون على القمة كأديب وكاتب والمهم أن تعرف كيف تحافظ على مكانك عند القمة .. وعندما تركناه قلت للزميل أنيس منصور ـ

ـ يبدو أنه أراد أن يودعنا فى ساعاته الأخيرة قبل ان يودع الحياة فرد على وهو فى أشد حالات الانفعال ـ:

ـ نهاية إنسان عرفناه طويلا ـ...

ـ إنه يموت والألم يعصر قلبه بعد أن تنكر له الكثيرون فى أيامه الأخيرة وفى أواخر أيامه تمكن المرض من جسده النحيل ، وكان ممنوعا من أن يتمتع بنعمة الاسترخاء على الفراش .. وظل فى مقعد متحرك على عجلات وفى يوم ٢٥ ، ٢٦ أبريل من عام ١٩٨٢ م راح فى غيبوبة مستمرة إلا أنه أفاق من الغيبوبة يوم ٢٧ أبريل ليقول شكرا لك يارب وبعدها فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها .



١٩١٠ • ١٩٨٢

الفصل التاسع

نهاية عملاق

•• ومات فقيرا

عاش محمد صبيح فقير المال غنى النفس كما قيل عنه ..

فهو لم يرث عن أبويه ولا عن زوجته وكانت مبيعات كتبه تدر عليه دخلا لا بأس به .. إلا أنه كان يشترى بجزء منها كتبا أخرى ليقرأها كما ذكرنا .

... وأخيرا اشترى قطعة أرض بالمعمورة باسم أولاده الأربعة وبنى عليها شقة على أعمدة كدور ثان ثم استغل هذه العمدان فى بناء شقة دور أرضى كاستراحة لزواره بعد أن وجد تلاميذه ومريديه يحبون

اللحاق به فى مصيفه هذا .. وقد زرع حول الفيللا خضروات وزهورا .. حتى إن الزائر يشعر وكأنه فى مزرعة ريفية (١) وكانت هذه القطعة من أرض المعمورة بالتقسيط وقد اشتراها عندما آلت ملكية شركة المعمورة للإصلاح الزراعى وكان تقسيطها على أكثر من عشرين عاما وباعها بعد ذلك بمبلغ زهيد قبل حرب ٧٣ وارتفاع الأسعار الجنونى وقتها .

والجدير بالذكر أنه كتب معظم موسوعاته فى هذه الفيلا وكان يكتب فى مقدمة كتبه التاريخ الذى انتهى فيه من كتابتها والمكان .. وكان معظمها فى المعمورة !!

وفى أوائل الستينيات اشترى صبيح سبعة أفدنة من الأراضى الصحراوية باسم أولاده بجوار سور نادى الرماية بالهرم . ورغم أن هذه الأرض لم تكن قد زرعت بعد .. إلا أنه كان يزورها ويجلس فى خلائها الواسع وبيده قلم وورق ويكتب ما يشاء . وكانت هذه الأرض الصحراوية تتبع وقتها مؤسسة تعمير الصحارى ، وكان محمود بسيونى رئيس تحرير المجلة الزراعية يزور رئيس هذه المؤسسة ويأتى بأخبارها كما كان صديقا لرئيسها فى ذاك الوقت اللواء حسن صبيح (وهو تشابه فى الاسماء وليس قريبا لمحمد صبيح) وكانت هذه المؤسسة تبيع هذه الأراضى الصحراوية فى الستينات على آجال طويلة بأقساط بسيطة فكان أن اشترى منها محمود بسيونى قطعة أرض لصبيح .

أين قصر صبيح .. ؟

كان أحد التقارير التى رفعت إلى الرئيس جمال عبد الناصر تقريرا تضمن أن محمد صبيح يملك قصرا فى المعمورة ملحقا به حمام سباحة .. وكان من حسن حظه أن طلب الرئيس مشاهدة القصر .

---

(١) هدمت الفيللا بعد بيعها وأقيمت مكانها عمارة سكنية فى شارع (٩) بالمعمورة

وعندما وجده سكنا متواضعا من طابق واحد .. أشر على التقرير بأن ما رآه ليس قصرا وأما بالنسبة لحمام السباحة فقد اختلط الأمر على كاتب التقرير !!

وكان مصير هذه الفيللا أن بيعت بكل مافيها حتى ملابسه وملابس أولاده وذلك زهدا فيها بسبب مرض زوجته فى هذه الفيللا .

●● حياته الاجتماعية

تزوج محمد صبيح فى منتصف الثلاثينات من سيدة من اصل تركى اسمها فاطمة الزهراء محمود عزمى .. وكان يدعوها بفاطمة النبوية تعرف عليها عن طريق أخيها الذى كان صديقا له وعضوا فى مصر الفتاة .. طلبها منه للزواج بعد أن لمس فيه حسن الخلق وأصالة المنبت وحسن الجوار .

كانت زوجة مثقفة هادئة الطبع والصوت فكرها منظم ورأيها سديد مطيعة فى كل ما يأمرها به زوجها .

.. لم تكن سيدة مجتمعات تحب الحفلات والتنظيمات النسائية . ولكنها ركزت اهتماماتها للقيام بخدمة منزلها وأولادها وخدمة ضيوف زوجها سواء فى الندوات التى كانت تعقد بالمنزل أو ضيوفه الوافدين على داره دائما ..

.. كثيرا ما كان يطلب منها الرأى فيما يتعلق بمسيرة كفاحه السياسى وعمله الصحفى .. فقد كان يطلعها دائما على دقائق حياته . ويرسم لها خطة التصرف فى حالات اعتقاله أو سفره .

.. وعاش صبيح حياة اجتماعية هادئة ، وتحملت معه زوجته متاعب الحياة وقسوة الاعتقالات .. فقد كان يحب الهدوء والاستقرار حتى عكر عليه صفو هذه الحياة الهادئة مرض زوجته (١) .

(١) د . على الرجال ـ حديث مع المؤلف .

لم يحب غيرها ولم يتزوج بأخرى واستمر زواجهما اثنين وثلاثين عاما إلى أن اختارها الله إلى جواره .. فحزن عليها حزنا شديدا وظل على ذكراها مابقى من عمره .

.. وبعد وفاتها بنى لها مسجدا فى حى البساتين بالقاهرة .. دفن فيه بجوارها بعد ذلك .

.. وبوفاة الزوجة فقد صبيح أكبر معين له فى حياته .. تلك هى زوجته ، ولما سئلت ابنته فايزة عن مدى مساندة والدتها لوالدها فى كفاحه ؟ قالت .. عرفت كم مرة اعتقل فيها وشرد من عمله لسنوات طويلة ومع ذلك لم تشعره يوما بأن البيت قد نقص منه شىء أو احتاج مالا .. نتيجة الظروف القاسية التى كان يمر بها .. بل كان البيت دائما مليئا بالخير والناس .. وباستمرار ندوات ولقاءات .. وكنا نحن الأبناء الأربعة نتعلم فى أحسن مدارس فى البلد .. انا لم أشعر يوما فى بيت والدى بضيق الحال .. بالرغم من الأزمات المادية التى تعرض لها .

●● تقول سكرتيرته : (١)

(.. لم أر فى حياتى وفاء رجل لزوجته كالأستاذ صبيح .. فقد عاش على ذكراها سنين طويلة دون أن يتزوج رغم حاجته إلى من ينظم له حياته ويرعى صحته .. وضع فى كل ركن من أركان منزله صورة لها .. حتى يراها أينما ذهب .. كان دائما يذكرها بالخير ويختم حديثه بقراءة الفاتحة على روحها ..)

وعن الزوجة أيضا .. يقول أحد جيرانه عن وفائه العظيم لها : (٢)

---

(١) الأستاذه فايزة رجب
(٢) د . على الرجال

(.. عانت زوجته رحمة الله عليها الكثير من جراء اعتقاله وسجنه لأكثر من ثلاثين مرة .. ومرضت مرضا استهلك أنفاسها وأمواله وكنت أراه كأنما هو الذى مرض .. وتكلف علاجها مبالغ كبيرة تجرد بسببه من كل ما كان يملك .. فلما قضت نحبها ولاقت ربها أقام لها ضريحا داخل مسجد بناه لتقام فيه الصلاة ويقرأ فيه القرآن الكريم على روحها الطاهرة .. إنه الوفاء العظيم ..)

●● أولاده الاربعة

أنجب صبيح خلال فترة زواجه التى استمرت اثنين وثلاثين عاما تقريبا أربعة . إثنين من الذكور واثنتين من الإناث هم بترتيب الميلاد :

طارق :

عمل بعد تخرجه بالسعودية . ثم بشركة المقاولون العرب ثم مصورا بالأهرام وقد انتقل إلى جوار ربه بعد وفاة والده بأحد عشر عاما .. وكان يتمتع بالكثير من صفات والده .

سماء :

تعمل الآن مديرة بمجلس الشعب وتزوجت أستاذا بجامعة المنصورة .. وقد توفى منذ شهور .

نور :

يعمل الآن مصورا بجريدة الأهرام .

فايزة :

هى ابنته الصغرى كما كان يسميها بذلك حتى بعد زواجها .. وقد عملت بالصحافة بعد تخرجها فى باب الحوادث ثم هجرتها لتعمل بالاتحاد التعاونى الاستهلاكي المركزى وتعمل الآن مديرا للتدريب .

●● علاقة الأب بأبنائه

كانت علاقة الأب بأبنائه علاقة صداقة .. وكان يقول لهم إعتبرونى ناصحا أمينا لكم .. لاسلطان لى عليكم .. وبذلك استطاع أن يربى فيهم شخصيات سوية السلوك وطنية النزعة .

●● حياته العامة

كان صبيح من الشخصيات العامة البارزة فى مجال السياسة والصحافة والإعلام وكان مكتبه فى جرائد الأساس والقاهرة ودار التعاون وغيرها ملتقى رجال الفكر والسياسة والتعاون فى مصر .. كما كانت ندواته التى كان يعقدها فى منزله (٣٩ شارع الفلكى) على فترات متقاربة تضم رجالات مصر ووزراءها .. كان فى كل ندوة يتناول قضية من قضايا الوطن ويناقشها ويقول فيها رأيه بصراحة .. لذلك كانت هذه الندوات بمثابة مدرسة لتعليم الوطنية .

كانت دار التعاون التى أسسها ملتقى رواد الحركة التعاونية والحركة الصحفية معا .. وأصبحت إصدارات التعاون المنبر الحر للآراء التى ترفض الصحف القومية نشرها .. كما قال ذلك فى مناسبات عدة ..

.. ومن هذه الدار تخرج مئات الصحفيين يعملون الآن بكل الصحف القومية والحزبية وفى البلاد العربية .

.. لذا كانت حياته العامة حافلة بالاجتماعات ولقاءات أصحاب الرأى والفكر فى مصر .. خاصة فى عهد الثورة .. ذلك لأن شخصيته كانت شخصية متميزة .. كما كانت صفاته الشخصية التى انفرد بها عن غيره من عمالقة الأدب والصحافة فى عصره كذلك .

صحيح أنه دفع ضريبة تفوقه فى مهنته وتميزه فى الفكر والشخصية أغلى ثمن .. فاعتقل وما أكثر مرات اعتقاله ، ونحى عن

مكانه أكثر من مرة .. إلا أن حياته العامة تميزت بكثرة الأصدقاء والمريدين .. كما تميزت بقاعدة عريضة من قراء الصحف يتلهفون فيها على قراءة مقالات صبيح التى كانت تحمل فكرا مستنيرا ويعرضها فى جرأة بالغة .

•• هو فى عيون تلاميذه وأصدقائه

.. لعلنا ونحن نحدد معالم شخصيته نسمع رأى من عايشوه لسنوات طويلة أو عملوا تحت قيادته .. فهم أقرب الناس له وأدقهم وصفا لشخصيته .

يقول عنه أحد تلاميذه المقربين ممن عايشوه لعشرات السنين : (١)

(.. كان كبيرا وعملاقا .. وأكبر من كل المناصب التى شغلها .. كان على استعداد دائم للعطاء والتشجيع والمساندة بقوة .. ما من كرسى جلس عليه إلا وكان دائما أكبر من هذا الكرسى فى عصور عانى فيها مجتمعنا المصرى من الفجاجة والدنايا والصغائر .

لم يعرف عنه ولا معه النفاق ولا الرياء ولا الكذب فهذه صفات دنيا يسفل بها الإنسان ويتدنى إلى مرتبة أدنى من الحيوان .

.. كان يترفع عن الصغائر والدنايا ويحتقر الكذب والنفاق ويرفض المداهنة والالتواء .. كانت خطوطه واضحة .. وصراطه مستقيما ..)

•• الصفات المميزة لشخصيته

لخص أحد زملائه بكلية الآداب صفاته الشخصية بقوله : (٢)

(.. كان معنا ومع غيرنا مثال السماحة والصبر والجلد

---

(١) محمود بسيونى ـ المجلة الزراعية ـ مرجع سابق (ص٨)
(٢) عبدالله عبدالبارى ـ مقال بعنوان : محمد صبيح فى ذمة التاريخ ـ المجلة الزراعية (ص١٧)

والاتزان ، والأخلاق والشجاعة ، والثقة بالنفس وبمصر .. وكان يهتم بغرس هذه الصفات فينا جميعا ..)

.. وفى رأيى وقد التقيت به مرارا .. أن الصفات المميزة لشخصيته أنه إنسان تشرب بالروح العام .. يحس بنبض الجماهير وحاجاتها ويعمل على تحقيق الآمال والأمانى .. متعته فى الحياة أن يعطى ولا يأخذ ..

وعن إيمانه بقضاء الله وقدره يحدثنا الدكتور عبدالمنعم النمر فيقول : (١)

(.. ظل الحال على ذلك إلى أن جمعنا معتقل الزيتون خلال الحرب الثانية الماضية عام ١٩٤٢ ـ فكانت فرحتى بلقائه والقرب منه تنسينى مرارة المعتقل فقد عرفته عن قرب ، وعرفت سعة أفقه واطلاعه ، وحرصت على الاستفادة منه ، وكان دائم النشاط لايفتر .. كما كان دائم الابتسام وعدم المبالاة .. بما نحن فيه ..)

ويبرز بوضوح إيمانه العميق بقضاء الله وقدره فى كل كتاباته سواء فى المقال أم الكتب الصغيرة أم الموسوعة الكبيرة .. ويشعر القارىء أنه عندما يكتب عن الله الأعظم أو نبيه الأكرم فإن أسلوبه يفيض بالخشوع لهما يقول فى مقدمة كتابه (وإن عدتم عدنا) :

(.. وانى واثق تماما بعد ان سبرت أغوار النفس العربية فى الأردن والعراق ومصر .. أن الله بالغ أمره ، وناصر جنده ، ودافعنا إلى أن نخطو فى سبيله هذه الخطوات المقدسة التى كتبت علينا لنطهر قدسنا ومسرى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ومولد عيسى المسيح عليه السلام ..) .

---

(١) المجلة الزراعية . مقال له بعنوان ذكريات العالم المجاهد صبيح (ص١٤)

يقول بعض أتباعه عن شجاعته : (١)

(.. كان رجلا شجاعا بكل معنى الشجاعة .. وكانت شجاعته تصل إلى حد الجرأة التى كنا نراها أحيانا .. تهورا .. لايتناسب مع سنه ولا مع درجة احتمال ذلك العصر .. ولكنه أبدا لم يفقد شجاعته ولم يتنازل عنها وأصر دائما على أن يقول كلمته .. ولو كانت ضد الاتجاه العام ، كان دائما على استعداد لأن يسبح ضد التيار السائد ولو كان جارفا إذا كان يرى الحق فى جانب رأيه .

وقد روى لى رئيس تحرير جريدة الأساس أن صبيح لم ينافق أصحاب الجريدة التى كان يعمل بها .. بل كان يكتب ويسجل أى خطأ يرتكبه الحزب السعدى ويهاجم حكومته أحيانا .. فقد انتقد وزيرا سعديا على صفحات هذه الجريدة .. هو ممدوح رياض سكرتير عام الحزب السعدى ووزير التموين فى حكومته . قائلا :

إنك بهذه السياسة رفعت أسعار الخبز وأسعار الدقيق ..

يقول زميل كفاحه جلال الحمامصى مؤكدا تأصيل هذه الصفة(٢):

(.. كان لايتردد فى أن يجهر بما يرى أنه الحق الذى يفرض عليه ضميره الدفاع عنه .. وهو لهذا دفع الثمن الغالى .. وعانى أشد المعاناة .. ولم يكن يكشف عما فى نفسه .. ولكن الذين يعرفونه يقرأون على وجهه مايخفيه داخله .. ويعتبره أيضا ضريبة كتمان يدفع ثمنها لتعليم الآخرين كيف تكون قوة الاحتمال ..) .

لذلك كان حريصا على نقل الحقائق للشعب واعتبر ذلك من أول واجبات الصحافة .. كما عرض أن ينقل كل مايدور فى المجلس النيابى كاملة وينشره لأنه يرى أن أخطر ما يمكن هو التكتيم على الأخبار لأنه يخلق الإشاعات .

---

(١) محمود بسيونى ـ المجلة الزراعية ـ مرجع سابق (ص٩)
(٢) المجلة الزراعية ـ مرجع سابق (ص١٦) .

... وقد اضطهد كثيرا بسبب تصميمه على نشر كل ما يدور فى مجلس النواب حتى ولو كان استجوابا لبعض الوزراء دون حذف أو إضافة .

.. بل إن الذين كانت تربطهم علاقة طيبة به كان لايتورع فى الهجوم عليهم بمقالاته اللاذعة اذا وجد أنهم حادوا عن الطريق السوى .. تراه يهاجم أستاذه طه حسين فى جراة بالغة وقت أن كان وزيرا للمعارف (التربية والتعليم الآن) .. فقد قال فى مقال طويل بعنوان (فار السبتية) يقول : (١)

(.. أما آية استغلال طه حسين الكبرى ، فهى مطاردة الوزير السابق لآلاف من موظفى وزارة المعارف وتسليط سيف النقل والتشريد على رقابهم لأن النواب والشيوخ الوفديين ارادوا أماكنهم لأعوانهم . أو لأنهم لم يكونوا فى صفوف الوفديين أيام المعركة الانتخابية الأخيرة .. وتتلقى وزارة المعارف مئات من شكاوى المظلومين الذين حل بهم غضب « المستغل » طه حسين ، لا لشىء إلا لأن بعض الوفديين تقدموا له بالشكوى منهم ..) .

ومن دلائل جرأته أن فكر فى إصدار جريدة التعاون أو جريدة الفلاحين كما كان يحلو له أن يسميها .. وكان رفاقه المخلصون له غير راضين عن هذه التجربة وفى مقدمتهم حافظ محمود شيخ الصحفيين .. إذ يرونها مخاطرة غير مأمونة العواقب .. لأنه سيكتب لمن لايقرأون !!

.. وصدرت الجريدة كبيرة منذ عددها الأول .. وبعد صدورها بأشهر قليلة أراد أن يجيب لوامه على إصدارها فنظم مؤتمرا تعاونيا فى محافظة الشرقية ودعا للحضور كبار رجال الصحافة المصرية وعلى

---

(١) جريدة الاساس ـ العدد ١٤٨١ الصادر فى ٢٣ مارس عام ١٩٥٢ م .

راسهم شيخهم وفوجىء الجميع بمهرجان كبير حضره الفلاحون من كل صوب وحدب ووقف أحدهم مرحبا برجال الصحافة قائلا :

(.. لاتحسبوا يا سكان القاهرة أنكم وحدكم الذين تقرأون .. يكفينا فى هذه القرية أننا نقرأ جريدة التعاون ..)

يعود جلال الحمامصى فيكتب :

(.. لقد أحسست إحساسا شخصيا بأنى فقدت رجلا يعرف كيف يواجه كل الصعاب والمتاعب بأعصاب هادئة وفكر سليم وقرار جرىء وأن يكون فيما يتبع ذلك من مواجهة عملية خير عون وخير زميل وصديق ..)

•• موقف آخر للرجل

فى ذات يوم جاءه شاب خرج من المعتقل بعد خمس سنوات وكان متهما بمعاونة أسر المعتقلين والمسجونين السياسيين .. علم بمروءة صبيح .. وشجاعته فدخل عليه مكتبه يطلب عملا .. وقدم إليه نفسه على أنه كان يعمل بالصحافة .. وتركها منذ خمس سنوات .

ولمس صبيح حاجته إلى عمل يتعيش منه .. فوافق بشرط أن يتدرب أولا عدة أشهر بالجريدة قبل أن يتخذ قرارا بتعيينه .. ووافق الشاب إلا أنه طلب منه الا يسمع لوشاية أحد به لأنه كان معتقلا لأسباب ذكرها ..

.. فتح صبيح درج مكتبه واستكتبه طلب تعيين وأشر عليه فى الحال بتعيينه وولاه رئاسة تحرير المجلة الزراعية بعد ذلك .. وأصبح محمود بسيونى .. ذلك الشاب صاحب هذه القصة عضوا بالمجلس الأعلى للصحافة وممثلا لمصر فى الحلف التعاونى الدولى : (١)

---

(١) مقال بعنوان : رحلة طويلة فى كفاح مستمر ـ المجلة الزراعية (ص١٦)

عرف محمد صبيح بالتواضع والأدب الجم .. وهذا أمر طبيعى فى الرواد والمفكرين الذين يتقنون صنعتهم ويؤمنون بأن الله تعالى فوق كل ذى علم عليم ..

.. حدثنى أحد المقربين إليه فقال : رغم أنه تولى مواقع عديدة .. إلا انى ما أحسست يوما أنه تغير فى تواضعه .. فقد كان كبيرا لا متكبرا .. وقال عن تواضعه : (١)

(.. كانت ابرز صفاته التواضع .. وفى فترة عمله معى فى جريدة الأساس لم يكن يشعر المحررين بأنه رئيس لهم .. بل يعتبر نفسه واحدا منهم وصفة التواضع كانت من سماته البارزة التى جذبت الناس إليه فلم يكن هناك من يكرهه ..)

وقد روى لنا شيخ الصحفيين حافظ محمود أنه أثناء زيارته ليطمئن عليه فى مبنى الإصلاح الزراعى .. وكان ذلك بعد التجارب الأولى لصدور المجلة الزراعية لاحظ أنه يجلس بين مجموعة كبيرة من أساتذة الزراعة الذين يصلح كل منهم أن يكون مرجعا أو موسوعة فى مادة تخصصه .. يستفيد من علمهم ، ويشاورهم الأمر فيما هو مقدم عليه من إنشاء صحافة زراعية متخصصة .

.. وصفة التواضع هذه قد برزت فى بساطته فى الملبس والمأكل ومعاملة الآخرين بالحسنى .. فقد كان بسيطا فى كل شيء .

.. وكما كان صامدا فى مواجهة المحن فإنه كان كذلك فى عمله . يتحمل مسئوليته كاملة دون أن يلقى بها على أحد عند المساءلة .

قال عنه أنيس منصور :

(.. لم أعرف فى حياتى الصحفية أحدا فى مثل قدرته على العمل

---

(١) د . على الرجال ـ حديث مع المؤلف

الطويل ولا الجلوس المستمر فى مكتبه من الصباح حتى المساء .. ولم أر أحدا يختزن هذا القدر الهائل من الصبر ..) .

كانت صفة الاعتدال طوق النجاة له فى كل المحاكمات التى قدم إليها .. فكان يرد على أسئلة رجال القضاء بهدوء واتزان ومنطقية .. يشعرون منها أنه معتدل فى كل تصرفاته .. كل ما عليه أنه يحب بلاده وما أكثر من يحبونها .

وعن بساطته قال المهندس سيد مرعى : (١)

(.. حتى إذا ما عرفت صبيح فى جريدة الأساس ، وكان مكتبه ملتقى شباب الحزب .. وجدت فيه الجرأة والبساطة والمثابرة على العمل حتى بالرغم من ازدحام المكتب بالوافدين ..)

وكان كريما لأقصى درجات الكرم .. فقد كان يجود على الآخرين بما عنده .. وكانت متعة الحياة أن يعطى بسخاء فى كل شىء طالما فيه خير للآخرين .

قال عنه الدكتور على الرجال :

(.. كان صبيح غاية فى الكرم .. كما كان غاية فى الوفاء ..)

●● صناع فكره

لعل أهم الشخصيات التى استقى منها فكره عدا والديه ثلاث شخصيات هم :

(١) عزيز المصرى
(٢) عبدالعزيز الثعالبى
(٣) أحمد حسين

---

(١) المجلة الزراعية ـ مرجع سابق

وليس معنى ذلك أن هؤلاء الثلاثة هم الذين أخذ عنهم وحدهم فكره ولكنه تشبع بأفكار كثيرين مما جعله رجلا موسوعيا كما ذكرنا .. ولكن الثلاثة هم أكثر من قابلهم وأعجب بهم وأخذ عنهم مسيرة كفاحه .. أما كتاباته فقد كان لكثير من الأدباء أثرهم على أسلوبه الأدبى . ولكنه يذكر لنا أهمهم أثرا على كتاباته فى مذكراته الشخصية فيقول :

(.. تتلمذت على أساتذة عظام أذكر منهم د . طه حسين ، وأحمد أمين ، وأمين الخولى ، وعبدالوهاب عزام ، ومصطفى عبدالرازق ، وشفيق غربال ، ومنصور فهمى ، وإبراهيم مصطفى وغيرهم ..)

هؤلاء هم أساتذته الذين وصفهم بأنهم عظام .. ومن البديهيات أن التلميذ إذا أحب أستاذه قلده فى كل سلوكه .. وتمنى أن يكون مثله .. فهو المنبع الذى يستقى منه فكره .

.. وقد ذكر صبيح أنه تعلم أساليب الكفاح الوطنى من اثنين من العمالقة حيث قال فى مذكراته :

(.. إذا كان مؤلف هذا الكتاب يدين لاثنين بالفضل فى توجيهه الوطنى والثقافى فأحدهما عزيز المصرى أما الثانى فهو الزعيم التونسى : عبدالعزيز الثعالبى .. رحمهما الله فقد كانا من أعز الرجال وأطهر القادة والزعماء ..)

.. ومن ثم فإنه يمكن القول بأن منابع الفكر التى كان لها تأثير فى تكوين فكره بترتيب الأهمية : والداه وعزيز المصرى وعبدالعزيز الثعالبى وأحمد حسين وأساتذته فى المدارس والجامعة .

.. وقد سألت الدكتور على الرجال جاره فى السكن ورفيقه فى الكفاح عن الشخصيات الأقوى تأثيرا على فكر صبيح واتجاهاته فقال :

(.. أكثر الناس تأثيرا على فكر صبيح هو عزيز المصرى الذى

رشحه أحمد حسين لقيادة ثورة يوليو عام ١٩٥٢ م ولكنه رفض ورشح محمد نجيب ليكون قائدا للثورة .. لأنه كان محبوبا ..)

وسنتناول على الصفحات التالية اثنين من الشخصيات التى أثرت على فكره وهما عزيز المصرى وأحمد حسين .

●● ١ ـ عزيز المصرى الأب الفعلى لحركات المقاومة

تأثر صبيح بشخصية وأفكار الأب الفعلى لحركات المقاومة المصرية الفريق عزيز المصرى الذى كان قائدا للقوات المسلحة المصرية عام ١٩٣٩ وتركها ليتفرغ للدفاع عن قضايا وطنه والقيام بنفسه بمحاربة المستعمر الإنجليزى ـ الذى اغتصب حق المصريين فى الحياة وفى الحرية .. ولما ضاق الإنجليز به ذرعا عرضوا عليه عرش اليمن وأن يلبس تاجا من تيجان العرب ولكنه رفض .. فاعتقل قبل قيام الحرب العالمية الأولى .. وبعد الإفراج عنه تولى رئاسة الجيش إلا أنه فضل الجهاد فى سبيل الوطن ..

.. لقد أخذ صبيح من عزيز الصراحة والوضوح .. وحبه للشباب يغذيهم ويبين طريقهم للكفاح المسلح ضد المستعمر .. وكان يؤمل فيهم خيرا ـ كما أخذ منه روح الوطنية والجرأة .. ولما أحس بتصميم الإنجليز على نفيه إلى جزر سيشل قرر الهرب المؤقت إلى ليبيا ..

ومن الطبيعى أن يمر صبيح بنفس الظروف التى مر بها أستاذه عزيز المصرى الذى حورب كثيرا ومنع عنه معاشه واغتصب ميراثه ، واتهم بأنه باع خطة الدفاع عن الصحراء الغربية التى اشترك فى وضعها إلى حلفاء ألمانيا .. لأن المجاهدين المصريين فى ذلك الوقت كانوا يؤمنون بأن أى عمل يبذل لهزيمة الإنجليز إنما هو فى صالح استقلال مصر !!

ومن حبه لعزيز المصرى أرخ له كتابا طبع فى لبنان .. وكان عنوانه (بطل لن ننساه ..) عزيزى المصرى وعصره .. كتب فى مقدمته :

(.. كانت تشدنى إليه طاقته البارعة فى الحديث .. وثقافته الواسعة وحبه للقراءة إلى درجة الفهم ، وتجاربه الخصبةُ الغنية وركوبه من المخاطر ماتعجز عنه فرقة من أشجع الرجال ، ووفاؤه النادر ، وسخاؤه وكرمه فى غير تظاهر علَى قلة ماليديه ..)

●● وكتب عن جهاده فقال (١)

(انتسب إلى أكثر الجمعيات السرية ، لا بل أسس بعضها ، فعمل وجاهد وعرض حياته لأفدح الأخطار .. ولم يقتصر فى جهاده على مقاومة الترك فحسب بل قاوم الاستعمار البريطانى فى مصر ، وحارب الغزاة الطليان فى طرابلس الغرب ، ولم يتراجع إلا بعد أن خذله الترك ، وقدموا البلاد غنيمة للغزاة ..

ولانعدو الصواب إذا قلنا : إنه كان أول مصرى فى العصر الحديث ترفع عن الإقليمية الضيقة ، وفتح قلبه للعرب جميعا ، مؤمنا بأنهم سواء فى المصلحة والمصير ، وعمل باسمهم غير متوان عن معالجة مشكلاتهم التى حسبنا أن نذكر منها مشكلة اليمن مع الأتراك ..)

.. ويستطرد فى وصف مدى كراهيته لقوات الاحتلال الإنجليزى فيقول (٢)

وتلقى (عزيز المصرى) كتابا من الجنرال (ويلسن) يشيد فيه بقدرته ، ويصفه بأنه واحد من أعظم قواد العصر الحديث ..

---

(١) من العلمين إلى سجن الاجانب (ص ٢٤)
(٢) نفس المرجع (ص ٢٦)

ولكن (عزيز المصرى) وهو ينظم خطوط الدفاع عن مصر لم ينس أن الإنجليز هم أعداؤنا الحقيقيون وأن عدة البلاد فى التخلص منهم هم الضباط الشبان والجنود ، فاتخذ من الثكنات حول القاهرة ومن مراكز الجنود مقر عمله ، وهجر المكتب المعد له فى مقر وزارة الحربية والبحرية والطيران ..

وأقلقت هذه الهجرة القصر ولواءات الجيش .. وحاولوا أن يستردوه مرة أخرى إلى المكاتب الرطبة فى مبنى الوزارة القديم ..

وكان عزيز المصرى وصبيح يجتمعان على حب القراءة . وخاصة فى أماكن اختبائهما للاستفادة وقتل الوقت أحيانا .. ويروى صبيح أن عزيز كان يحتمل كل شيء إلا أن يحال بينه وبين القراءة والاطلاع .. وكان يرسل ثلاثة أرباع معاشه لزوجته وابنه المقيمين فى أمريكا .. ولا يطلب منهما شيئا الا أحدث الكتب فى السياسة والأدب والشئون العسكرية ..

●● لقاؤه بالفريق عزيز المصرى

وصف لقاءه الأول بعزيز المصرى فى مذكراته تحت عنوان دعوة من عزيز المصرى قال فيها : (١)

وجاءنى نبأ من (عزيز المصرى) عن طريق (عبدالقادر رزق) .. عن طريق (أحمد مرزوق) عن طريق (عبدالسلام الشريف) ـ كلها أسماء لها دور فى هذه المذكرات ـ أنه يريد مقابلتى لأمر عاجل فى مكان حدده ..

وتنكرت فى زى ساع من الذين يعملون فى المكاتب ، لنقل الأوراق .. ولبست نظارة قديمة بالية سلوكها بيضاء صدئة ، وحذاء قديما وحملت حقيبة أوراق ، وسرت أعرج وراء السيد (أحمد

---

(١) ـ كتابه من العلمين إلى سجن الأجانب (ص ٢٦)

مرزوق) .. فقد كنت تابعه ، وكان هو الذى سيدلنى على طريق اللقاء ..

وأمام عمارة فخمة فى الدقى ، فتحت الأسانسير (لمرزوق) فى أدب ، ودخل واقفل الباب ، ولم يدعنى إلى الركوب معه .. فصعدت السلالم .. أعرج أيضا - حتى وصلت الدور الرابع وهو مسكن الآنسة (ع . فهمى) ..

وضربت الجرس ، وفتحت الخادمة الباب ، وقبل أن تقول شيئا كنت فى الصالون أعانق الرجل الكبير الذى طال شوقى اليه ..

وتعدد اللقاء بين عزيز المصرى وصبيح .. فى كل مكان حتى فى السجون مما أتاح له فرصة أن يكون أكبر جلساء الرجل الذى طال شوقه إليه !!

يقول فى مقدمة كتابه عن تعدد لقاءاتهما : (١)

ومضت الأيام ، وجمعت بيننا مغامرات ، وضمتنا سجون فى محن الحرب العالمية الثانية ومابعدها .. فلما أذن الله لرحلة هذا المجاهد الفذ إلى انتهاء .. هذا الرجل العبقرى الذى عاش فى دنيانا ، ومات غريبا .. نويت أن أعطيه بعض حبه لقوميتنا العربية ، ووطنا المصرى بتأليف كتاب عنه .. يكون قبسا من نور .. لأجيال لم تعلم الكثير عن البطولة الحقة فى أروع صورها ..

●● ٢ - أحمد حسين

ثالث الشخصيات التى أثرت على فكره الوطنى .. الثائر أحمد حسين مؤسس جمعية وحزب مصر الفتاة التى تناولناها تفصيلا فى الصفحات السابقة ..

---

(١) - المرجع السابق (ص ٢٧)

ولإعجاب صبيح بأحمد حسين ومشروعه تخلى عن حزبه (الوفد) الذى كان يهاجم المشروع ..

استمرت علاقتهما أكثر من نصف قرن .. وتبادلا الكتابات السياسية وتأليف الكتب التاريخية ، وكانت بينهما مودة وتبادل فكرى فى الآراء الوطنية وقضايا الوطن العربى ..

وفى أوائل الستينات اقترح على صبيح أن يشتركا فى كتابة تاريخ مصر وهى الموسوعة التى صدرت له فى الخمسينات .. وبعد أن بدأ فى العمل اختلفا على تبويب الموسوعة ، وأكملها المرحوم أحمد حسين ..

والجدير بالذكر أن الذين أرخوا لمصر ثلاثة هم : عبدالرحمن الرافعى ، وأحمد شفيق وأحمد حسين ، أما صبيح فقد أرخ لمصر عن النصف الأول من القرن العشرين ..

●● تحابا فى الله والوطنية :

كان أحمد حسين يقتدى برأى صبيح ويجله .. بل كان يترك إليه مسئولية إدارة دفة الأمور بالحزب .. فلم يكن فتحى رضوان ـ الرجل الثانى بالحزب ـ متفرغا له .. بل كان منشغلا بالمحاماة ولم يباشر من نشاطه الحزبى أكثر من مقال يدفع به إلى صبيح كل أسبوع ثم يشارك فى جلسات مجلس الجهاد للحزب كل خميس .. ولكن الحق أنه كان يكتب المقال الممتع البالغ السخرية بالمستعمرين والقصر ..

ومن دلائل حبه وتقديره لصبيح كصديق عمر ورفيق كفاح كتب له الرسالة التالية مع ابنته إيمان أثناء مرضه وإيداعه مستشفى الوفاء والأمل :

أخى العملاق محمد صبيح

أكون شاكرا لو وجدتم فى مكتبتكم كل أو بعض كتبى :

- نبى الانسانية
- الأمة الإنسانية
- الدكتور خالد
- مشاهداتى فى جزيرة العرب
- من وحى الجنوب

ودمت لأخيك أحمد حسين

ولما مرض أحمد حسين مرض الموت ولم يستطع صبيح ملازمته فى مستشفى المقاولون العرب .. كلف من يقوم بذلك وهو فايز محمد على المحامى ، وبعد وفاة أحمد حسين قال فى رثائه بصوت حزين :

الآن نحن نعيش أياما محدودة حتى نلحق بأحمد حسين .. أرى أن تسارع لجنة من حزب العمل بتدوين سيرته الذاتية قبل أن تضيع معالم نصف قرن .. فهذه خير الأعمال قربى إلى الله وإلى الفقيد ..

وفى الذكرى الأولى لرحيله كتب صبيح مقالا بعنوان (حياتنا معه) قال فيه : (١)

فى هذه الصحبة التى استمرت نصف قرن وعاما - مرت بنا أحداث ربما جاء الوقت لرواية بعضها لأنها تكشف أسرارا كثيرة :

عندما انتقلنا إلى (البيت الأخضر) وهو فى شارع الفلكى كان الإيجار المقرر عشرين جنيها ، ولم يكن معنا هذا المبلغ ، فاتصل أحمد حسين بعلى باشا ماهر وطلب منه عشرين جنيها فوافق ، وأوفدنى لإحضار هذا المبلغ منه ..

وكان فى الإسكندرية ، وذهبت إليه فى مصيفه فأحضر عشرين جنيها فكة - وأخذ يتحدث معى - وسألنى إذا كنت أوافق على معاهدة النحاس مع الإنجليز عام ١٩٣٦م فقلت : لا ... وقد أعلنا رأينا فى

(١) - نشر بجريدة صوت التعاون - عدد نوفمبر عام ١٩٨٢م (ص ٥)

الجريدة والخطب قويا عاليا - فقال لى إن هناك بيتا من الشعر يجب أن نفهمه وننفذه وهو :

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى .. حتى يراق على جوانبه الدم

●● العلم أغلى الكنوز

كان صبيح يعتبر العلم أغلى الكنوز .. والأمية آفة الأمم .. ويرجع كل تخلف أو استعمار إلى الأمية ..

ومن هذا المنطلق أحب العلم والعلماء وكان يجلهم ويكتب كثيرا عنهم ويشيد بما قدموه للبشرية من فكر وقد ترك مكتبة بها آلاف الكتب أوصى بإهدائها لنقابة الصحفيين ليستفيد منه شبابها ..

وكان يكره الأمية ويحاربها بكل الطرق ويعتبرها عارا يجب أن نتخلص منه .. ولذلك كان مشروعه فى جريدة التعاون (محو الأمية) من أحسن مشاريع الدار .. كتب يقول : (١)

ونعود الى مابدأنا به وهو أن أى منبسط من الأرض تحت شجرة جميز أو غيرها يصلح ليكون مدرسة لمحو الأمية فى ريف مصر يقوم بهذا متطوعون من الذين أكرمهم الله بالتعليم ومثوبتهم ستكون عند الله سبحانه وتعالى .

وكان يرى أن المعلومات أغلى من الذهب والفضة - وعن حفريات مدينة (أور) فى العراق يقول : (٢)

ولعل أعظم الحفريات هى التى تمت فى مدينة (أور) إحدى مدن الدولة البابلية ، والتى ولد فيها سيدنا إبراهيم ، وبدأ منها دعوة التوحيد ..

---

(١) - مقال بعنوان يجب أن نحاسبهم - جريدة التعاون الصادرة فى ١٩٨٣/٢/٢٢م

(٢) - كتابه القدس ومعاركنا الكبرى (ص ٢١)

إن الكنز العظيم الذى وجد فى خرائب وبقايا (أور) ، ليس ذهبا ولا فضة ولكن مجموعة كبيرة من الألواح نقش عليها الكثير من قواعد الحياة وظروفها بين الحكام والرعية ..

●● أهمية دور الشباب فى تقدم المجتمع

كان من الطبيعى أن يؤمن بأهمية دور الشباب فى تقدم المجتمع ولهذا ناصر دعوة أحمد حسين فى دعوته الشباب إلى مشروع القرش والى تكوين جمعية مصر الفتاة التى تحولت إلى حزب ..فكان المقال الافتتاحى بجرائد الصرخة ، والضياء ، والثغر ، مصر الفتاة ، ووادى النيل .. وهى الصحف التى أصدرها حزب مصر الفتاة بعنوان : الى الشباب .

كان يخاطب فى الشباب قوتهم وغيرتهم على مصالح وطنهم .. وأنهم الحماة .. والدرع الواقى للامة ، ويخاطب فيهم رجولتهم ونخوتهم .. لإثارة حماسهم نحو قضايا الوطن ، وكان يشيد بكل ما يفعله شباب مصر .. نراه يقول : (١)

« وذهبت إلى الاسكندرية واقمت على شاطى البحر ، ماشاء الله آن أقيم ، أفكر فيما يحدث ، وما يمكن أن تكون له من نتائج .. وكنت اعتدت على أزيز الطائرات النفاثة ، وهى تتدرب على الطيران المنخفض فى سرعة هائلة ، تكاد أجنحتها تبتل من رذاذ الماء الذى يدفعه الموج إلى أعلى .. وكنت أجد لذة كبيرة فى متابعة شبابنا وهو يدفع طائراته فى هذا التدريب لتكون له وللوطن وقاء ، وتكون للعدو دمارا ونكالا » .

●● العداء لليهود وافتراءاتهم

ويعتبر صبيح أول من فند مزاعم اسرائيل فى ادعائها بالحق فى مصر والعراق وشعار من النيل الى الفرات يا اسرائيل .. لأنهم شعب الله المختار (٢) ويعتبر كتابه القدس ومعاركنا الكبرى ، والمعتدون اليهود ..

---

(١) -كتابه القدس ومعاركنا الكبرى (ص٣)

(٢) المصدر السابق (ص٢٠٨)

أعظم ما كتب فى تاريخ القوميات وفند أسفار اليهود (الخروج ، أرميا ، أشعيا) .

واثبت أن الرجل العبرى أو المراة العبرية كان كل منهما يباع ويشترى فى سوق النخاسة فيفقد حريته ، ويكدح فى الارض عبدا ذليلا !! بل انه استطاع أن يثبت كذب النبوءات التى وردت فى أسفارهم المزعومة واستخلص من القرآن الكريم ما عبر بصدق عن تاريخ اليهود وعدائهم للمسلمين بل وللأديان الأخرى .

ويتحدث عن مزاعم اليهود وحقهم فى دولة فلسطين وأطماعهم اللانهائية فيقول فى نفس الكتاب : (١)

وليس هذا التفكير بغريب على اليهود فإنهم يزعمون لأنفسهم حقا فى فلسطين لأن فريقا منهم كان يسكنها قبل الإسلام بخمسة قرون .

ويرعمون أن لهم حقا فى العراق ، لأن ابراهيم الخليل ولد فيها منذ خمسة وثلاثين قرنا وعلى هذا فإن خيبر ، وضواحى المدينة المنورة كانت آخر موقع قدم لهم فى المنطقة العربية .. وما داموا يزعمون أن لهم حقا فى أول مواقع أقدامهم ، فإن أبصارهم ستمتد إلى آخر ماكانوا يعيشون فيه من أرض .

ويتعقب افتراءات المؤرخين اليهود ويرد عليهم بالحجة الدامغة من التوراة والإنجيل والقرآن . ومن روايات رواد التاريخ مثل البخارى والطبرى وأبو الفداء وشيخ مؤرخى (برستد) وأقدم المؤرخين المصريين (مانيتون) .

ومن المؤرخين المحدثين مثل عبدالرحمن الرافعى وصديقه أحمد حسين ، والدكتور باهور لبيب ، والدكتور أحمد بدوى .

وتراه يطالب بتصحيح التاريخ اليهودى ـ وتنقيته من افتراءات اليهود فتراه يقول : (٢)

---

(١) المرجع السابق (ص ٣٠١)
(٢) المرجع السابق (ص ٤١)

ومن عجب فإن المؤرخ اليهودى القديم يوسيفوس يقول إن إسماعيل تزوج من أم مصرية ، مثل أمه ، فولدت له اثنى عشر ولدا فى حين أن المصادر العربية زوجته من قبائل جرهم العربية .

على أى حال ، فقد كرم القرآن الكريم اسماعيل تكريما كبيرا فقد ورد ذكره فى آيات كثيرة منها : (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) .

●● العداء للشيوعية

.. كان صبيح يكره الأفكار الشيوعية ويحارب الشيوعيين بكل ما أوتى من قوة .. وتنبأ بزوال النظام الشيوعى وهذا ماحدث بعد وفاته بعشر سنوات كاملة ـ فقد كان يرى أنه نظام هش قائم على استعباد الدولة للفرد .. ومذهبه .. اهدم .. اهدم .. اهدم .. ثم اهدم .

وقد طرد من عمله بسبب محاربته للأفكار الشيوعية بعد نشر مقالاته الشهيرة عام ١٩٦٥م فى المجلة الزراعية وجريدة التعاون تحت عناوين :

اخوان ماركس .. والتنمية الزراعية .

.. أيها الماركسيون .. موتوا بغيظكم

كان هذا المقال سببا من اسباب إقصائه عن رئاسة دار التعاون ومع ذلك لم يعبأ بما حدث وتوالت مقالاته تدحض حجج الشيوعيين ونظامهم .

وبسبب آرائه فى الشيوعية والتفريق بينها وبين الاشتراكية فى الإسلام .. زاد أعداؤه فى مصر آنذاك .

وكان يهاجم زملاءه من الكتاب الشيوعيين أو من يظنهم كذلك .. فقد هاجم إحسان عبدالقدوس ومجلة روز اليوسف فى مقاله من النافذة : (١)

---

(١) جريدة الأساس ـ العدد ١٤٥٥ الصادر فى ٤ مارس ١٩٥٢م

(.. ولولا أنى أفرض فى إحسان دائما حسن النية ، لاتهمته بأنه داعية للشيوعية ليس كمثله داعية .. لأن أول الخطط التى يشير سادة هذا المذهب بتطبيقها هى : اهدم .. اهدم .. ثم اهدم !! وهذا هو ماتفعله مجلة روز اليوسف تمام ..)

●● لايؤرخ للإسلام إلا مسلمون

بدأ صبيح كتبه بمجموعة عن سير الأعلام فى الإسلام .. وكان بحق كاتبا منصفا لكل شخصية إسلامية كتب عنها .. وفى المرحلة الثانية والتى تحدثنا عنها بدأ فى كتابة الدراسات والمراجع العلمية وفى مقدمتها الدراسات الإسلامية .. لانه وجد فى كتابات غير المسلمين عن الإسلام الكثير من مجافاة الحقيقة .. بل قد أظهر بعضهم الإسلام بصورة غير لائقة ..

ولأنهم فى رأيه لايشعرون بروح الإسلام ولا بأنه الدين الخاتم أنزل على النبى الخاتم .. بدأ يؤرخ له ويظهر حقيقته ..

●● آثار فكره على مسيرة حياته

كان لفكر محمد صبيح أكبر الأثر فى مسيرة حياته .. فلم تمر أيامه هادئة بل كانت حياة تملأها الحركة والحيوية ، وجعلت منه قوة فعالة فى المجتمع ومن أبرز رجال الصحافة والسياسة .

.. ولهذا الفكر الثاقب كلف بتوثيق فساد النظام الملكى فى مصر .. فقد كان أول من ساعد على ارتباط الفلاحين بثورة يوليو المجيدة وتعبئة الفلاحين لها . ثم هو يتعرض لحرب ضارية من جراء هذا الفكر البناء .

.. ولسعة هذا الفكر قهر المستحيل ، وتعدى الخطوب واجتاز المحن فقد كان يعرف أن هذه ضريبة يدفعها لنشر فكره على الناس وقولة الحق ولو فى مواجهة سلطان جائر .

.. علينا الآن بعد عرضنا للعوامل المؤثرة على الفكر ومنابعه أن نوضح آثاره على المجتمع .

ويمكن أن نوجز آثار فكره على مسيرة حياته فى الآتى :

(أ) مؤلفاته .
(ب) مقالاته وتعبيره عن روح الشعب .
(جـ) ندواته الثقافية .
(د) توقعاته .
(و) أقواله المأثورة .

□(أ) مؤلفاته .

لاشك أنه أثرى المكتبة العربية بكم هائل من الكتب القيمة ابتداء من الكتيب الصغير الذى يحمل فى الجيب إلى الموسوعة الكبيرة التى تزيد على آلاف الصفحات بالحجم الكبير ..

.. وقد نالت هذه المجموعات من الكتب حب القراء وتهافتوا عليها .. كما تهافتت عليها دور النشر لرواجها واتساع سوق توزيعها .

وحرص صبيح على أن تصل كتبه إلى أكبر عدد من القراء .. ولذلك جعلها رخيصة الثمن .. ولم يكن يسمح لناشر ان يتولى أمر إصدار كتبه .. بل كان من عادته أن يتولى النشر بنفسه حتى لايتربح الناشرون من ورائه ..

وسنقسم إصدارات صبيح أو مؤلفاته إلى مرحلتين حسب حياته التأليفية إلى :

(أ) كتبه الإسلامية .

(ب) دراساته فى القومية العربية .

☐ (أ) كتبه الإسلامية

أثرى المكتبة العربية بمجموعات من الكتب الإسلامية والتاريخية الصغيرة فى المرحلة الأولى من حياته التأليفية .

وتعتبر كتبه الإسلامية مفخرة لمفكر مصرى ضاع نصف عمره بين السجون والمعتقلات وأن هذه الكتب كانت موضع إعجاب وتقدير آلاف الشباب الذين كانوا يقرأون تاريخ شعوبهم وسير قادتهم ومدى تضحيتهم من أجل عقيدتهم .

.. والمعجبون بكتب محمد صبيح الإسلامية كثيرون .. يقول المهندس سيد مرعى : (١)

.. أحببت محمد صبيح قبل أن أراه وكنت قد قرأت له كتبه الإسلامية وأعجبت بأسلوبه ورسمت له فى ذهنى صورة الصحفى المؤرخ القادر على التعبير الذى يصل إلى قلب الإنسان وعقله فى وقت واحد ..) .

.. ولعل القارىء للمجموعة الأولى من سلسلة قادة الإسلام يقف على مدى مساهمة الرجل بفكره فى ترسيخ عقيدته لدى الآخرين .. لذلك كانت سلاسله من الكتب واسعة الانتشار سهلة الترويج .

ونظرا لحب الناس لها .. ولأن سعرها كان قليلا وفائدتها عظيمة .. فكان فى كل كلية أو مدرسة أو معهد من يتولى بيع كتب صبيح ويتولى ترويجها .

وكان من أهم المروجين لكتبه فى الجامعات الشيخ عبد الرحمن الصوالحى وكثيرون ممن أدركوا قيمتها التاريخية .

---

(١) مهندس سيد مرعى ـ المجلة الزراعية ـ العدد (ص١١)

قال انيس منصور عن هذه السلسلة :

.. لازلت أذكر تلك الأيام التى كنا ونحن طلبة صغار فى المنصورة نتسابق فى شراء كتب فى حجم الكف لها غلاف جميل وسعر زهيد أذكر واحدا منها عن محمد رسول الله ﷺ أما المؤلف فهو محمد صبيح وأما رسام الغلاف فهو عبدالسلام الشريف ، وكتب أخرى كثيرة لنفس المؤلف .

.. وعندما اشتغلت محررا بجريدة الأساس سنة ١٩٤٧م كان محمد صبيح سكرتيرا عاما للتحرير يكتب هذه الكتب الصغيرة ..

.. وعن أثرها فى ترسيخ العقيدة يقول محمود بسيونى : (١)

.. هذه الكتيبات فتحت أمامنا طاقات الفكر والثقافة والعقيدة فكان يصدرها فى متناول الفقراء فى المال .. وإلى المتعطشين إلى الفكر والثقافة والمعرفة من جيل الثلاثينات ..

●● دراساته فى القومية العربية

أصدر مجموعة من المراجع والموسوعات العلمية تحمل دراسته وحصاد اطلاعه فى المرحلة التأليفية الثانية من حياته .

واستطاع صبيح أن يصدر عددا من سلاسل الكتب فى الدراسات القومية التى تدور حول اليهود وحروبنا معهم بهدف إنارة الطريق أمام الأمة العربية وهى تتأهب للمرحلة الأخيرة من كفاحها ضد الغارة الصهيونية الاستعمارية !!

وقد بذل كل جهده ، وكل دقيقة من وقته ، وكل حركة من قلمه

---

(١) المجلة الزراعية ـ مرجع سابق (ص١٨)

لمعاونة المعركة الضارية التى تدور رحاها منذ عام ١٩٤٨ م فى حرب فلسطين .

وكان فى مقدمة هذه الدراسات السلسلة المعروفة باسم :

(المعتدون اليهود ..)

وفى سبيل تجميع معلومات وثائقية عن موضوع السلسلة سافر صبيح إلى خطوط المواجهة .. فوقف عند شواطىء نهر الأردن وعند قنال السويس وتحدث مع المحاربين والسياسيين ، ومن نبض المعركة ، ووجيب القلوب المتحرقة الى لقاء الثأر .. كتب أجزاء السلسلة فى ثلاثة مجلدات ضخمة هى :

- المعتدون من عهد موسى إلى ديان .
- وإن عدتم عدنا .
- القدس ومعركتنا الكبرى

.. وقد كشفت هذه المؤلفات عن خلفية العدو الإسرائيلى التاريخية ، وعقائده ومزاعمه وأكاذيبه .

وقد طبعت هذه الدراسات أكثر من مرة وستظل لأجيال طويلة أهم المراجع العلمية فى التاريخ الإنسانى . كما ستظل واحدا من أبرز اتجاهات صبيح الفكرية التى تناولناها فى هذا الفصل .

●● ضجة كبرى حول موسوعته

●● « كفاح شعب مصر »

كان آخر الموسوعات القومية له ـ أن خص بلده بموسوعة ضخمة بين فيها المواقف الحاسمة فى تاريخ القومية العربية اختصها بمصر تحت عنوان

(.. كفاح شعب مصر ..)

في القرنين التاسع عشر والعشرين

صدرت الطبعة الأولى من هذه الموسوعة التى تقع في ٦٨٠ صفحة من القطع الكبير سنة ١٩٦٤ م وأعيد طبعها بعد عامين من الإصدار الأول .

وقد أحدثت هذه الموسوعة ضجة كبرى بين المؤرخين والصحفيين في مصر والعالم العربى لأنها تضمنت جزءا من مذكرات محمد فريد التى كانت في حوزة نجله المستشار عبدالخالق فريد وعرف الناس أسرارا جديدة عن الحركة الوطنية الأولى ضد الانجليز والتى كان بطلها مصطفى كامل وخليفته محمد فريد .

.. وقد ساعد على إحداث هذه الضجة مانشرته جريدة أخبار اليوم في حلقات .. هذا الكتاب وبخاصة مذكرات محمد فريد وقدمت لهذا النشر بالتالى :

(.. لأول مرة تنشر مذكرات الزعيم الكبير محمد فريد . بعد أن بقيت مطوية حوالى الخمسين عاما . وبعد أن فشلت محاولات المؤرخين في إقناع ابنه المستشار عبدالخالق فريد بنشرها ، إلى أن استطاع الاستاذ محمد صبيح أن يحصل على هذه المذكرات المودعة في قسم الوثائق بوزارة الثقافة والارشاد وينشرها في الجزء الثانى من كتابه القيم : « مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية » الذى صدر منذ بضعة أيام .. وترى الأخبار أن تنشر هذه الفصول القيمة لأهميتها ، ولأنها تلقى بعض الضوء على كثير من خفايا السياسة المجهولة ..)

اسلوب الكتابة

يمتاز أسلوبه بالسلاسة والوضوح .. وينساب إلى عقل القارىء

ليزيد من رغبته فى الاستمرار فى الاطلاع .. ويشعر بما استفاد من اطلاعه بمعلومات ما كان يعلمها من قبل ..

وقد وصف أسلوبه بأنه (.. فاتح للشهية ..) وعندما سئل موسى صبرى عن سلاسة أسلوب صبيح قال :

(.. أسلوبه سلس لأنه سيد قلمه ..)

وقد تميز أسلوبه بالقوة والسلاسة فى التفكير المنطقى وفى الألفاظ .

يقول فى وصف زيارته لمواقع الفدائيين بالأردن :

(.. وعند هذا النهر التاريخى ـ الأردن ـ وقفت أرقب مياهه وقد اجتازت ضفتيه من فجر التاريخ أفواج البشر قادمة من شبه الجزيرة أو من العراق أو من الشمال .. تمثل لى إبراهيم الخليل قادما من أرض الفرات هاربا من الأوثان التى حطمها ، ومن أصحابه الذين كادوا له كيدا .. حتى وجد فى مصر مأوى وأمنا ..) (١)

.. وعن جلاء الإنجليز عن القناة وفق اتفاقية الجلاء المصرية الانجليزية فى ١٩/١٠/١٩٥٤ م يقول : (٢)

(.. الواقع أن اقتلاع قاعدة القنال من أيدى الإنجليز كان بمثابة اقتلاع عين أو ذراع من جسدهم .. أو الاثنين معا ..)

ومع سهولة العبارات .. فإن الأسلوب كان يختلف باختلاف الموقف .. تراه وهو يكتب لتحريك مشاعر الشباب نحو الوطن والدعوة إلى محاربة الاستعمار .. يخفى بين طيات السطور اللهب الذى يحرك الأفئدة والقلوب !!

---

(١) كتابه . وإن عدتم عدنا (ص ٤)
(٢) نفس المرجع (ص ٢٧)

.. أما أسلوبه فى الكتابة عن الرواد والأعلام فتشعر فيه بعذوبة الحديث وتسلسل الأحداث .. وهدوء الوصف .. وفى موسوعاته العلمية تسعد وأنت تقرأ بعمق الفكر وأصالة الباحث .

.. وفى أسلوب مقالاته الصحفية يشعر قارئها بالقوة والسلاسة والتفكير المنطقى والوطنية . والقومية !!

وسائل جذب القارىء

ومن وسائل جذب القارىء .. استخدام التساؤلات .. وقد استخدم صبيح التساؤل فى كثير من كتبه .. وذلك بأن يطرح سؤالا ويجيب عليه .

فتراه يسأل :

ـ لماذا أوصى عمر بن الخطاب بهذه الوصية التى تستبعد اليهود من الإقامة فى مقدساتنا ؟

● لأنه عايش مؤامرات اليهود على الدعوة الاسلامية ونبيها صلوات الله وسلامه عليه . وأدرك الحكمة فى أن رسول الله أمر بإجلاء اليهود نهائيا عن الحجاز .

ويستمر فى الإجابة عن تساؤله إلى أن ينتهى بالاستشهاد بآيات القرآن الكريم التى تؤكد ما انتهى إليه فكره .

ومن وسائل الجذب استخدام الصور المكانية والزمانية والجغرافية أيضا .. فتراه فى الفصل الأول من كتابه (القدس) يتحدث عن إبراهيم الخليل . أبوالتوحيد فيقول :

نحن الآن فى جنوب العراق

والقرن الذى نطل عليه هو القرن العشرون قبل الميلاد .. أى أن فترة من الزمن تفصلنا عنه تقرب من أربعة آلاف سنة .

والموقع الجغرافى الذى نقف عنده يقع على نهر الفرات إلى الجنوب قليلا من مدينة الحلة الحالية .

ومن وسائل جذب القارىء توظيف الكلمة فى خدمة الموقف .

تراه يصف خطب عبدالناصر بعد العدوان الثلاثى الغاشم على مصر يقول : (١)

وهكذا كانت خطب عبدالناصر ، هى مدفعية مصر الثقيلة التى أطلقتها على صروح الكذب الانجليزى الفرنسى فدكتها ، وتكشفت الحقائق لمعظم شعوب العالم ونسبة كبيرة من الرأى العام الإنجليزى وعناصر قوية فى الرأى العام الفرنسى .

وفى كتابه القدس ومعاركنا الكبرى قال :

(.. إذا لما كانت هناك يونيو ومرارتها اللاذعة .. ولمضيت أكتب عن مد التاريخ وجزره ، وقيام الحضارات من حولنا وسقوطها والعناصر التى عصمت بلادنا من الزوال والاندثار) .

مقدمات كتبه

تصدرت كتب صبيح مقدمات طويلة ولكنها تجذب القارىء وتشوقه إلى قراءة كل سطر فى الكتاب .. لأن المقدمة تتضمن إسهابا للبعد الفكرى والضرورات الملحة التى جعلته يمسك بقلمه بعد تفكير عميق لتزويد القارىء بمعلومات وأسرار لم يعرف على الأقل معظمها وتحليلات تعمق فكره .

مثلا ـ بلغت مقدمة كتابه (القدس ومعاركنا الكبرى) سبع عشرة صفحة فى حين كانت مقدمة كتابه (وإن عدتم عدنا) ست صفحات أما كتاب (كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين) فبلغت مقدمته عشرين صفحة .

(١) كتابه وإن عدتم عدنا (ص١٠٦)

أما الدافع له فى أن يكتب والمناخ الذى يكتب فيه فقد بينه لنا فى مقدمة كتابه (القدس) .. إذ يقول : (١).

(وذهبت إلى الاسكندرية وأقمت على شاطىء البحر ، ما شاء الله أن أقيم ، أفكر فيما يحدث ، وما يمكن أن تكون له من نتائج .. وكنت قد اعتدت على أزير الطائرات النفاثة ، وهى تتدرب على الطيران المنخفض فى سرعة هائلة ، تكاد أجنحتها تبتل من رذاذ الماء الذى يدفعه الموج إلى أعلى .. وكنت أجد لذة كبيرة فى متابعة شبابنا وهو يدفع طائراته فى هذا التدريب لتكون له وللوطن وقاء ، وتكون للعدو دمارا ونكالا .. وتمنيت لو أن هذا الجهد بذل قبل عشر سنوات ، إذن لما كانت هناك حرب يونيو ومرارتها اللاذعة ، ولمضيت أكتب عن مد التاريخ وجزره ، وقيام الحضارات من حولنا وسقوطها ، والعناصر التى عصمت بلادنا من الزوال والاندثار) .

ولاشك أن قارئه يجد متعة فى سطور كتبه ، وانتقاله بالقارىء إلى صور حسية متعددة مستخدما صور التشبيه المختلفة .. حتى وجد نفسه أمام لوحات فنية متعددة تعطى له المعلومة من خلالها .

●● مقالاته تعبير عن روح الشعب

كانت مقالات صبيح هى التى جذبت الناس إليه بقوة وصدق كلماتها .. وتعبيرها عما يدور فى صدور الناس وإن يكن لهم الحق فى أن يقولوه .. ووصف قلمه بأنه أقوى سلاح ضد الاستعمار وأعوانه .. وضد الخونة والأحزاب الحاكمة التى ضلت طريق الصواب !!

تميزت مقالاته بالجرأة الشديدة .. فما أكثر ما هاجم الإنجليز وأثار الرأى العام ضد قضائهم فى مصر والدول الأخرى التى استعمروها .. وكثيرا ما هاجم الوزراء المنحرفين حتى ولو كانوا من حزبه .. تراه يهاجم

---

(١) - (ص٣).

وزير التموين فى الحكومة السعدية التى يعمل فى جريدتها .. وتراه يكتب سلسلة من المقالات عن طريق جريدة القاهرة يهاجم فيها الوفد .. الحزب الحاكم بقوة وثقة .

كان صبيح يحمل آلام الشعب ومشاكله فوق ظهره .. ويعرضها على من بيدهم الأمر فلا مجيب فيشدد هجومه عليهم وتزداد سطور قلمه قوة وضراوة على أولئك المسئولين .. فتتحرك القوى الشعبية ضدهم لإرغامهم على الإصلاح .

كتب فى جريدة الأساس يتوعد الحكام بمقال بعنوان : يوم الحساب قال فيه : (١).

ترى هل ذكر هذا القلم البترول والرغيف وأنواع الكساء وما انتهى اليه أمرها ؟

إنها أمور يعجز الحصر عن إحصائها ، وقد أنتجت نتيجتها الطبيعية ، وهى إهلاك الزرع والضرع ، وقضى على خزينة فاقت مدخراتها خمسة وأربعين مليونا ، فضاع المدخر كله ، ولجأت المالية فى بعض الظروف إلى الاستدانة من البنك الأهلى وبنك التسليف الزراعى ، بل أكثر من ثلث الودائع فى صندوق التوفير سحب وحول إلى أذونات على الخزانة !!

وليس ما نقوله سرا يجتهد الساسة فى كشف غوامضه ، ولكنه إحساس عام ، وشعور يشترك فيه المصريون كافة إلا هذه الحفنة الضئيلة الصغيرة من أحلاس الوفد والمنتفعين من مغانم حكمه ، لأن الجائع والمحروم ، والذى تضيق يده ويقصر رزقه عن الوفاء بمطالبه الضرورية ، لا يحتاج إلى من يذكره بحالته وحالة أهله وبنتيه .

مقالاته ضد الإنجليز أقلقت مضاجعهم وباتوا يبحثون فى الصحف عن قلم صبيح ثم يصدرون أوامرهم للسلطات المصرية باعتقاله .

---

(١) ـ جريدة الأساس ـ العدد ١٤٣٨ الصادر فى ٣٠ يناير سنة ١٩٥٢ م .

وكان هجومه شرسا عليهم أحيانا .. وأخرى يطالبهم باتباع المنطق واحترام شعب له تاريخه العريق وشرفه الذى يحافظ عليه .. فإذا ما استمال الإنجليز رجال الحكم أو ضغطوا عليهم هاجمهما بضراوة .

قال فى مقال له بجريدة الأساس بعنوان : إلعبوا غيرها يقول : (١).

(إن التمسح فى مشكلتنا الخارجية مع بريطانيا لكى نسكت آلاف البيوت التى خربت بيد الوافدين وعشرات الملايين من الجنيهات التى ضاعت بسبب عبثهم واستهتارهم واستغلالهم النفوذ ، وعشرات الأرواح التى أزهقت بسبب عجزهم واستهانتهم بمسئولياتهم .. نقول إن التمسح فى مشكلتنا الخارجية كى نسكت عن هذا كله هو نوع من تشجيع الجريمة ، وإهانة العدالة .

وما نطلبه من بريطانيا ، ومن العالم كله ونضحى من اجله بكل عزيز هو نوع من تطبيق العدالة الدولية على بلادنا ، فإذا لم يكن مبنى العدالة الكاملة مستقرا فى نفوسنا ، نرعاه ، ونضعه نصب أعيننا ، فلا فلاح لمسعانا ، ولانجاح لجهدنا .

كما كانت مقالاته ضد الفساد والجنوح عن الصواب وعدم تقدير مصلحة مصر مقالات مليئة بالمرارة والأسى .. يقول فى مقال بعنوان محاولات اسرائيلية فاشلة : (٢) .

لقد أريقت دماء الإسرائيليين فى معسكر لهم بجنوب لبنان .. فهل وجدوا قلبا يعطف عليهم فى مصر ، مستقلة بمعاهدة السلام ، بعد أن أصبحت خرقا بالية .. فلا امتداح عصر السادات أزال هما ، ولا جفف دما .. بل زادت الجراح على الجراح وسأل كل مصرى نفسه : هل ١٦ لواء ميكانيكيا وهل ألف طائرة حشدوها على حدودنا عندما تكدسوا على

---

(١) ـ العدد ١٤٤١ الصادر فى ٢ فبراير سنة ١٩٥٢م.

(٢) ـ التعاون ـ العدد الصادر فى ٢٣/١١/١٩٨٢م.

الحدود الشرقية لمصر ، صفت مـا حمله المصريـون فى قلوبهم من غضب على الإسرائيليين ؟

لا مقالات المدح فى عصر السادات ، ولا تجنيد عدد من المصدرين والمستوردين ، وتكوين رأسمالية جديدة تربط حبالها بهم .. لاشيء من هذا كله يملأ نفوسنا حبا لهؤلاء الجيران الشرقيين .. بعد ما رأينا منهم خلال ثلاثين سنة وخمس سنين .

وفى مقال آخر كتب يقول : (١) .

هل منع هذه الجريدة من نشر الكتاب انه وعد بالعمل عـلى تحقيق الأهداف الوطنية تحقيقا سريعا ، وأنه يعـد بنجاح القضيـة الوطنيـة ؟ أم أغضبها أن هذا الكتاب عاهد الأمة على رفع مستوى الطبقات الفقـيرة وإعطائها حقها من مال الموسرين والأغنياء ؟ أم أن الجريدة السراجية حانقة لأن هذا الكتاب قطع عهدا على الحكومة بأن تطهر أداة الحكم من المفاسد والرشاوى والسمسرة والوساطـات والشفاعـات ؟ أم أنساهـا واجبها الصحفى حيال وثيقة هامة أن وصفت هذه الوثيقة طريق الوصول إلى كراسى النيابة عن الأمة ، وقالت عنها إنها كانت سلعة فى الأسواق أو مصيدة لجمع المال الحرام ؟

بقى لنا أن نتحدث عن عناوين مقالاته .. فكانت له أعمدة ثـابتة مثـل (من النافذة) فى جريدة الأساس (من شهر لشهر) فى المجلة الزراعية (كل يوم تلات) و(خواطر سائر) فى جريدة التعاون .

●● مكتبتـــه مكـــان نـدواتـــه

كانت مكتبته فى المنزل مكونة من أربع حجرات . من بينها حجرة نومه التى تحتوى على سرير وأنتريه يستقبل تلاميذه ومن يعملون معه . أما ضيوفه الأغراب فكان يستقبلهم فى حجرة الاستقبال .

---

(١) ـ الأساس ـ العدد ١٤٥٥ فى ٤ مارس ١٩٥٢م.

وكانت الحجرات الأربع مليئة بأمهات الكتب .ولما ضاقت المكتبة بها إستأجر ثلاث حجرات فوق السطوح كمخزن للكتب ، وللعدد الهائل من الكتب التى تحتويها هذه المكتبة .. فإنه كان يستعين بأحد المفهرسين لتنظيمها .. ولكن سرعان ما تعود إلى حالتها الأولى .

حضرت إحدى ندواته التى كان يعقدها فى الحجرات الأربع المليئة بالأرفف وعليها آلاف الكتب .. فما رأيت مكانا خاليا على حوائطها إلا وعليه أرفف مليئة بالكتب وفى غير نظام .

سألت ابنته .. عن سبب عدم تنظيم المكتبة .. فقالت بأنها شاهدت مرتين استعانته ببعض المفهرسين المتخصصين .. وفى كل مرة كانت المكتبة تنظم .. ثم يعاود إضافة وسحب كتب منها فينهار الترتيب والفهرسة .

كان يحرص دائما على تنظيم الندوات الثقافية يحاضر فيها ويعلم تلاميذه كيف يحاضرون غيرهم ، وكيف يقنعونهم بعقيدتهم سواء كانت عقيدة دينية أو سياسية أو تعاونية .. لأن الندوة كانت مناسبة جيدة لتوصيل المعلومات لراغبى المعرفة .

يقول الدكتور عبد المنعم النمر عن هذه الندوات : (١).

(مما لاأزال أذكره ويذكره زملاء المعتقل ندوته الثقافية الأسبوعية التى يجمعنا فيها لمحاضرة يلقيها أو يلقيها أحدنا . وكنت قد صرت مدرسا فى الأزهر فى أوائل عام ١٩٤٢م . فألقيت إحداها) .

حتى فى المعتقل كان صبيح أستاذا ومعلما ومثقفا لكثير من الشباب فى وقتهم الضائع فى المعتقل .. وهذه السمة ظلت ملازمة له منذ شبابه حتى أقعده المرض فى بيته .

يصفها أحد تلاميذه بأنها كانت اجتماعات دورية فيقول) (٢) .

---

(١) ، (٢) ـ المجلة الزراعية ـ مرجع سابق

كانت حجرته شبه مكتبة عامة ، وكان يحرص على أن يلخص هو أو أحدنا كتابا من الكتب ثم يلقي هذه الخلاصة للكتاب فى أحد الاجتماعات الدورية .

•• توقعاته

من الطبيعى أن يكون رجل مثل صبيح درس تاريخ الشعوب والقوميات وكانت له علاقة وطيدة بكبار السياسيين فى مصر والعالم العربى أن يتوقع الأحداث .. لأن التاريخ يعيد نفسه فكان يتوقع الاعتقال ويبشر غيره به .

قد يكون توقعه عن شفافية .. فله من الصفات الخفية ما تحدثنا عنه فى فصول سابقة من هذا الكتاب ونورد هنا أهم ما توقعه :

•• توقع قيام ثورة سنة ١٩٥٢ م

تصادف وجود صبيح بفندق سيسل بالإسكندرية ليلة ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ م وجره صديقه الدكتور محمد فاضل سليم رحمه الله فى حديث طويل ، وكان للأخير علاقة قوية بالدكتور حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى .

دار بين صبيح وصديقه الحديث التالى فى شرفة الفندق :

- إن عبث القصر وصل إلى غايته .. وستحدث ثورة قطعا .

- أنت تحلم بأوهام صباك وما تمنيته أيام مصر الفتاة .. لاشىء اسمه ثورة فى قاموس شعبنا .

- وسنة ١٨٨٢ م ، وسنة ١٩١٩ م هل نسيتهما .

- كانت قلة .

وظل صبيح يتحدث عن الثورة ثم ذهب إلى غرفته . وفى الساعة

الخامسة صباحا دق جرس التليفون وكان المتحدث صديقه الدكتور فاضل :

- اصح أنت سامعنى .. أنا زعلان جدا . لما أنت عارف من الليل إن فيه ثورة ما صارحتنيش ليه ؟

- إيه يا دكتور أنا مش فاهم !!

- حافظ عفيفى على التليفون ولما قال لى إن فيه ثورة فى مصر قلت له أنك عارف فطلب منى أن أسألك عن القائمين بها وأرد عليه حالا .. أنا جاى حجرتك حالا ..

وحضر الصديق وتحدث تليفونيا مع حافظ عفيفى وأخبره بأنه ليس لديه معلومات سوى ما توقعه .. وخرج من عنده غضبان أسفا .

●● توقع بالمعركة الفاصلة مع اليهود

ذكر فى مقدمة كتابه عن المعتدين اليهود :

أما وقد اقتربت المعركة الفاصلة مع اليهود من ميقاتها .. ففى اعتقادنا أن المعركة القادمة ستكون على أرض صلبة من العقيدة والاستعداد المكين .. فيها فصل الخطاب .. والله المستعان .

وقد تحقق ذلك فعلا فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ م حيث عبرت القوات المصرية قناة السويس .

فى مقال له بعنوان محاولات إسرائيلية فاشلة كتب يقول :(١)

إن المعركة مع العدو قادمة لاشك فيها لأنها جزء متمم للحزام الأسود الذى خططوه ، واستعدوا له ، وهو أن يحيطوا أرضهم بمساحات من أرض العدو ، منزوعة السلاح ، تقطعها قواتهم كما

---

(١) - جريدة التعاون - خواطر سائر - الصادرة فى ١٩٨٢/١/٢٣ م

تقطع السكين قالب الزبد .. ودول الحزام الأسود التى تنتظر الضربة التالية ، بعد لبنان هى مصر ، وسوريا والأردن ، والسعودية .

هذا ما نعلمه ، وما نعد انفسنا له .. ونأمل أن يتنبه له رجال القلم ورجال التجارة تصديرا واستيرادا .. ورجال القلم أشد خطرا فى الإعداد للمعركة من رجال المال ..

●● توقع بزوال النظام الشيوعى

كان يكره الشوعيين كما ذكرنا وقد توقع زوال هذا النظام الذى يقوم على استعباد الدولةللفرد ..

كما توقع صبيح شعور الغرب بخطر انتشار الإسلام .. وهذا ما حدث مؤخرا حيث توضع الخطط الآن لمحاربة الإسلام والخلاص من المسلمين كما هو واضح فى القضاء على الدول الإسلامية ومحاولة إضعافها .. دول البوسنة والهرسك والشيشان المسلمين .

تراه يكتب عن خطر انتشار الإسلام : (١)

حقيقة لقد كان الإسلام خطرا يهدد العالم .. ولكن أى عالم ، عالم الشرك وعالم الإثم وعالم الظلم وعالم الخطايا .. عالم الغرب فى أوثانهم حتى تحطم الأوثان ، وعالم اليهود فى أحقادهم حتى تنطفىء الأحقاد .

وعالم الفرس والرومان فى ظلمهم وإثمهم حتى يزول الظلم وتمحى الآثام .

●● توقع سوء العلاقة مع حكام السودان

الشقيقتان مصر والسودان العلاقة بينهما علاقة أخوة ومصير .. ولكن صبيح توقع سوء العلاقة بينهما عندما حدث التكامل الثانى فى

---

(١) ـ كتابه القدس (ص ٣٠٠)

بداية عهد الرئيس مبارك ونبه إلى أن التكامل ليس وثيقة تكتب ومهرجانا يقام .. ولكن فتح الحدود تماما وإنشاء بطاقة جديدة للمواطنين فى كلا البلدين .. وغير ذلك . وقد كتب مقالا طويلا أظهر فيه مخاوفه من التكامل : (١)

ما أخشاه أن نظل منتظرين حتى يأتى التكامل الثالث . فقد تم توقيع ميثاق التُكامل الأول فى عهد السادات وأقيمت المهرجانات والزينات والزيارات وعقدت اللجان وانفضت ثم نظرنا على أرض الواقع ، فلم نجد شيئا الا ثلاثين كيلو مترا من السكة الحديد مدت بين أسوان وحلفا !!

(١) - مقاله - مابعد التكامل - التعاون الصادرة فى ١٩٨٢/١٠/٢٦ م

الفصل الأخير

الرائد .. ومدرسته الصحفية

فى الفصل الأخير من هذه الملحمة التاريخية لرائد من رواد الصحافة التعاونية بمصر لا يسعنى ..إلا أن أضع أمام القارىء هذا الرائد فى الميزان .. لالنعرف قدره التعاونى وتأثيره على مسيرة الحركة التعاونية بما أسسه من منظمة تعاونية شامخة « هى دار التعاون للطبع والنشر ».. بل لأنه جمع بين الوطنية والصحافة التعاونية والتاريخ الاسلامى والقومى .. وكان أبرز مفكرى ومؤرخى العرب .. ورائدا من رواد التنوير فى القرن العشرين .. بشهود أبناء عصره وزملائه الذين عمل معهم أو عملوا معه .

وسنرجع فى تقييمنا لمسيرة حياته وأثرها على المجتمع المصرى والعربى بعد أن تصفحنا هذه المسيرة إبتداء من النشأة ومراحل

التعليم وخطواته فى طريق الجهاد والصحافة المتخصصة ومن تأثر بهم وأثر فيهم ، ومواقفه من الآخرين .. سنرجع بعد كل ذلك إلى انجازاته الباقية ومدرسته الصحفية التى مازالت تثرى الفكر العربى بأقلام كتابها ممن تعلموا على يديه .. ومن شهود عصره ومن مؤلفاته التى تتدارسها الأجيال .. فقد أخرج للمكتبة العربية زخائر من أمهات الكتب التى تفيض علما ونورا وتجربة .

وإذا كان كُتَّابُ السير الذاتية لشخصيات أدت دورها فى المجتمع فأثرت فى مسيرته يستمتعون بها .. فإني أشهد أني ما استمتعت بسيرة كتبتها مثلما استمتعت وأثرى فكرى وأنا أنقب عن خطوات محمد صبيح صاحب هذه السيرة .

قرأت معظم ما كتب من مقالاته ومؤلفاته التى يبلغ عددها حوالى ٦٣ مؤلفا وكنت أقرأها وأشعر وكأنى فى سياحة أو جزيرة مسحورة لا أمل التجول فيها ولا التوقف عن المعانى والأخيلة والحقائق الرائعة التى استخلصها من دراساته .

سنبين فى هذا الفصل مكانته بين الأعلام فى المجالات التى تولى الريادة فيها):

(١) مدرسته الصحفية .
(٢) عطاؤه التعاونى .
(٣) عطاؤه للوطن .
(٤) مكانته بين مفكرى العرب .
(٥) مكانته بين المؤرخين .
(٦) مكانته بين رواد التنوير .

● ● ١ - مدرسته الصحفية

كان لمحمد صبيح مدرسة صحفية هى واحدة من المدارس الصحفية التى عرفتها مصر وتأثر بها العديد من الصحفيين فى معظم دور الصحافة المصرية . قيل إنه كان قاعدة لإطلاق الصواريخ الصحفية .. وقيل إنه الصحفى المنشىء وقيل عنه الصحفى المؤرخ ..

وقيل إنه عاشق للصحافة وقيل إنه الأديب الذى ضل طريقه إلى الصحافة تخرج فى مدرسته الصحفية العديد من النجوم ممن قدمهم إلى مجتمع الصحافة بعد أن أمدهم بالخبرة والحنكة الصحفية وأصبحوا اليوم من النجوم اللامعة فى سماء الصحافة المصرية .

من بين ما قاله فى صالونه الأدبى :

« إن الصحافة فى حاجة إلى كل عقل وكل فكر يمكن أن يسهم فى تغيير عادات وتقاليد وفكر المجتمع .. وحفز الناس على اتباع أنماط جديدة من الأخلاق والسلوك الاجتماعى الرفيع والعلم المتقدم فى إطار الظروف البيئية والتراث » .

وكان بذلك يبين مدى تأثير الصحافة على سلوك الناس .. ومن أقواله تتضح أهدافه .. فهو ليس صحفيا يجلى الحقاق ويقدمها للناس .. بل إنه مصلح اجتماعى يهدف إلى تقدم أمته ويرسم لها الطريق .

لذلك قال عنه الدكتور على الرجال : (١)

كانت مقالاته كلها تتحرى المصلحة العامة لا المصلحة الخاصة فما هاجم عن قصد ولا لاين عن قصد .. دائما كان يؤدى واجبه فى حدود المصلحة العامة .. ومصلحة البلاد .

وقال عنه الدكتور كمال أبو الخير : (٢)

لم يكن محمد صبيح من أبرز علماء الصحافة وجيل المفكرين الذين أسهموا فى وضع العلم الديني والتاريخى والوطنى فى خدمة المجتمع فحسب .. بل إنه كان رائدا من رواد الفكر الاقتصادى الذى يرتبط بتنمية الكادحين ، والعمل من أجل إشباع احتياجاتهم الأساسية للحياة .

---

(١) - حديث مع المؤلف .

(٢) - المجلة الزراعية - مرجع سابق

ولم يكن مكافحا وطنيا تشهد له مواقفه عبر خمسين عاما بل كان طوال حياته يضع مصلحة مصر ومصلحة الوطن العربى فوق كل اعتبار ، وإنه كان يثير بكلماته التى تستند إلى منطق الدين ومنطق التراث التاريخي ومنطق المتغيرات العالمية .. كان يثير بها العقل والمشاعر .

شهد بأستاذيته الكثيرون .. ومجدها القليلون .. إلا أن قراءه من الجيل السابق والجيل الحالى يعرفون قدره كأستاذ صحافة وليس صحفيا .

يقول جميل عارف :

إنه أستاذى الذى تعلمت منه الكثير فى مستهل حياتى الصحفية ، وكان هو الذى شجعنى على الاستقالة من عملى الذى التحقت به فى وزارة الزراعة بعد تخرجى من الجامعة حيث عملت لمدة ٣ شهور فقط بإدارة الصحافة بهذه الوزارة للعمل معه فى الصحافة .. وعملت معه ست سنوات قبل الثورة وكان هو الذى فتح أمامى الطريق للسفر حول العالم .

وشهادة أخرى من موسى صبرى ينعى بها صبيح فى المقال الافتتاحى لجريدة الأخبار .. وأفـرج عنى بعد عـام ١٩٤٧ .. ولم تنقطع صلـة التلميذ بأستاذه محمد صبيح ، وعملت فى عام ١٩٤٧ م فى صحيفة « الأساس » اليومية التى كان يصدرها الحزب السعدى .. وكان محمد صبيح يتولى موقعا رئيسيا فى العمل . ولا أعرف لماذا ابتعد عن مصر الفتاة التى تحولت فى ذلك الحين إلى الحزب الاشتراكى .. وما كان يربطنى بمحمد صبيح ، حتى اختاره الله إلى جواره ، إلا رباط من يتعلم ، مما كتب من مقالات .. ومما يصدر من مؤلفات ضخمة ، أثرت المكتبة الوطنية .. وهى بعض زادى حتى اليوم ، حينما تحيط بى

هموم التفكير فى المستقبل .. وعندما أتساءل .. متى تحقق مصر النهضة الشاملة التى طالت غيبتها ؟

ولم يبتعد محمد صبيح عن تلميذه كاتب هذه السطور . كان يسعدنى بين الحين والحين بزيارة .. أو بحديث تليفونى ، يعلق فيه مشجعا على بعض ما أكتب ، ومصححا لما أقع فيه من أخطاء . وداهمه المرض .. وداهمته أحداث عديدة .. ولكنه كان دائما متفائلا . كانت لديه قدرة خارقة ، على فلسفة الكوارث ، بعقل مستبشر دائما ، بأن غدا يوم أفضل .

وكان خلاقا ..

كان يفكر دائما فى مشروعات ضخمة جريئة ..

وكان تفكيره سريعا .. بمثل سرعة قلمه فى الكتابة .. فقد كان من الكتاب النادرين فى تطويع الكلمة ، بغير صعوبة . كان سيد قلمه .

ويصفه صلاح عزام بالمعلم فيقول :

صبيح صاحب القلم .. الإنسان الذى لم يوقع قرارا بقطع رزق أى إنسان .. المعلم الذى كان له الفضل على كثير من أصحاب الأقلام التى تكتب العواميد والمقالات فى وقتنا الحاضر .

رعاية الأب لأبنائه (١)

أخذ تلاميذ صبيح عنه الكثير ليس فى مجال الصحافة وحدها .. بل فى كثير من مجالات الحياة .. وكان يقول لتلاميذه :

.. لابد وأن يكون الصحفى أمينا على مصدر أخباره .

والاكثر أهمية تلك القيم العليا من شهامة ورجولة وتسامح ووفاء وصمود التى زرعها فى تلاميذه .

(١)- محمود بسيونى - المجلة الزراعية (ص ٨)

كان يحب أن يرى أولاده وتلاميذه يكبرون ويزدادون خبرة ونضجا وتزداد قامتهم ارتفاعا ، وأقلامهم نصاعة . ومكانتهم الصحفية علوا .

فقد كان يحب أن يكون من حوله كبارا .. لاأقزاما .. لأنه كان عملاقا لايخشى من الكبار .. بل يرى فيهم قوة تعينه بقوة وتحمل الرسالة معه ومن بعده .

كان يسعده أن ينمو الأبناء والتلاميذ حوله ومعه .. ويصبحوا زملاء له ناضجين مرموقين لهم مكانتهم وأقلامهم !!

كان يسعد بنجاح كل ابن من أبنائه وما أكثرهم .. وكم دفع بالكثيرين من تلاميذه وأبنائه الى أعلى .. لأنه كان يؤمن بأن فى القمة ، متسعا لكثيرين ممن أهلوا أنفسهم وحققوا النضج !!

●●اكتشافه للمواهب الصحفية :

كان صبيح يكتشف المواهب الصحفية ويصقلها بالخبرة الصحفية ويقدمها للمجتمع .. مثال ذلك :

نزل صبيح ميدان العمل الصحفى مزاملا فى ذلك جلال الحمامصى وآخرين فكان عمله لامعا نشطا كعادته وفى أى مكان يحل فيه .. كان يحظى بالتقدير والإعجاب مما كان يثير عليه بعض النفوس العاجزة بالحقد(١)

قال عنه شيخ الصحفيين حافظ محمود :

كان صبيح نفسه إضافه طيبة .. على الحياة الصحفية فى مصر .

وقال عنه أنيس منصور :

كان صحفيا كبيرا ومؤرخا متعمقا وقاعدة لإطلاق الكثير من صواريخ الصحافة ... وعن حبه للصحافة وحرصه على إعداد جيل من الصحفيين يقول أيضا :

---

(١)- د . عبد المنعم النمر - المجلة الزراعية - مرجع سابق (ص١٥)

إذا أعطيت محمد صبيح مقعدا فى ميدان التحرير وغبت عنه أياما وعدت .. لوجدته قد بدأ فى بناء دار صحفية واستورد لها مطابع وأصدر منها صحفا .

وقال عنه زميله المستشار شمس الدين خفاجي فى مستهل مقال طويل بعنوان أمير فى بلاط صاحبة الجلالة (١):

إنه مجموعة من العمالقة الذين ليس من السهل أن تكتب عنه فى بضع صفحات . لأن عملاقا واحدا من بين العمالقة تتسع صفحات الكتابة عنه إلى كتاب .

●● ٢ ـ عطاؤه التعاونى

كان محمد صبيح رجلا موسوعيا فى ثقافته وفى تكوينه وفى شخصيته لذا كان عطاؤه وكفاحه على امتداد عمره كبيرا .

فقد أعطى للوطن كل أيام شبابه ، وعندما قامت الثورة وهدأت نفسه الثائرة بإخراج المستعمر من بلاده بدأ عطاؤه يتجه نحو الأرض ومن يفلحها ، ووجه جهده للفلاحين الفقراء الذين أجهدوا بالاستعمار والإقطاع المساند له .

أعطى الحركة التعاونية الكثير حتى وهو فى ميدان الكفاح السياسى والسبب حبه للفلاح ، وطبيعته السمحة ونفسه المتواضعة وحنانه الفياض على الفقراء وذوى الحاجات .

شارك صبيح فى الجهد التعاونى بالرأى وقت أن كان صحفيا محترفا فى الجرائد والمجلات قبل الثورة . ذلك لأن قادة التعاون فى ذلك الوقت كانوا أبناء مدرسة مصر الفتاة التى تعهد أبناءها صبيح بالتثقيف والتنوير السياسى والدينى .

كان دائما الأخ الأكبر والشقيق الحنون . والصديق الصدوق لمعظم قادة الحركة التعاونية المصرية قبل الثورة وبعدها . (٢)

---

(١)- جريدة التعاون الصادرة فى ٦ / ٤ / ١٩٩٣ .
(٢) - محمود بسيونى - مجلة صوت التعاون الاستهلاكى - مايو ١٩٨٣م (ص٥).

كان من أقرب الاصدقاء لجيل الرواد التعاونيين من تلاميذ مدرسة عمر لطفي ، الدكتور إبراهيم رشاد ، الدكتور يحيى الدرديرى ، وعبد اللطيف عامر مدير مصلحة التعاون ، والدكتور محمد أبو طايلة مراقب عام مصلحة التعاون ، وعبد المجيد الرمالى عضو الجمعية التعاونية للبترول ، وعبد المنعم حمادة بمصلحة التعاون وسكرتير مجلة التعاون وأحمد منير إسلام من أبرز المنظمين التعاونيين ، وميلاد شنودة مفتش التعاون بالدقهلية وأحمد دمرداش تونى وكيل مصلحة التعاون ، وسعد هجرس الذى بدأ عمله بالاصلاح الزراعى منظما تعاونيا ، وأحمد زكى الامام المفتش بمصلحة التعاون ، وسيد نجيب عطا الله مراجع حسابات تفتيش التعاون ببنى سويف ثم رئيسا لهيئة التعاون ، ومحمود فوزى إبراهيم . وغيرهم من رواد الحركة ومؤسسى التعاونيات الزراعية . ليس هذا فحسب بل انه اعتقل أكثر من مرة مع المشرع التعاونى شمس الدين خفاجي وقت أن كان رئيسا للاتحاد التعاونى بالفيوم ومسئولا عن تحرير كثير من الصحف التعاونية ومنها مجلة (الهداية التعاونية) و(صوت التعاون).

كان عمله بالإصلاح الزراعى يستوجب أن يكون عضوا عاملا فى الحركة التعاونية ولأن قانون الإصلاح الزراعى ربط حق الانتفاع بالأرض المستولى عليها بالدخول فى جمعيات زراعية تمول صغار المزارعين .

لذلك كان عطاؤه بلا حدود .. ومازالت صحف التعاون التى أنشأها من أول المشروعات التعاونية الناجحة فى مصر رغم ما أصاب الحركة التعاونية من نكسات !!

●● الصحفى المنشىء

لقد عرف صبيح بين زملائه الصحفيين : بالصحفى المنشىء .. إذ كانت جرأته وراء كل جديد فى عالم الصحافة .. وهو صاحب أكبر رصيد فى إصدار الصحف من مصر ابتداء من عمله سكرتيراً لحزب مصر الفتاة وحتى خروجه من دار التعاون بعد معارك شرسة تناولناها فى الصفحات السابقة .

كما أنه صاحب رصيد كبير فى إصدارات الكتب .. لأنه كان صاحب عقلية ابتكارية وفكر خلاق مبدع .

كانت التعاونيات قبل صبيح تصدر مجلات على شكل نشرات مثل : صوت التعاون ، الشعلة ، الهداية . الخ .الا أنها كانت غير منتظمة . ولايكتب بها الا قلة من المفكرين لأن صفحاتها لم تكن تتسع للدراسات والبحوث والمقالات .

كان الرائد الأول للصحافة التعاونية المتواضعة هو الدكتور إبراهيم رشاد الذى أحيل للتقاعد عام ١٩٤٦ قبل أن تتبوأ الصحافة التعاونية مكانتها بين الصحف المتخصصة .

وفى سنوات عمل صبيح بالإصلاح الزراعى جاهد من أجل أن تكون للفلاحين التعاونيين جريدتهم الناطقة باسمهم والمعبرة عن امالهم .. ففى نوفمبر سنة ١٩٥٨م أصدر المجلة الزراعية ، وفى يوليو من العام التالى أصدر جريدة التعاون . وفى أوائل الستينات طالب بأن يتضمن قانون سلطة الصحافة (٤١٨ لسنة ١٩٨٠) الأخذ بالشكل القانونى فى مجال الصحافة التعاونية .(١)

وفى يونيه ١٩٦٢م أسس الجمعية التعاونية للطبع والنشر ومن خلالها أسس دار التعاون ومجمعها الطباعى الضخم بدار السلام . وتصدر هذه الدار العديد من الصحف والمجلات : كالتعاون والحرية والتعاون الرياضى وتعاون الطلبة ودائرة المعارف الزراعية وسلسلة كتب التعاون .

ولانه كان بعيد النظر .. فقد أصدر جريدة (تعاون الأحد) لنشر الوعى بين المنتجين والمستهلكين وحمايتهم من كل محاولات الغش والتدليس !!

ثم أصدر جريدة (الأسواق) التى تعبر عن البورصات وحركات الموانىء والأسواق العربية والمحلية .

---

(١)- محمد رشاد عبد الله - جريدة السياسى الصادرة فى ١١ / ٤ / ١٩٩٣م .

وفى السبعينات أصدر جريدة (الحرية) وكانت بداية إرهاصات الانفتاح الديمقراطى وحرية الصحافة التى تتمتع بها صحفنا اليوم .

ومن جريدة الأساس ودار التعاون تخرجت أجيال من الصحفيين ممن تتلمذوا على يد الصحفى المنشىء .

يشهد الكثيرون بذلك .. فهذا الصحفى صلاح عزام يشهد ويقول : (أشهد أنى تعلمت منه الكثير فى الصحافة وفى السياسة وفى كل الفنون .. كان المعلم عالما فى كل مجالات الفكر .. أثرى مكتبتنا العربية بروائع إسلامية وتاريخية ، وكان كل ما فى كتبه رائدا وكان أستاذا غير مقلد .)

ويندد صلاح عزام بمن لا يعرف صبيح فيقول :

بئس جيل صحفى لايعرف أستاذا ورائدا ومعلما بصماته على الصحافة والصحفيين ، وآثاره واضحة فى الصحافة طوال ٤٠ عاما وبنى منها دارا كبرى بدأها من حجرة وانتهى بها إلى مؤسسة عملاقة تصدر أربع صحف وكان أمله أن يكملها بإصدار مجلة دينية مستنيرة .

أما شيخ الصحفيين فيعود بنا إلى ما ذكرناه من تسميته بالصحفى المنشىء فيقول :

كنا نسميه بالصحفى المنشىء .. لأن روح الإنشاء والابتكار لازمته طوال حياته وأذكر حينما كنا نستعد لإصدار جريدة القاهرة سنة ١٩٥٣م . وتكلمنا عن التجارب التى سنقوم بها قبل إصدار هذه الجريدة فى الأسواق . سألت الزملاء : من منكم سيكون المسئول عن هذه التجارب ؟ فإذ بصبيح يتصدى لهذا العمل وحده .

وإذ به بعد أيام يفاجئنى بنسخة من تجارب الجريدة فى الاسواق ويطلب أن أقارنها بصحف اليوم . فلما وجدت النسخة التجريبية لاتنقص خبرا واحدا عما جاء بالصحف الاخرى سألته :

- كيف صنعت هذا ونحن لم نبدأ التجارب إلا منذ أسبوع واحد ؟

- قال (ضاحكا) هذا سر المهنة !!
- حتى على يا محمد !!

●● إهداء مكتبته الى النقابة

بعد وفاته رأى بعض أبنائه ان تهدى مكتبته الضخمة الى نقابة الصحفيين تنفيذا لوصيته وكان النقيب وقتها المرحوم الاستاذ صلاح جلال وقد أفرد النقيب غرفة بالنقابة وكتب على بابها إن هذه المكتبة مهداة من أسرة المرحوم محمد صبيح .

ثم تعاقب النقباء وتم إخلاء الغرفة وانضمت الى المكتبة العامة للنقابة التى توجد فى وضع بائس وفى حالة يرثى لها ولايعرف أحد مصير آلاف الكتب والمراجع القيمة التى كانت بالمكتبة .

●● ٢ ـ عطاؤه للوطن

الى جانب وطنيته المتأججةالتي أعطاها أحلى سنين عمره وشبابه ..فإنه كان من أبرز المناهضين للفساد والقصر الملكى .

قال لإحدى الصحفيات الإنجليزيات أثناء زيارته للأردن سنة ١٩٦٩م :

« لست سائحا عاديا .. ولكنى محارب بالقلم فى جبهة القومية العربية ضد كل بغى وعدوان عليها .. لقد جاء الوقت لنبحث الوسائل التى يزال بها هذا العدوان .. ويذهب إلى بيته كل لاجىء وينصف كل مظلوم من ظالمه ».

ويتذكر أيام جهاده وحملاته الشرسة بقلمه على الاستعمار والفساد فيقول : (١) .

---

(١) ـ كتابه وإن عدتم عدنا (ص٧٤) .

وقد حوكمنا على كل هذا الكلام وبرأتنا منه المحاكم الوطنية ولكنه ترك بصماته فى جيلنا كله .

وفى سبيل جهاده الوطنى لاقى الكثير من العنت والاضطهاد فقد اعتقل ودخل كل معتقلات مصر ، وقدم عشرات المرات إلى محكمة الجنايات فى قضايا صحفية ، ولكنه برىء منها جميعا عدا غرامات بسيطة .

وفى القاموس الصحفى كتب عنه : (١)

ومن أجل جهاده .. كان ضيفا دائما على جميع المعتقلات والسجون المصرية .. فقد اعتقل فى سجن الأجانب ، ومعتقل الزيتون ومعتقل ماقوسة بالمنيا .

فضلا عن كثير من أقسام البوليس المختلفة بالقاهرة والاسكندرية ويحكى لنا المستشار شمس خفاجى عن دلائل وطنيته :

اعتاد محمد صبيح فى رمضان أن يعد إفطارا فى منزله يحضره الأصدقاء .. وفى العاشر من رمضان الموافق ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ كان من بين المدعوين لحضور الإفطار الدكتور حلمى مراد والدكتور الرجال والمستشار شمس الدين خفاجى والاستاذ حامد دنيا والدكتور كمال أبو الخير ومجموعة أخرى من الأصدقاء .

وبينما كانت زوجة ابنه الأكبر تقدم أشهى الأطباق التى تقدمها انطلق مدفع الإفطار وأعقبه بيان من الإذاعة المصرية يحكى قصة عبور قواتنا المسلحة بين الساعة الثانية بعد الظهر وبين إذاعة البيان .. فوقف محمد صبيح يهتف من كل أعماقه

(١) - فتحى رزق - ٧٥ نجما فى بلاط صاحبة الجلالة - كتاب التعاون (ص٢٤٦)

ومن كل شبابه وهو الشيخ الكبير .. ووجد الحاضرون أنفسهم يرددون هتافه وهم حول المائدة .. وكان الهتاف هو شعار مصر الفتاة .

●● ٤ - مكانته بين مفكرى العرب

يعتبر محمد صبيح فى رأينا واحدا من مفكرى العرب المرموقين تتلمذ على يده فطاحل المفكرين فى الثلث الأول من القرن العشرين وقد ترك للمكتبة العربية الكثير من أمهات الكتب الدينية وتحقيق التراث وتراجم مادة التاريخ العربى والمصرى الحديث والحركة اليهودية وأدب الأطفال

صدر له فى (كتاب الشهر) القرآن ، محمد عليه الصلاة والسلام ، وأبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وأبوجعفر المنصور . وخالد بن الوليد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبو مسلم الخراسانى . وعمر بن عبد العزيز ، وقواعد الاسلام خمسة – وغيرها من الكتب الدينية .

وعن بعض القادة البارزين صدر له مجموعة كتب عن موسولينى – ديفاليرا – كمال أتاتورك – شانج كاى شيك – طارق ابن زياد – شاه إيران – تشرشل – الملك عبد العزيز بن سعود – فيصل الأول – وغيرهم .

وفى التاريخ .. صدر له مجموعة كتب فى التاريخ المصرى ، أيام وأيام من ١٨٨٢م – ١٩٥٦م ، طريق الحرية ، من العلمين الى سجن الاجانب ، الأرض ، فى تاريخ الإسلام والعروبة ، مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية ، اليقظة ، المعتدون اليهود من ايام موسى إلى ديان ، وإن عدتم عدنا ، القدس ومعاركنا الكبرى ،

كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، روسيا ، النيل ، كنت فى السودان (منع من زيارة السودان بعد صدور هذا الكتاب) .

وتعتبر مؤلفاته زخيرة علمية وتراثا يعتز به الوطن .

وكما كان خطيبا مفوها .. فهو من جيل الشباب الوطنى فى الثلاثينات والاربعينات كان أديبا .. لذلك قالوا عنه :

.. أديب ضل طريقه إلى الصحافة .

.. أو صحفى ضل طريقه إلى الأدب .

واستطاع صبيح من خلال قراءاته فى التاريخ القديم وزياراته للمناطق الأثرية ومقابلة كبار المهتمين بالتاريخ فى العالم واساتذة التاريخ العبرى ان يحدد لنا ملامح فكر العدو الإسرائيلى واتجاهاته .

وعن الفكر اليهودى يقول : (١)

هذا هو الاسلوب الذى يسير عليه الفكر اليهودى فى أعلى مستوياته .. فقد صح لديهم أن فيصل الأول هو العرب جميعا ، وعلى الرغم من التحفظات الكثيرة التى أبداها ابن الشريف حسين على مبدأ الهجرة فإنها صلحت لدى هذا العالم كى يطرد العرب من ديارهم ، وتقوم دولة إسرائيل ..

أما عن الاقتصاد الاسرائيلى فيقول (٢) ::

واضح من دراسة البناء الاقتصادى داخل إسرائيل أنه يقوم على الإعانات الخارجية ، وأن حربين قام بهما اليهود ضد الدول العربية

---

(١) ، (٢) كتابه القدس (ص١١) و (ص١٦) .

كان الهدف النهائى منهما فتح الاسواق العربية بعد أن أصبح ثمة اقامة هذه الدويلة أغلى مما تطيقه أى إعانة .

وفى أواخر الستينات وبعد هزيمة ١٩٦٧م التى أثرت عليه نفسيا كما أثرت على كل المصريين تفرغ للكتابة عن الاسرائيليين ومعتقداتهم وبذل مجهودا كبيرا فى القراءة بما فيها العهد القديم وهو الجزء الاول من الانجيل واستخرج منه كثيرا من المعتقدات البالية التى يطبقها اليهود حتى يومنا هذا وأخرج للمكتبة العربية كتاب « المعتدون اليهود من أيام موسى الى أيام ديان » « وإن عدتم عدنـا » و« القدس ومعـاركنا الكبرى » .

وعندما وصل الكتاب الثانى الى صديقه المفكر الكبير أنيس منصور طرأ على ذهن أنيس أن يقيم معرضا لكل الكتب التى أصدرها مؤلفون عن اليهود وأقام فعلا هذا المعرض تحت عنوان « إعرف عدوك » .

●● ٥ ـ مكانته بين المؤرخين

رغم أنه قد أرخ للوطن العربى فى مجلدات كبيرة ووصف الأحداث السياسية بدقة متناهية وامتاز فى تأريخه بربط الأحداث وتحليل نتائجها لاسردها سردا تسجيليا ..

فقد أرخ للثورة المصرية فى كتابيه : كفاح شعب مصر .. وأيام وأيام .. لذلك يعتبر من المؤرخين الذين يكتبون تاريخ حركة الشعوب بأسلوب إنسانى ومؤلفاته العديدة خير شاهد على ذلك ..

وأسلوبه فى كتابة التاريخ فوق أنه أسلوب إنسانى .. فهو رائع يجذب القارىء ويتعايش معه .. فكان حريصا على أن جماهير الناس تطالع وقائع التاريخ وعطاءه من خلال زعمائه وأحداثه فى العالم العربى والإسلامى ..

كان ينتقى مراجعه وهذا واضح فى كتاباته التاريخية .. كما كان يحسن الربط بين الأحداث التاريخية ..

إستغرق صبيح أكثر من ثلاثين عاما يقلب صفحات التاريخ ويستنبط الأحداث ويحققها ويكتب دراساته عن أبعاد النفس المصرية والعربية ..

قال عنه جاره الدكتور على الرجال : إنه الكاتب الذى أدب التاريخ .. اى كتب التاريخ بأسلوب أدبى ..

يقول فى مقدمة كتابه (القدس)

ومما يؤكد جودة كتابته للتاريخ كجودته فى فن المقال ما كتبه تحت عنوان : صح وغلط .. فى التاريخ الإسلامى (١)

تعودنا على أن نقصر مراجع تاريخ الإسلام على المدونات العربية الشهيرة ونقف عندها . ولكن مضى الزمن هدانا إلى مراجع إفرنجية عاصرت الإسلام منذ ظهوره وانتشاره . ومن أهم هذه المراجع ، المدونات الكنسية التى كان الرهبان والقسس لاسيما فى أوقات الحروب يخبئوها فى أقبية أديرتهم وكنائسهم ، وفى الفترة الاخيرة عندما عاد الينا دير سانت كاترين عنينا بالبحث فى مخطوطاته ووجدنا منها أشياء ثمينة . وفى جامعة الإسكندرية مجموعة ثمينة جدا من هذه المخطوطات لعل علماء هذه الجامعة مكبون على دراستها .

ويعرف بفطرته السمحة أن هناك من المؤرخين من سيعترض على الاستعانة بالمخطوطات الكنسية التى كتبت عند فجر الإسلام فيتساءل حتى يقطع على المعترضين حجتهم .. يقول :(٢)

---

(١) ، (٢) - مجلة العروة الوثقى - سبتمبر ١٩٨١ م.

هل نستطيع أن نعتمد هذه المخطوطات المسيحية الأصل كمعلومات صحيحة نضيفها إلى تاريخنا أو نهملها ؟

والرد على ذلك يعتمد على بحث هذه المخطوطات من حيث الظروف والجو الذى كتبت فيه . فمثلا نشرت المراجع الأولى للتاريخ الإسلامى نص حوار بين أبى سفيان الزعيم الحجازى وهرقل إمبراطور الروم فى القدس ، ولم يكن أبو سفيان قد اسلم بعد وكان هرقل عائدا لتوه من انتصاره الكبير على الفرس فى « نينوى » واسترداده صليب المسيح . وهو النصر الذى بشر به القرآن الكريم . وينتهى هذا الحوار بأن تمنى هرقل أن يغسل قدمى النبى العربى ، وكان أمراء الكنيسة يحيطون بهرقل ويحتفلون بعودة الصليب المقدس احتفالا وصف بأنه أعظم احتفال أقيم فى التاريخ حتى ذلك الوقت ، واصبح هرقل به زعيما مسيحيا لا ينازعه أحد .

ويختتم صبيح مقالته فى تعليم الجيل كيف يؤرخ .. وكيف يستوثق من المصادر التاريخية فيقول :

وهكذا يجب أن يكون دأبنا فى تمحيص التاريخ مهما يكن مصدر معلوماته ولايصرفنا وجود الوثائق القديمة فى كنيسة أو دير أو معبد لليهود أو البوذيين ، فالعلم قادر على بحث ذلك كله بما فيه الرقاع التى كتبت عليها الأنباء .

ولم يكن صبيح المؤرخ يسرد الوقائع سردا كما كان يفعل مؤرخو عصره .. وإنما كان يأخذ قارئه إلى شاطىء الخيال التاريخى ليتصور أحداثا قد لا توجد فى الواقعة التاريخية التى سردها .

يقول فى كتابه عن خليفة المسلمين معاوية : (١).

وإن الباحث ـ اليوم ـ ليسأل نفسه ويسأل وقائع التاريخ وعبره :

---

(١) ـ كتاب الشهر ـ معاوية ـ مايو ١٩٥٨

هل كان من الممكن أن يستمر حكم الإمبراطورية الإسلامية على الطريقة التى كان يحكم بها أبوبكر وعمر .. هل كان يمكن أن يظل حكم الراشدين اكثر من ربع قرن من الزمان بالصورة التى كان عليها ؟

والغريب .. انه كان يشير إلى ما كتبه المؤرخون المعاصرون أمثال عبدالرحمن الرافعى وأحمد شفيق والعقاد وأحمد حسين .. وغيرهم بل إنه كان يثنى عليهم فى كتاباته ويعرف قارئه بآرائهم .

من الطبيعى أن يتعقب المؤرخون الأحداث ويرصدوها بعد التحقق من وقوعها وفى أزمان حدوثها وبنفس الشخوص الذين تأكد لهم أنهم فاعلوها .

ولقد امتاز محمد صبيح بأنه باحث مدقق دؤوب يجرى وراء المعلومة ويتحقق منها ثم يجليها ويصفها لقارئه فى عبارات تتناسب مع أهميتها ، وبأسلوب يتمشى مع الأحداث .

وقد برز ذلك فى كل موسوعاته .. بل وفى وقت مبكر من تاريخ إصدار كتيباته الصغيرة فى سلسلة .. كتاب الشهر .

تراه يصف معاوية بالحلم كصفة أخلاقية اسلامية عربية فيقول : (١)

بحث عن كلمة فى اللغة الفرنسية تقابل كلمة (الحلم) وتؤدى كل معناها فلم يجد .. فاضطر إلى أن يكتبها بالحروف اللاتينية كما هى .. وأكبر الظن أن خلق الحلم كما اتصف به قدماء العرب والمسلمون لايكاد يعرف فى أمة من الأمم .. فهو شىء غير الصبر وهو شىء غير الجلد .. وهو شىء غير كظم الغيظ وهو شىء غير اللين .. وقد يكون هو كل هؤلاء مجتمعين .

---

(١) ـ المصدر السابق

ويستهل كتابه عن الفاروق عمر بن الخطاب بمقدمة قال فيها :

بدأ تاريخ عمر بن الخطاب يوم أن انضم إلى معسكرت المسلمين وآمن برسول الله جهارا نهارا .

ولم ينته تاريخ عمر بن الخطاب فى اليوم الذى أودت بحياته طعنة حنجر من متآمر مجهول .. بل استمر عمر يسيطر بقوته الروحية ، وبالنظم التى اقر بها الاسلام فى الأمصار المفتوحة أجيالا بعد أجيال .

●● ٦ - مكانته بين رواد التنوير

إعتبر المثقفون محمد صبيح عبدالقادر من رواد حركة التنوير والتثقيف فى هذا القرن ..

ذلك لأن كل مشروعاته ثقافية ، فقد تتلمذ على أيدى زعماء التجديد فى الثقافة المصرية والعربية أمثال طه حسين وأحمد أمين وعبدالوهاب عزام والعقاد .. وغيرهم .

فدرس عليهم وهضم فكرهم .. وكانت عقليته مهيأة للهضم وخلق الجديد الذى يضيف للحياة معنى الحيوية والنماء .

وبالنسبة للتثقيف والتنوير التعاونى فإنه يعتبر الرائد الثانى بعد الدكتور إبراهيم رشاد الذى عاد من انجلترا عام ١٩٢٠م يدعو الناس الى اقامة جمعية تعاونية تستخدم العلم الحديث ، وأصدر العديد من الصحف التعاونية وتجول فى البلاد يشرح للفلاحين كيف يقيمون جمعية تعاونية ويديرونها ادارة ديمقراطية .

ليس هذا فحسب بل كانت له أحاديث اذاعية كثيرة خاصة فى الحقبة الزمنية التى قضاها بالاصلاح الزراعى .. وكانت تعد البرنامج وتقدمه السيدة فوزية المولد .

ولاشك أن محمد صبيح له تأثير ثقافى كبير لجهوده المتعددة فى الكتابة والمحاضرات والندوات التى كان يعقدها فى منزله ولقاءاته بالمثقفين والمفكرين -

يقول الدكتور عبدالمنعم النمر : (١)

.. وفى ذلك الوقت كان قلم الأستاذ صبيح وكتبه الثقافية تفعل فعلها فى تزويد عقولنا بالجديد النافع من تاريخنا الإسلامى ورجاله العظماء ومن تاريخ العظماء فى العالم وذلك بسلسلة كتبه الثقافية التى كانت تصدر تباعا عن الرسول وخلفائه ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم من أعلام المسلمين .

وكان الكتاب صغير الحجم عظيم الفائدة لأمثالنا من الشباب ، ويباع بقرشين ..

---

(١) المجلة الزراعية ـ مقال بعنوان ذكريات العالم المجاهد صبيح (ص١٤)

خاتمة

تلك كانت دراستى المتواضعة عن شخصية محمد صبيح كعلم من أعلام الثقافة فى مصر والبلاد العربية فقد وفقنى الله أن أكتب قبلها السير الذاتية لاثنين من رواد التعاون هما عمر لطفى مؤسس الحركة التعاونية والدكتور ابراهيم رشاد .

وقد استنشقت وأنا أكتب هذه السيرة عبق الكفاح الوطنى خالصا من أجل مصر .. وبعيدا عن أطماع الشهرة والمال .. إنتهى هذا الكفاح الطاهر العفيف المنزه عن أى غرض بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢م التى كانت تمثل نهاية كفاحه ومنتهى أمله .

وكان محمد صبيح صاحب هذه السيرة يتمتع بمركز مرموق فى عهد الثورة لقدراته المتعددة التى كان يعرفها رجالها وقد تتملذوا على يديه فى الوطنية .

وقد احسست وأنا أكتب سيرته أنه من الوطنيين الذين لازمهم سوء الحظ .

ذلك لأنه كما قال : لم يدخل فى شلة من الشلل الصحفية والأدبية .. وهذا أمر طبيعى لأن غايته المصلحة العامة لاسواها .. وأنه كاتب ملتزم ..

ومع شخصيته الموسوعية فى الفكر والاعلام والتنوير .. وبشهادة كل من عرفوه أو سمعوا به .. لم تكرمه الدولة أى تكريم . بل تعرض

للمطاردة وتم اجلاؤه عن الدار التى أسسها دون مرتب أو معاش أو مكافأة !!

واحد من عشرات الكتب التى ألفها يمكن أن يأخذ به جائزة الدولة التقديرية لو قدمته جمعية من الجمعيات الادبية أو مجلس الصحافة او نقابة الصحفيين .. كتابه بعنوان « كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين » والذى نشرت فيه مذكرات محمد فريد واحدث ضجة فى الأوساط الصحفية والسياسية فى الستينات كان من الممكن أن يحظى بهذه الجائزة ..

فلماذا لم تتحول مؤلفاته التى أفلام ومسرحيات.. وقد أحس فى حياته بهذا التقصير فكتب يعتب على أبناء الشرق الذين ظهرت الأديان بينهم كلها وشهد آباؤهم كما شهدت أرضهم وسماؤهم ظهور الأنبياء .. يعتب عليهم تقاعسهم عن انتاج أفلام تحكى أحداث الاسلام ومسيرة رواده الأوائل .. فهذا يحرك كثيرا من طاقات الدعوة الى المبادىء الاسلامية .

.. كان يتمنى أن تعد أفلام سينمائية عن قادة العرب الذين كتبهم فى سلسلة كتاب الشهر .. وأن تكون هذه الأفلام على مستوى عالمى ..

ولقد كانت له تجربة فى أواخر الاربعينات فكتب قصة للسينما باسم عمرو بن العاص وأخرجها فؤاد الجزايرلى ، كما كتب فيلم نور الله ، بالاشتراك مع الممثل القدير عبدالوارث عسر وكان سيخرجه المخرج الكبير محمد كريم ولكنه تعثر فى مؤسسة السينما التى كانت تحكمها ظروف معروفة فى الستينات .

.. وفى مقدمة كتابه (نور الله) الذى حلل فيه تحليلا رائعا أسباب الحرب بين سيدنا محمد ﷺ وعشيرته قريش قال :

.. لو تصفحنا تاريخ الاسلام لاسيما الصدر الأول منه لوجدنا فيه من روعة الأحداث مالا تقارن به الاحداث التى جعلت أساسا لـلأفلام الدينية العربية ..

.. إننى أهيب برجال الثقافة والاعلام أن يكرموا اسم هذا الرائد العظيم .. فمصر دائما تكرم المبرزين من أبنائها .. وستظل إنجازات محمد صبيح وفكره منارة لكل من يطلب الزاد الثقافى والتعاونى .. ستظل قلعته التعاونية تحمل اسم مؤسسها الى ماشاء الله ..

.. جزاه الله عن كفاحه من أجل تراب بلده خير الجزاء .. وكتب له أجر المجاهدين ووفاه حساب الصابرين الصامدين .. آمين يارب العالمين ..



ذاكرة الكاميرا

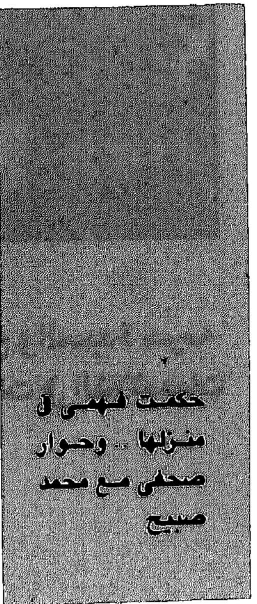
محمد صبيح
قصة كفاح



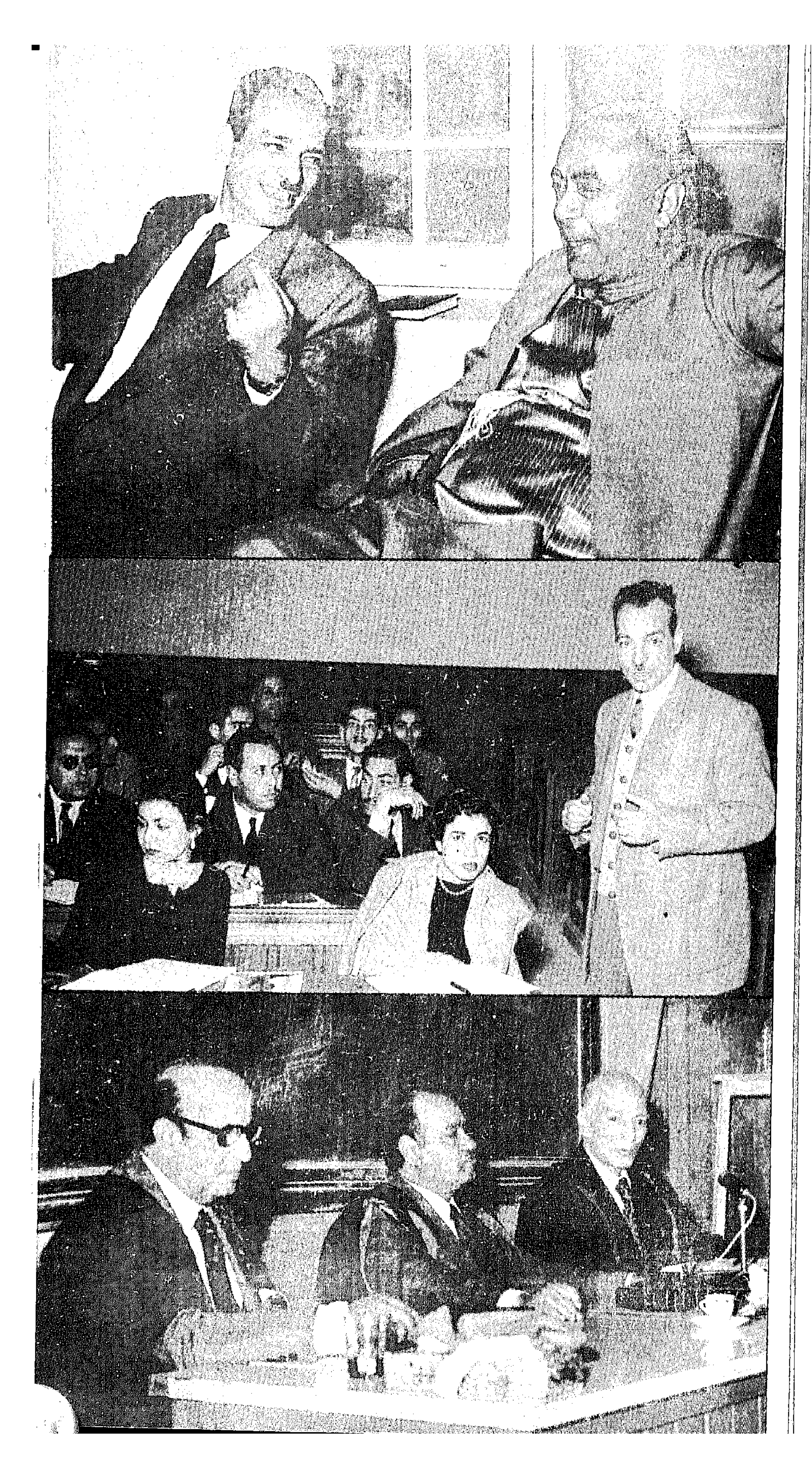
١٩١٠
١٩٨٣

في معتقل الزيتون .. الجالسون الدكتور انور ، الصاغ الرحماني ، صبيح ، جلال الحمامصي .. والواقفون البيروهبه ، عبدالمغني سعيد ، نزيه ، فتحي ابو الوفا





حكمت فهمي في منزلها .. وحوار صحفي مع محمد صبيح



حوار باسم بين فضيلة الشيخ محمد علوان ومحمد صبيح في بداية عام ١٩٥٤

محاضرة في قسم الصحافة بكلية الآداب في اوائل الخمسينات ..

لجنة لمناقشة رسالة دكتوراه .. مكونة من السادة د . مختار التهامي ، د . نجيب ابو الليل والاستاذ محمد صبيح

فى بون عاصمة المانيا الغربية ـ وقتها ـ مع ايرهارت (١٣/٤/١٩٥٧) .. وتضم الصورة الوفد الصحفى المصرى يحاصره بالاسئلة والاستفسارات .

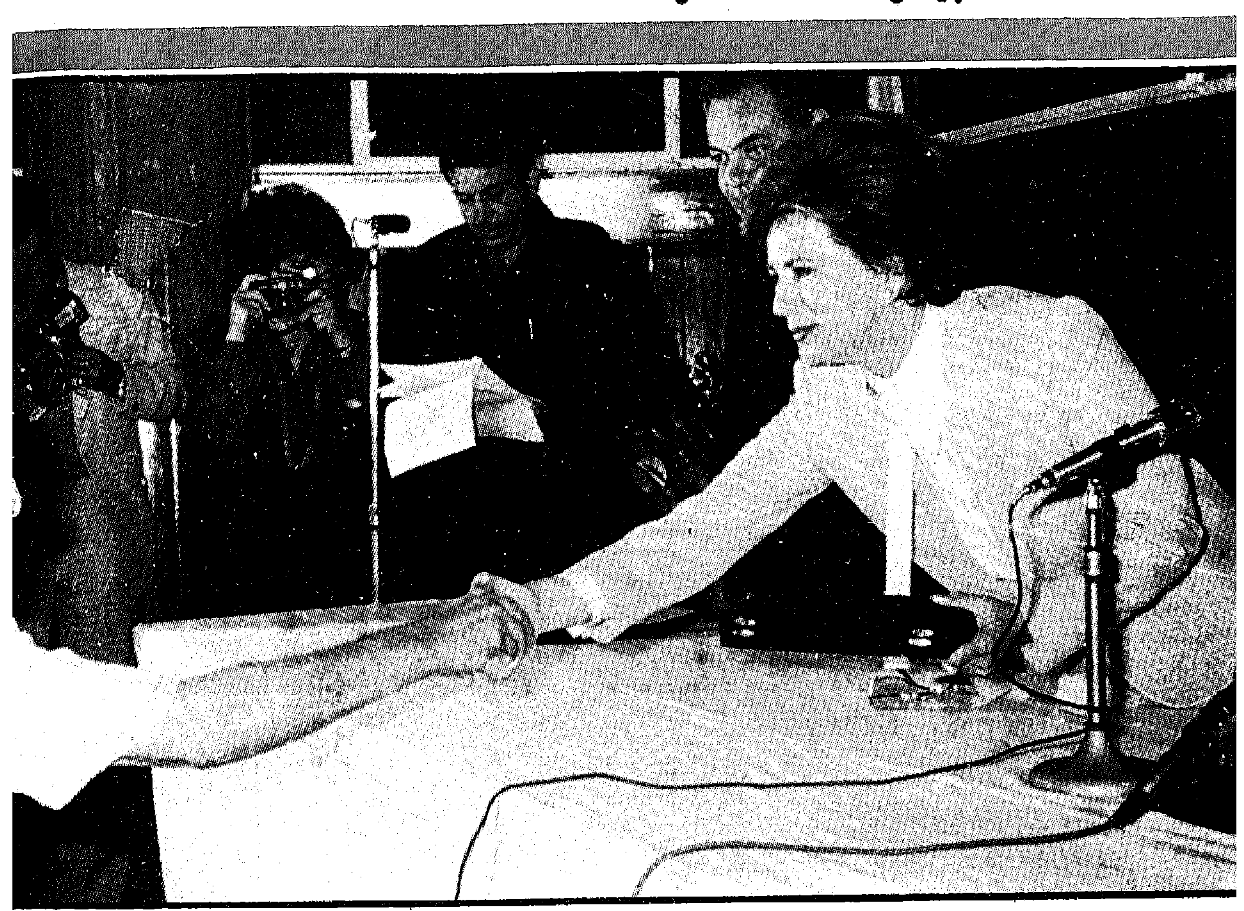


.. وتضم هذه اللقطة ـ ايضا ـ فى رحلة المانيا محمد صبيح وانيس منصور ود . مصطفى محمود ورائد عطار و آخرين .



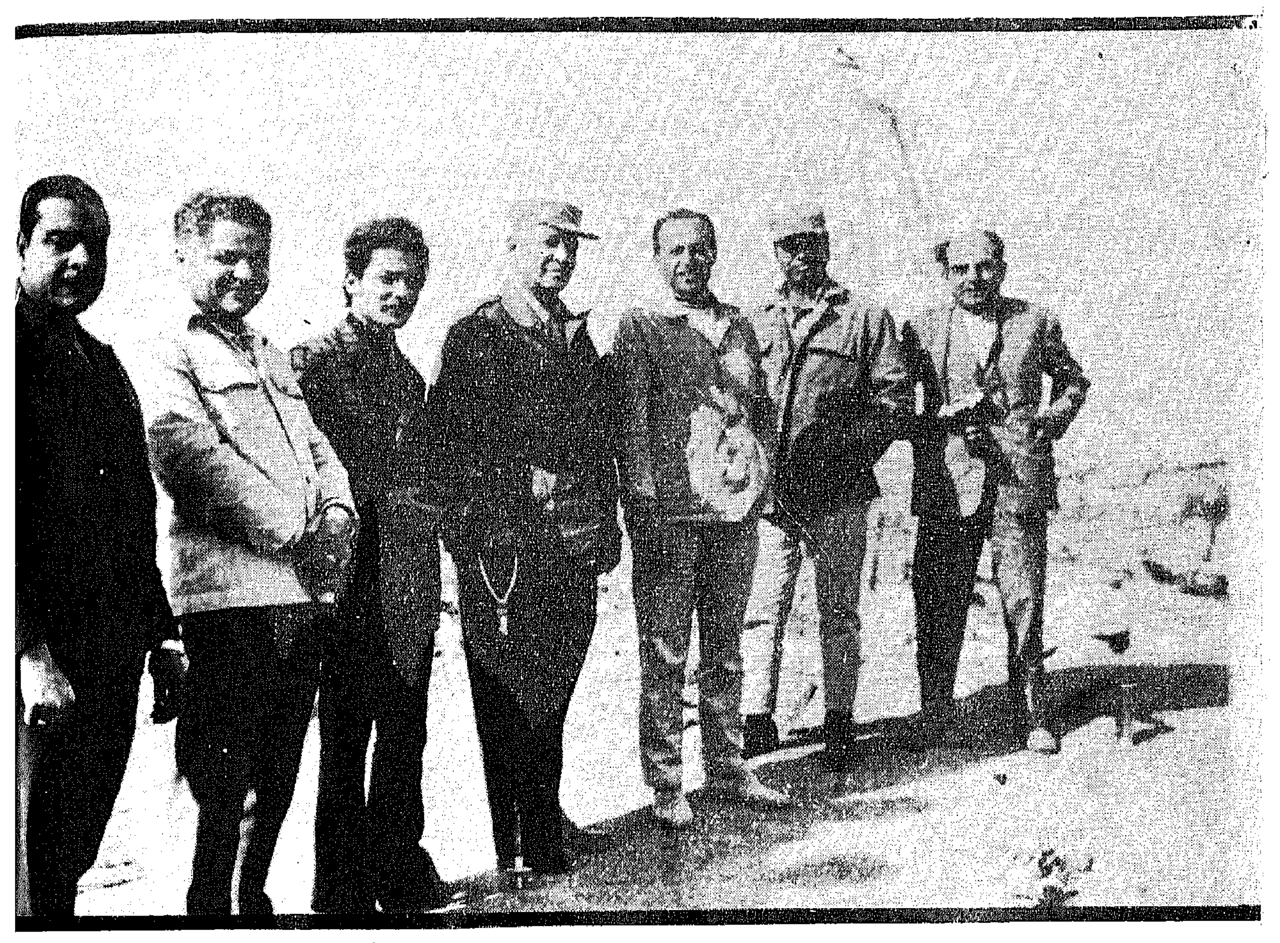


الراحل محمد صبيح أول رئيس تحرير للمجلة الزراعية .. يراجع بروفات العدد الأول مع الفنان الكبير المرحوم حسن فؤاد الذى اشرف على اصدار اعدادها الأولى .. في بداية الخمسينات .



السيدة جيهان السادات تسلم جائزة للمرحوم الاستاذ محمد صبيح .. وفى الصورة الاستاذ منصور حسن وزير الإعلام .. وقد التقطت هذه الصورة فى منتصف السبعينات ... واللقطة على الصفحة المقابلة .. خلال لقاء تم فى لندن خلال رحلة الرئيس السادات للعاصمة البريطانية

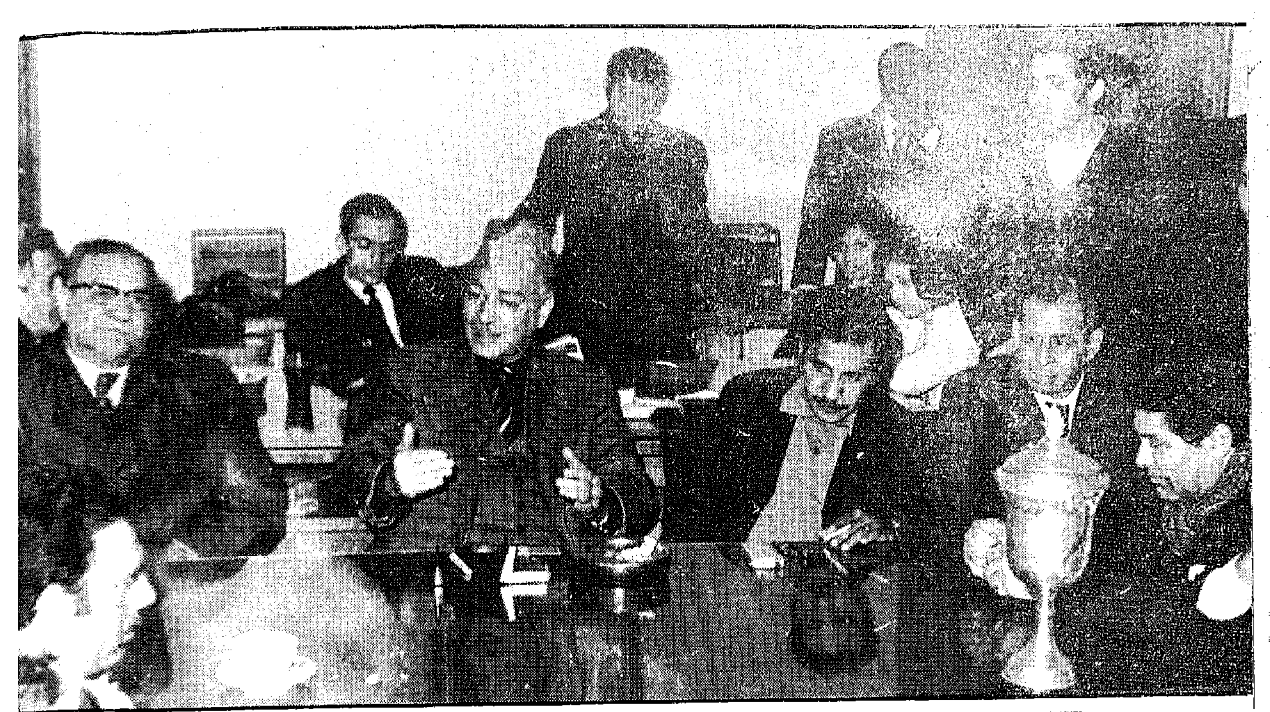




اثناء زيارة محمد صبيح لخط بارليف ـ بعد سقوطه طبعا ـ ويرى فى الصورة طاهر الاسمر رئيس مدينة القنطرة ـ وقتها ـ وهلال السعيد ومحمد جبر وكمال رياض (المصور)... وآخرون .



المرحوم محمد صبيح مع صديق عمره المهندس سيد مرعي





محمد صبيح يعرض وجهة نظره وتصوراته .. اثناء احد الاجتماعات التمهيدية لاصدار « جريدة التعاون الرياضي » .. وتضم الصورة القيادات الرياضية ـ وقتها ـ واسرة تحرير صحف مؤسسة دار التعاون

●●

المرحوم د . فؤاد مرسي ـ عندما كان وزيرا للتموين ـ في زيارة لمطابع التعاون بدار السلام .. ويرى في الصورة المهندس ابراهيم شكرى وزير الزراعة ـ وقتها ـ وقيادات العمل بالمطابع في حوار باسم مع الوزير .



محمد صبيح .. ولقطة فريدة
فى بيت كوكب الشرق ام كلثوم
بالزمالك



الراحل محمد صبيح .. وحوار
تليفونى فى مكتبه بمنزله



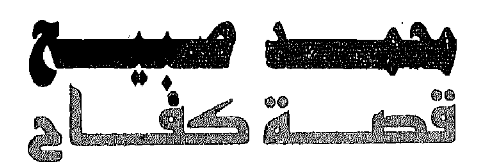
الدكتور محمد حافظ غانم الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى
والاستاذ احمد يونس فى زيارة لمحمد صبيح بمكتبه بدار التعاون

صورة حديثة للواء محمد
نجيب رئيس جمهورية مصر
(السابق) .. اثناء زيارته لمحمد
صبيح فى مكتبه بدار التعاون يوم
١٩٧٥/٢/٦ .. ويرى فى الصورة
بعض المحررين والمحررات

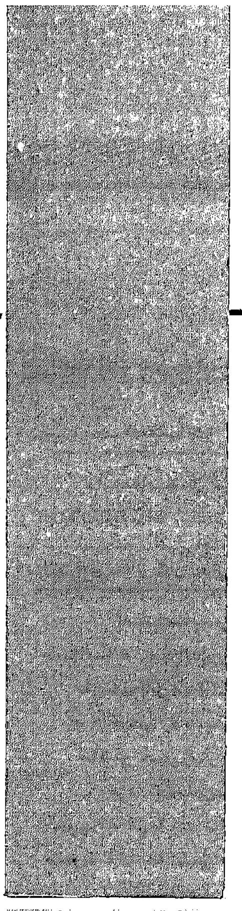


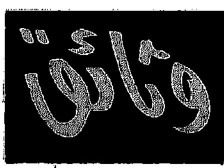
التقطت هذه الصورة فى منزل الصديق العربى المناضل يعقوب عويس وتضم
الصورة السلطان على عبدالكريم واللواء على ابو نوار والاستاذ حافظ
محمود والطيار الاردنى سهل حمزة .. وبعض الاصدقاء .

الفنان المخرج السينمائى الكبير محمد كريم فى أحد مواقع تصوير احد افلامه ..
وحوار باسم بينه وبين المهندس سيد مرعى ومحمد صبيح قبل بداية التصوير فى
هذا المكان



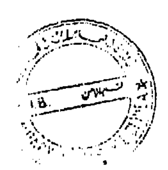
١٩١٠ ● ١٩٨٣





الصفحات التالية بها بعض الوثائق من التقارير التى وضعت تحت تصرف المرحوم الاستاذ محمد صبيح وهى من وثائق قصر عابدين ليكتب منها ملفات عن كيف كانت تحكم مصر، ورد ذكرها فى سياق الكتاب.

• وهذه الوثائق والتقارير من مباحث القصور الملكية عن تحركات رجال الاحزاب، وكل شخص عمل فى الحياة العامة فى مصر وقد أعيدت أغلب هذه الوثائق بعد الاطلاع عليها الى مكانها فى محفوظات قصر عابدين.



مذكـــــــرة

شأن الضباط المشتغلين بحركات خارجـــــة عـن النظـــم العســـكرية

١ ـ حضرة صاحب السعادة اللواء احمد فؤاد صادق باشـــا

دأب سعادته على توالي النشر بالصحف والادلاء باحاديث في موضوعات تمس السياسة العليا للحكومة مخالفا بذلك ماتقضي به نظم وقوانين واوامر الجيش وأمره الآن بيد الحكومة

٢ ـ اليوزباشي مصطفى كمال صدقي

هذا الضابط مصاب بمرض عصبي ويميل الى حب السيطرة والزعامة وهو في ذلك مسيّر لا مخيّر نتيجة اتصالاته ببعض الثوريين المدنيين وهم

أ) سعد كامل الذي اتهم في بعض القضايا السياسية ·

ب) فتحـــي رضـــــوان

ج) احمد حسين رئيس حزب مصر الاشتراكي ·

وهؤلاء الاشخاص معروف عنهم النشاط الشيوعي ولهم تأثير على الضابط المذكور بحكم اتصاله بهم ودفعه الى مايكتبه مهاجما كبار قواد الجيـــش ويحاول الضابط المذكور التأثير على بعـــض صغار الضباط موهما اياهم بأنه لايبالي بنتيجة مايفعل بسبب اتصالاته تحميـــه

وقد كتب مقالات في الصحف منها مقال خطير في جريدة الاشتراكية تشكل من أجله مجلس تحقيق وقد حاول بمعاونة صديقـــه الصاغ حسن فهمي عبـــد المجيـــد من سلاح المدفعية لعقد اجتماع بغية اظهار أن له مؤيدين فلم ينجح الا في اجتذاب اربعة عشر ضابطا من مرؤسي الصاغ حسن فهمي عبد المجيـــد خدعهم بحجة تناول الشاي بنادي الضباط وقد حضر هذا الاجتماع اليوزباشي مصطفى كمال صدقي كذلك قام بنفسه باتصالات تليفونية لجمع بعض ضباط سلاح الفرسان الملكي حوله فباء بالفشل لكراهية ضباط هذا السلاح له ومعرفتـــهم التامة بعقليته وشذوذه وحبه للظهور ·

ولم يسفر هذا الاجتماع عن اية نتيجة ولم يتحدثوا في اي موضوع عسكري

وقد تفوه اليوزباشي مصطفى كمال صدقي اثناء تواجده بكلام يدل على انه يعمل على ايجاد شقاق بين ضباط الجيـــش

٣ ـ الصاغ حسن فهمي عبد المجيــــد

هذا الضابط صديق حميم لليوزباشي مصطفى كمال صدقي ويشاركه آراءه ويوهم صغار الضباط من مرؤسيه بأن له اتصالات تحميه مما أدّى الى انقياد بعض ضباط الآليـــه له

والضباط الظاهرون لمناصرته هم ·=

أ) الصاغ عاطف عبده سعد

ب) اليوزباشي مصطفى خليل المستكاوي

ج) اليوزباشي فؤاد مرعي وقد نقل الى سلاح الصيانة

٤ ـ مجـــلة روز اليوســـف

ليس لدى ادارة المخابرات الحربية معلومات عن مرافقة خمسة عشر ضابطا لاحسان عبد القدوس

للاسكندريه ولكن المعلومات التى توصلت اليها هذه الادارة هى ان الذى رافق احسان عبد القدوس من الاسكندريه الى القاهره هو اليوزباشى عبد المنعم محمد السباعى شاهين من سلاح الحدود الملكى واجتمع بهما فى دار المجلة لدى عودتهم الى القاهره اليوزباشى احمد كامل يسر من سلاح الحدود الملكى والصاغ اسماعيل سرى من سلاح الفرسان الملكى وقائد السرب حامد جمال الدين عبد العال يونس من السلاح الجوى الملكى

والمعلومات الاكيدة عن اليوزباشى عبد المنعم محمد السباعى شاهين انه يزوّد هذه المجلة بالمعلومات العسكرية ويتقاضى أجرا عن ذلك ويذيّل بعض المقالات الخاصة بالجيش باسمه

أما الباقون فليس ثمة معلومات تدل على انهم يمدون هذه المجلة بالمعلومات العسكرية

الحاشية العسكرية الملكية

البوليس المخصوص

بين فضيلة شيخ الجامع الأزهر ووكيله

============

يقوم خلاف قديم بين فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكيله .

ويرجع أسباب هذا الخلاف لعدة أمور أهمها : —

أولا — يرى فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن أنه كان أحق من الشيخ الشناوى بتولى المشيخة العامة للأزهر ويؤيده فى ذلك فريق من علماء وطلبة الوجه القبلى .

ثانيا — تصرف فضيلة الأستاذ الأكبر فى كثير من الأمور الإدارية بدون أخذ رأى الشيخ الوكيل .

وقد أخذ الخلاف فى الأيام الأخيرة يتطور بشكل ظاهر وخصوصا بعد مرض فضيلة الأستاذ الأكبر . فقد حدث أن أصدر فضيلته بعض قرارات خاصة بترقية بعض الموظفين فتوقف الشيخ عبد الرحمن حسن عن تنفيذها لتشككه فى إمضاء الشيخ الأكبر وطلب مقابلته شخصيا للتحقق من ذلك

وقد أدى ذلك لقيام سوء تفاهم بين أعضاء الفريقين كان من نتيجته أن هتف بعض الطلبة من أنصار الشيخ الأكبر بهتافات عدائية ضد الشيخ الوكيل منها " الأزهر برىء من طريد القضاء — طريد القضاء طريد الأزهر — ليسقط وكيل الأزهر " وذلك بالسرادق الذى أعد بكلية اللغة العربية لمناسبة احتفال الأزهر يوم ٢٨ أبريل الماضى بذكرى وفاة المغفور له ساكن الجنان الملك فؤاد الأول .

وقد حاول بعض العلماء والطلبة أمس من أنصار الأستاذ الأكبر الإخلال بالنظام وإحداث شغب بالحفل الذى أقامته البعوث الإسلامية بالأزهر لمناسبة عيد الجلوس الملكى إلا أن البوليس كان قد احتاط للأمر فمنعهم من الدخول للسرادق المعد للاحتفال فاعتدى البعض منهم على رجال البوليس وأبلغت النيابة فتولت التحقيق .

ولا زالت الحالة متوترة بين أنصار الفريقين . ويرى فضيلة شيخ الأزهر أن التعاون أصبح غير ممكن بينه وبين فضيلة الشيخ الوكيل . وقد يؤدى استمرار هذا الخلاف إلى تعطيل شئون الأزهر وبعث الخلاف الإقليمى بين طلبة الوجه القبلى والوجه البحرى .

١٩٥٠/٥/٧ .

[توقيع]

PF.1019

٢٨ مايو سنة ١٩٤٥

نحن محمود فهمى النقراشى باشا

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى اول سبتمبر سنة ١٩٣٩ باعلان الأحكام العرفية فى البلاد المصرية .

وبمقتضى السلطة المخولة لنا بالمرسوم الصادر فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٥ .

نقرر ما هو آت :-

الغاء الأمر السابق الخاص بابعاد حضرة صاحب السعادة فؤاد سراج الدين باشا الى كفر الجرايده !!

الحاكم العسكرى العام

(امضاء) محمود فهمى النقراشى

Def 223/A

محافظة القاهرة
بوليس مدينة القاهرة
القسم السياسي

س/ ٤٩/٤
٤٩/١/٦

رقم ٦٥ سرى سياسى

حضرة صاحب العزة مدير عام ادارة عموم الأمن العام

أتشرف بأن أبلغ عزتكم ما وصلنا من أحد مرشدينا .

((عقد اليوم اجتماع الوفد المصرى بدار فؤاد سراج الدين باشا فى الساعة الحادية عشر صباحا بحضور كل من :-

فؤاد سراج الدين باشا	عثمان محرم باشا
عبدالفتاح الطويل باشا	أحمد حمزه بك
على زكى العرابى باشا	الأستاذ سليمان غنام

وحضر رفعة النحاس باشا فى الساعة ٥٠ر١١ صباحا
وقد توجه صباح اليوم لمنزل رفعته كل من :-

حسن يس	كمال عبدالرازق المحامى
جلال أبو سيد المحامى	محمد عبدالرحيم سماحه افندى
محمد حلمى شعير افندى	الأستاذ ابراهيم فرج
سيف الغزالى	سيد البكار
منير عبدالظاهر	على محمد قشاشه
على النهر	أحمد السقا
محمد حسن عثمان	يحيى زهلى
دانيال الرافعى	زكريا راشد
محمد محمود بحير	مراد أحمد مراد
سيد مونس	

وقد وزع على الشبان نشرة مطبوعة على البلوطة بعنوان (الرجوع الى الأمة واحترام مشيئتها ودستورها هما السبيل لتوحيد الصفوف) تتضمن عدم الموافقة على الدعوة نحو الائتلاف - ومن طيه احداها .

وقبيل عقد الاجتماع هتف الشبان بقولهم " لا ولاء لعبدالهادى ولا ائتلاف مع الخونة " وما زال الاجتماع مستمرا .

وهذا لعزتكم للاحاطة وسنوافى عزتكم بما يجد .
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .))

فى ٥ يناير سنة ١٩٤٩
الجندى
١٩٤٩/١/٦

عن / حكمدار بوليس مصر
امضاء

الحاشية العسكرية الملكية

البوليس المخصوص

الاخوان المسلمون والانتخابات

....

سيهيم الإخوان المسلمون النظام التالى لخوض المعركة الانتخابية المقبلة :-

١ - البحث عن شخصيات قوية من الإخوان لترشيحهم فى الانتخابات أمثال مصطفى مؤمن الذى سيرشح بدائرة الجيزة والشيخ أحمد الباقورى بدائرة الجمالية وصالح عشماوى بدائرة الأمام والدكتور محمد على لبيد بالزيتون .

٢ - مساعدة الشخصيات المعروفة بعطفها على الاخوان مثل صالح حرب باشا

٣ - فى حالة عدم وجود مرشح معروف بعطفه على الإخوان ينتخب الإخوان مرشح الحزب الوطنى يليه فى الترتيب المرشح الوفدى .

٤ - قرر الإخوان عدم انتخاب السعديين والدستوريين إطلاقا للعمل على اسقاطهم .

١٩٤٩/١٢/١

(توقيع)

بين الأستاذ حسن البنا ورفعة النحاس باشا

....

أرسل الأستاذ حسن البنا المرشد العام لجماعات الاخوان المسلمين خطابا شديد اللهجة لرفعة النحاس باشا يقول له فيه أن بيان الوفد المصرى الذى نشر بالجرائد يوم ٤ فبراير لا يحوى أى تعريض بالإنجليز ، وأن الإخوان المسلمين غاضبون من هذه الطريقة الوفدية التى تعتبر مجاملة ظاهرة للإنجليز للوصول عن طريقها إلى كراسى الحكم بدلا من تأييد الحكومة فى موقفها من حيث عرض القضية على مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة .

ويعتزم الأستاذ حسن البنا الرد على بيان الوفد قريبا .

١٩٤٧/٢/٧ .

(توقيع)

PF1016

دكتور

محمد عبد المعطى مرعى

دكتوراه فى الأمراض الباطنية

ودبلوم العلاج الكهربائى من كمبردج

للامراض الباطنية والروماتزمية والعصبية

مدرس بكلية الطب

٢٧ / ٥ / ٤٥

تقرير طبى

بالكشف على سعادة فؤاد سراج الدين باشا بالجراية بعد أخذ تصريح من سعادة مدير الأمن العام وجد عنده آلام روماتزمية بالظهر مصحوبة بآلام حادة بالفخذ الأيمن (عرق النسا) ويلزمه عمل جلسات كهربائية فضلا عن ان الجو بالجراية لا يلائم حالته لرطوبته .

دكتور

محمد عبد المعطى مرعى

M.D., D.M.R.E

---

٢١ ش ... ميدان الازهار — تليفون ٥٧٦٣٠ عيادة / ٥٤٦٩٠ منزل

وزارة الداخلية — PF1016

مكتب الوزير

ينقل الى المستشفى الاميطالى للملاحظة اذا اراد هو ذلك

(توقيع)

٤٥/٥/٢١

اتصلنا بسعادة مدير الأمن واعطينا سعادته نص تأشيرة دولة الرئيس

(توقيع) ٢٢ / ٥ / ١٩٤٥





وزارة التعليم العالى
المعهد العالى للتعاون الزراعى
مكتب العميد

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
Higher Institute of Agricultural Cooperation
Rector Office

السيد الاستاذ / محمد رشاد
رئيس مجلس ادارة دار التعاون للطبع والنشر

تحية احترام وتقدير ...

تكريماً لذكرى المرحوم الاستاذ / محمد صبيح مؤسس دار التعاون ورائد الاعلام المتخصص (الزراعى والتعاونى) .

فلقد قرر مجلس ادارة المعهد الاتي :

اولا : تخصيص منحه دراسيه باسم المرحوم الاستاذ / محمد صبيح للحصول على دبلوم الاعلام التعاونى بالمعهد وذلك من بين العاملين بالمحافظــــــــات كمـــراسلين أو مندوبين لدار التعاون ، وعلى أن يتلقى الدارس من المعهد خمسين جنيها شهرياً طيله مـــدة الدراســة .

ثانيا : عمـــل جائزة باســـم المرحـــوم الاستاذ / محمد صبيح من خريجى المعهـــد العالى للتعاون الزراعــى تعطى لمـــن حصل اعلـــى تقدير فى مـــادة الاعلام الزراعى والتعاونى وقدرها ٥٠٠ جنيه سنوياً .

ثالثا : الاشتراك مـــع دار التعاون فـــى تقـــديم كأس الصحافــــــة المتخصصـــه (الزراعية والتعاونية) باسم المرحوم الاستاذ / محمد صبيح وذلك فى الدراسات وفـــى المقـــال وفـــى التحـــقيق وذلك للصحافيين الشباب ابناء الدار سنوياً مع جائزه قدرها خمسمائة جنيه .

آملين ان يكون المعهد قد ساهم بالقليل فى ذكرى عظيم من ابناء مصر الخالدين المرحـــوم الاستاذ / محمد صبيح والذى سيبقى اسمه حياً بما غرسه وقدمه لبلده ،

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ...

رئيس مجلس الادارة وعميد المعهد

[signature]

أ.د فخرى شوشـــه

القاهره فى : ١٩٩٣/٤/١١

P.O Box 198 Shubra
Cairo - Egypt - Tel 2201952
Fax 202-2201400

ص . ب ١٩٨ حدائق شبرا – القاهرة
ت ٢٢٠١٩٥٢
فاكس ٢٠٢ – ٢٢٠١٤٠٠

أخبار اليوم

القاهـــرة فى ١٩٤٠/٦/٤

((عقـــد اتفـــاق))

بين جـــريدة أخبـــار اليـــوم
والاستاذ محمـــد صبيـــح

اولا – اتفق الطرفان على ان يتولى الاستاذ محمد صبيح [illegible] جريـــدة ((أخبـــار اليـــوم)) [illegible]

ثانيا – [illegible] ١٩٤٠ [illegible]

ثالثا – [illegible]

رابعا – [illegible]

خامســـا – [illegible]

الطـــرف الثانى — الطـــرف الاول (عن أخبار اليوم)

[signatures]

المحتويات



الإنجازات تتحدث عن نفسها :

مع مرفق مياه القاهرة الكبرى





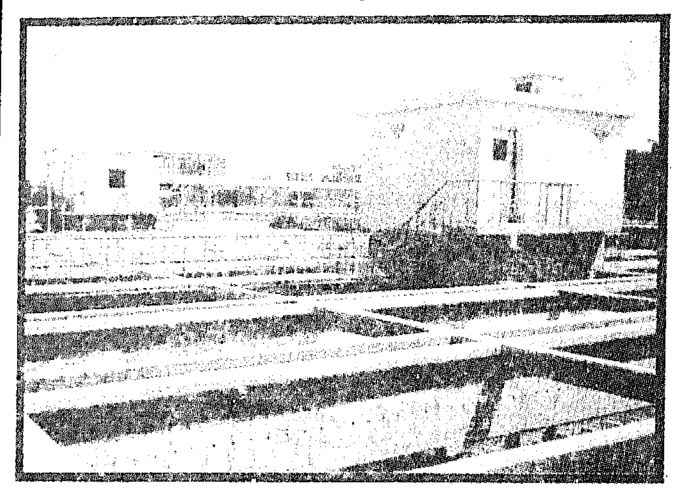




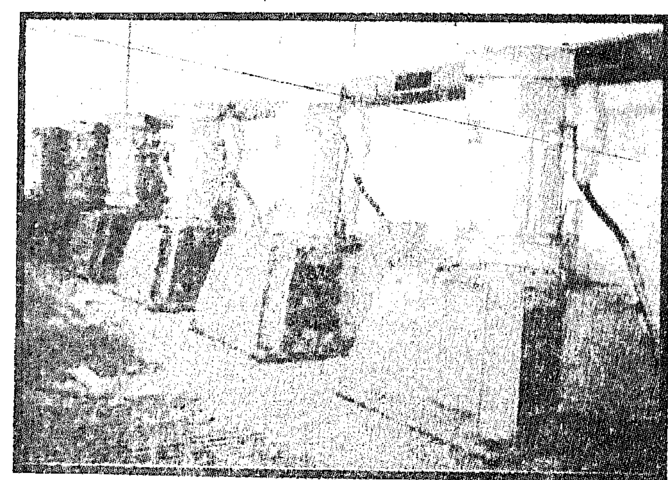
مهندس / عادل الطويري

مرفق مياه القاهرة الكبرى

مبنى المروقات



محطة الطلمبات



مد الخطوط الرئيسية الى المناطق العشوائية التى يتم تطويرها فى القاهرة وشبرا الخيمة والجيزة

مراقبة جميع مصادر المياه وانشاء معمل مركزى على أعلى مستوى لتحليل المياه .

مرفق مياه القاهرة الكبرى

كتب إبراهيم أبوالخير :

●● لايختلف اثنان على ان عصر الرئيس محمد حسنى مبارك هو عصر الإنجاز والتنمية بكل صورها واشكالها وفى كل المحاور فالقائد والزعيم حسنى مبارك لايدخر جهداً او يالو سعياً فى سبيل رفعة وتقدم وحضارة مصر ورقى ابنائها وجعل تلك المهام بمثابة الدستور والنبراس الذى يعمل منه وله ليلا ونهاراً .. ولاجدال فى ان « الهيئة العامة لمرفق مياه القاهرة الكبرى » قد شهدت فى عصر مبارك نجاحات غير مسبوقة بفضل الجهود الدؤوبة التى يبذلها القائمون على هذا الصرح العملاق الذين يسعون دائما بإسهاماتهم الفعالة والهيئة فى هذا الإطار قد حققت النجاحات على كل المستويات وكلها لم تات من فراغ بل جاءت كنتيجة طبيعية لروح الإصرار والمثابرة والعمل بروح الفريق ..

وفى حديث مع السيد الوزير محافظ القاهرة عمر عبدالآخر عن مرفق مياه القاهرة وإنجازاته خلال الفترة الحالية ..

قال سيادته مرفق مياه القاهرة هو من اهم المرافق القومية التى تعمل على رفع مستوى معيشة ابناء الشعب المصرى والمرفق يخدم الملايين فى أنحاء القاهرة الكبرى وقد كانت القاهرة الكبرى منذ سنوات قليلة محصورة فى امتداد عمرانى

معروف لنا جميعا ظل يتزايد يوماً بعد يوم من هنا تقوم المحافظة بتوفير كل احتياجات المرفق حتى ينطلق الى مستوى الاداء المطلوب وللعلم يقوم على ادارة هذا المرفق نخبة ممتازه تدير العمل فى الاتجاه الصحيح بالامكانيات المتاحة وباقصى طاقة ممكنة لتوفير المياه النظيفة لسكان القاهرة فى كل وقت وفى كل مكان ..

وفى حديث لـ « المصرى » مع المهندس عادل الطويرى رئيس الهيئة العامة عن الانجازات التى تحققت فى المرفق وحل المعادلة الصعبة التى تتمثل فى توفير وتوصيل المياه النقية الى كل بيت والى كل مواطن قال سيادته ..

– فى الحقيقة اثناء الثمانينات سنة ٨٢ ، ٨٣ كان انتاج المياه فى القاهرة يبلغ ٢,٢ مليون متر مكعب ومن سنة ١٩٨٢ حتى عام ١٩٩٥ فى الصيف وصلنا الى ٤,٨ مليون متر مكعب اى ضاعفنا الكمية وبالزيادة ايضا وطبعا لان مرفق مياه القاهرة يغذى ثلاث محافظات .. محافظة القاهرة والمنطقة الحضرية بمحافظة الجيزة والمنطقة الحضرية بالقليوبية وتتمثل فى شبرا الخيمة وضواحى شبرا الخيمة الى الاماكن العشوائية المحيطة بالقاهرة او بالجيزة أو بشبرا الخيمة كل هذه المناطق دخلت لها الخدمة المنتظمة لمرفق مياه القاهرة عن طريق تدعيم الدولة وتوصيل شبكات منتظمة للجمهور العشوائى الموجود الآن .. فقد تعاقدنا الآن على خطة لنصل الى ٦ ملايين متر مكعب فى اليوم .. تحت التنفيذ الآن عدة مشروعات لمنطقة

الجيزة فهى التى تعانى معاناة شديدة والهرم ايضا فيبلغ استهلاكهما ٦٧٠ الف متر مكعب حاليا وسوف نقوم بمضاعفة الكمية بالاضافة الى القيام بتوسعات فى محطة امبابة تنتج ٣٠٠ الف متر مكعب سوف تصل الى ٧٠٠ الف متر مكعب

مرفق مياه القاهرة الكبرى

بمعنى ان هناك زيادة ٤٠٠ الف متر مكعب ، نقوم بتوسعات على جزئين جزء يابانى ٥٠ الف متر مكعب فى اليوم وجزء فرنسى ٢٠٠ الف متر مكعب اى ان الزيادة التى سوف تزيد فى منطقة الجيزة ٦٥٠ الف متر مكعب وهى تصل الآن الى ٦٧٠ الف متر مكعب اى تغطى وزيادة منطقة الهرم والرماية وبولاق الدكرور وارض اللواء وعزبة الحداد وجميع من يعانى حاليا فى منطقة الجيزة ..

اما بالنسبة لتوسعاتنا للقاهرة فانها تتمثل فى محطة مياه الفسطاط ٦٠٠ الف متر مكعب حاليا وايضا التوسع للمرحلة القادمة ٣٠٠ الف متر مكعب .. جزء يدخل مدينة نصر ـ والجزء الآخر للهضبة العليا للمقطم ..

ـ وبالنسبة لنقاء المياه وجودتها ماهى الاساليب التى تستخدم لإعطاء كوب ماء نظيف لكل مواطن ؟

ـ انتاج المياه من المحطات الخاصة بالهيئة نقية ١٠٠٪ وتاكيدا على جودتها يضاف اليها نسبة الكلور النهائى واستخداماته ليعمل على نقائها واكسدة جميع الميكروبات الموجودة بها .. والهيئة مسئولة عن كوب ماء نظيف لكل مواطن ..

اما بالنسبة لكيفية المحاسبة فإنها لاتتم جزافياً ويوجد اكثر من طريقة للمحاسبة منها العداد وهو الخاص بكل وحدة سكنية ..

اما بالنسبة لتسرب المياه من المواسير فتوجد دراسة لها من اكثر من ثلاث سنوات ..

فى الماضى عند التسرب كان يصعب الكشف عليها وتحديد مكانها اما الآن فيوجد ثلاث سيارات حديثة مجهزة الكترونيا للعمل ٢٤ ساعة للكشف على المكان المراد اصلاحه باجهزة الكمبيوتر على اساس يحدد الكسر فيها ويبدا الحفر بها ويتم تصليحها فى اسرع وقت وقد تم تدريب مهندسين وفنيين على استخدام هذه السيارات لكى تعمل بكل كفاءة وسوف يتم تعميمها فى جميع المحطات التى يبلغ عددها ٢٢ محطة سوف تكون كل محطة مجهزة ومستقلة بذاتها ..

ونحن نعلم جميعا ان المياه مدعمة من الحكومة لان متر المياه يتكلف على الدولة ٤٠ قرشا فقط يأخذه المواطنون بعشرة قروش ويتم صرف مبالغ كبيرة على مستلزمات الانتاج وهى الشبة والكلور اذ نستهلك بـ ٦٠ مليون جنيه سنويا .

ويبلغ مايحصل من القاهرة الكبرى ١١٠ ملايين منها ٦٠ مليون شبة وكلور فقط اما الـ ٥٠ مليون فلا تكفى لباقى مستلزمات الانتاج والمرتبات وباقى المواد الخام الاخرى وقطع الغيار فالحكومة تدعم هذا الانتاج الحيوى بالكامل ..

اما بالنسبة للعشوائيات فالحكومة ايضا تتكفل بها تماماً من حيث الاحلال والتجديد والشبكات والروافع واية مستلزمات اخرى تقوم الدولة بتدعيمها وتصرف عليها بالكامل كافة مستلزماتها وكل هذه الجهود والخدمات بتعليمات من السيد الرئيس **حسنى مبارك** رئيس الجمهورية والسيد الوزير المحافظ **عمر عبد الآخر** بوجوب توصيل المياه الى كل المناطق العشوائية وعمل الشبكات الجديدة الخاصة بها مثلها مثل كل المناطق الراقية ..

شركة السويس لتصنيع البترول



تميزت فترة حكم الرئيس حسني مبارك باتباع
الأسلوب المتوازن الذي يرضي جميع المواطنين
المصريين بكل فئاتهم المختلفة . ونرجو أن
تستمر المسيرة لاستكمال الإصلاح الاقتصادي
لجمهورية مصر - حامياً بسياسته الحكيمة الأخطار
التي تتعرض لها مصر مثل التطرف والمخدرات
رعاكم الله لأمن مصر ورخائها ،،

مهندس / **عادل الغمري**
رئيس مجلس إدارة
شركة السويس لتصنيع البترول

شركة السويس لتصنيع البترول



افتتح الدكتور حمدى البنبى وزير البترول والثروة المعدنية واللواء مصطفى صادق محافظ السويس واللواء جمال أبو ذكرى مساعد وزير الداخلية والمهندس عادل الفخرى رئيس مجلس الإدارة المشروعين الجديدين لحماية البيئة وإعادة تقطير الفضلات البترولية

مشروعات الشركة

- أســـــم المشروع :- حوض كشط الزيت (new skim basin)
- تكلفـــــة المشروع :- ٤٤٥٥٠٠٠ جنية مصرى
- السعــــة التشغيلية :- ١٥٠٠٠ متر مكعب/ساعة (تصميمى)
- الهدف من المشروع :- فصل الزيت من مياه التبريد المنصرفة لخليج السويس وحماية البيئة من التلوث
- تاريـــــخ التشغيل :- ١ / ٧ / ١٩٩٤ م

وصف فنى للمشروع :

يهدف المشروع الى تحقيق أهداف حيوية :-

١) وجود حوض أحتياطى يتيح الفرصة لأجراء أى أعمال صيانة بالأحواض القديمة دون أطفاء لوحدات الشركة وهذا لم يكن متاحا من قبل ٠

٢) الوصـول بنسبة الزيت فى راجع مياة التبريد المنصرفة لخليج السويس للحدود المسموح بها ويتم ذلك عن طريق ميكانيكية مقاشط الفصل والموجودة على ثلاث مناسيب أفقية للحوض لكشط الزيت بعد أنفصاله طبيعيا عن المياة ٠

- الأبعـــــــاد ٣,١م × ٥٥م × ١٠٥م

وحـدة تقطير الفضلات

تعتبر هذه الوحدة أحد الانجازات الهامة لشركة السويس لتصنيع البترول حيث تعمل هذه الوحدة على إعادة تقطير الفضلات البترولية المسترجعة من أحواض فصل الزيت ومن الوحدات الانتاجية وتحويلها الى منتجات مطابقة للمواصفات مما يساعد على حماية البيئة من التلوث وحماية الوحدات الانتاجية الاخرى من مشاكل التآكل عند استخدامها فى تقطير الفضلات وقد نجحت الشركة فى تصميم وأنشاء هذه الوحده بواسطة العاملين بالشركة وفيما يلى أهم المؤشرات لهذا المشروع :-

أهم إنجــازات الشــركـة

########################

شركة السويس لتصنيع البترول إحدى قلاع صناعة البترول المصرية وأول شركة تكرير وطنية انشات فى عام ١٩٢١ وتنوعت منتجاتها لتفى بإحتياجات البلاد من المواد البترولية المختلفة من خلال سبعة وعشرون وحدة إنتاجية مختلفة لتكرير الخام وتفحيم المازوت وتحسين البنزين وإنتاج زيوت التزييت ويعكس تطور الشركة خلال المجالات المختلفة أهمية لدورها الرائد فى قطاع البترول

أولا : فى مجال تطوير الانتاج وحماية البيئة من التلوث .

١- انشات الشركة وحدة لتكرير الفضلات المسترجعة من أحواض فصل الزيت والوحدات الإنتاجية وتحويلها الى منتجات مطابقة للمواصفات لتساهم فى حماية البيئة من التلوث.

٢- انشات الشركة حوض فصل الزيت لتحسين كفاءة إسترجاع المواد البترولية وإعادة تكريرها وحماية البيئة من التلوث .

٣- انشات الشركة وحدة الكسح بالبخار لتحسين كفاءة استرجاع المواد البترولية وترشيد الطاقة .

٤- تم البدء فى إنشاء عدد ٢ شعلة لحرق الغازات بإرتفاعات عالية وفقا لأحدث النظم العالمية لحماية البيئة من التلوث .

٥- تم تطوير بعض الوحدات الإنتاجية لزيادة طاقتها الإنتاجية وتحسين معدل أداء الوحدات وحماية البيئة .

٦- تم تطوير نظم التحكم الآلى فى وحدات التقطير وزيوت التزييت لزيادة تحسين أداء الوحدات الإنتاجية .

٧- تم زيادة السعات التخزينية للمستودعات لمواجهة الزيادة فى الإنتاج التى تمت نتيجة لعمليات تحسين الأداء بالوحدات المختلفة .

٨- تخطط الشركة وتنفذ عمليات الاحلال والتجديد والصيانة بانواعها لتدعيم إنتاج الشركة.

٩- أنشات الشركة محطة محولات ٦٦ كيلو فولت لتامين إستمرار تشغيل الوحدات .

١٠- هناك العديد من المشروعات التى تم تنفيذها فى مجال المرافق والكهرباء ونظم الإطفاء المتقدمة وضواغط الهواء ومستودعات النتروجين التى ساعدت على تحسين معدلات الانتاج

ثانيا : فى مجال ترشيد الطاقة وخفض تكلفة الانتاج.

تولى الشركة إهتماما بالغا فى المجالات التالية حيث يتم تنفيذ مشروعات وبرامج مخططة فى مجـــــال :-

تحسين كفاءة الإحتراق بأفران الشركة المختلفة .
تحسين كفاءة العزل الحرارى المستخدم بوحدات الشركة .
تحسين كفاءة المراجل البخارية القديمة بالشركة .
تحسين كفاءة أحواض فصل الزيت الفرعية بالوحدات .
تحسين كفاءة شبكة البخار واسترجاع المتكثفات .
تحسين معامل القدرة الكهربائية من (٨٥و الى ٩٧و) .
خفض إستهلاك الكيماويات وترشيدها .
تحسين كفاءة نظم التبديل الحرارى

ثالثا : فى مجال المشروعات المستقبلية :.

هناك العديد من المشروعات الجارى تنفيذها والمشروعات المخططة مستقبلا فى مجالات:-

١- مشروع إزالة إختناقات مجمع التفحيم .
٢- مشروع إعادة تعمير وحدات الزيوت .
٣- مشروع إحلال وتجديد ضواغط الشركة .
٤- مشروع تجديد شبكة الإطفاء .
٥- مشروع تجديد شبكة الصرف الصحى .
٦- مشروع تغيير المذيب بوحدات الزيوت .
٧- مشروع إنشاء وحدة كبريت جديدة .
٨- مشروع إنشاء وحدة نتروجين جديدة .
٩- مشروع إحلال وتجديد أفران الشركة .

رابعاً : فى مجال رعاية العاملين :-

فى مجال الإسكان .

أ- القضاء على مشكلة إسكان العاملين وذلك بتمليك العاملين وحدات سكنية ٤ غرف وصالة بمدينة الزهراء و ٢٤ أكتوبر المميز .

ب - منح القروض للراغبين فى بناء منازل أو تمليك وحدات سكنية .

فى مجال الرعاية الرياضية.

- تستضيف الشركة بطولات الجمهورية فى بعض اللعبات مثل تنس الطاولة والهوكى .
- تعطى الشركة إهتماما بالغا بالرياضة للجميع من خلال النادى الرياضى للشركة .

فى مجال الرعاية الإجتماعية .

- توفر الشركة رحلات العمرة والحج للعاملين .
- توفر الشركة رحلات المصايف المختلفة .
- توفر الشركة الحفلات الترفيهية للعاملين .
- تكرم الشركة أبناء العاملين المتفوقين فى الشهادات المختلفة .

فى مجال الرعاية الصحية .

توفر الشركة الرعاية الصحية للعاملين وأسرهم من خلال مشروع علاج أسر العاملين بقطاع البتـــــرول .

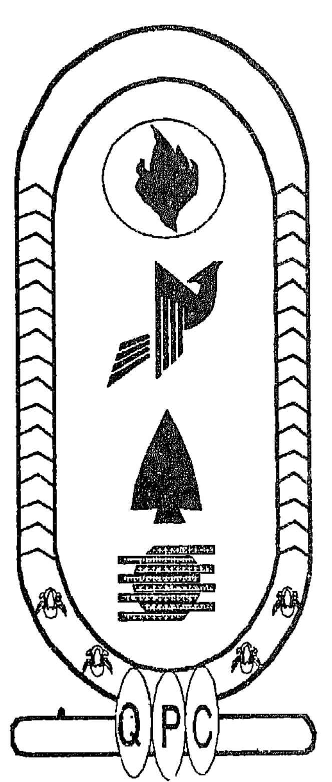
خامسا : فى مجال الرعاية العلمية :-

تهتم الشركة بتنمية قدرات العاملين من خلال مراكز التدريب بها وقد حصل العديد من العاملين على درجات الدكتوراة والماجستير والدبلومات العليا فى المجالات المختلفة .

إضافة الى تنظيم المؤتمرات العلمية والمشاركة الفعالة بالأبحاث العلمية فيها

هذا ويجدر الإشارة أن المعدل السنوى للفائض والأرباح فى زيادة مستمرة منذ عام ٩٢/٩١ و حتي العام المالي ٩٥/٩٤ .

شركة قارون للبترول



QARUN PETROLEUM CO.

- تكونت شركة قارون للبترول فى ١٣ أغسطس ١٩٩٥ كشركة مشتركة بين الهيئة المصرية العامة للبترول وشركة فينكس [illegible] وشركائها .
- [illegible] تقوم الشركة بعمليات الإنتاج والتنمية للاكتشاف الكبير الذى تم فى منطقة امتياز قارون ويتوقع أن يبدأ الإنتاج المنتظم منه فى خلال سنة من الآن
- هذا بالإضافة إلى استمرار عمليات البحث والتنقيب فى منطقة امتياز قارون للعثور على احتياطيات بترولية جديدة .
- ويتوقع أن تكون معدلات الإنتاج من أكبر المعدلات الإنتاجية بالصحراء الغربية .

شركة قارون للبترول

صرح شامخ ونمو مستمر وخبرات مصرية [illegible]

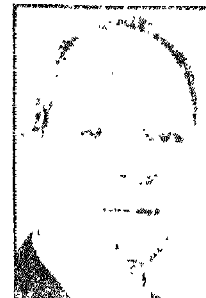
كتب - إبراهيم أبو الخير :

تعتبر صناعة البترول من اهم الصناعات الاستراتيجية وذلك نظراً لما تملكه من دعائم اساسية لتنمية وتنشيط ودفع

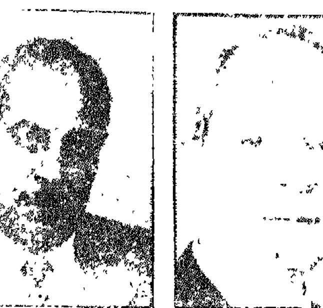
مقدرات الاقتصاد القومى وتتسم هذه الصناعة بالتطور والتقدم التكنولوجى .

ومن الرموز التى تسهم بفاعلية فى تحقيق ذلك شركة قارون للبترول .

وفى حديث مع المهندس حسن عقل رئيس مجلس الادارة عن الشركة واهدافها قال سيادته .



م . حمدى البيبى



م . حسن عقل

شركة قارون فى بدايتها كانت شركة امريكية حصلت على اكتشاف للبترول بسمك كبير واستمر حفر البئر الاول والثانى والثالث ووصل الانتاج الى ١٢٠٠٠ برميل يوميا .

وتكونت شركة قارون للبترول فى ١٣ اغسطس ١٩٩٥ كشركة قائمة بالعمليات لتنمية هذين الاكتشافين على الانتاج فى خلال ١٢ شهرا من الان ويتوقع الانتاج بمعدلات عالية من البداية وبالتالى تكون تسهيلات الانتاج تصل الى ٦٥٠٠٠ برميل .

ومن ابرز الاهداف العاجلة للشركة قال سيادته

هدفنا العاجل هو وضع هذين الاكتشافين على الانتاج وادخال التكنولوجيا الحديثة فى الانتاج بالاضافة اننا وضعنا فى اعتبارنا استخلاص جميع المتكثفات وخلطها بالزيت الخام لتحسين جودته ثم ندفع الغازات فى خط الغازات القومى المتجه الى دهشور للاستفادة به للصناعة فى مصر .

ومن التطور العلمى فى مجال تخصص الشركة قال سيادته

من الطبيعى ان تستفيد الشركة الجديد من الخبرات المتواجدة وكان من الطبيعى ان يختار السيد الوزير العاملين فى الشركة ذو خبرات كبيرة وبالاضافة الى ذلك سوف تستخدم التكنولوجيا الحديثة فى البحث عن البترول بمعنى اننا سوف نستخدم نظام البحث السيزمى ثلاثى الابعاد والذى سوف يعطى صورة واضحة للخزانات وهو مايعمل على قلة المجازفة .

اما من ناحية الانتاج سوف يستخدم فصل المتكثفات المرتبط بانتاج الزيت وبالتالى نفقد اى شىء من المتكثفات .

وايضا وضع فى الاعتبار عملية الحقن بالمياه للمحافظة على ضغط الخزان لزيادة الاحتياطى اما بالنسبة للنظام المحاسبى فقد اسخدمت احدث الطرق الحاسبية بحيث يكون عند جميع المديرين كافة البيانات المتوفرة على الحسابات لتوفير الوقت وتحسين جودة العمل .

عند حديثنا مع السيد وزير البترول .

قال سيادته ان طلب منكم سر تنمية الحقل وتشغيله ماذا يمكن ان نقول عن هذا الحديث ؟

كانت توصية الرئيس للسيد الوزير وسوف تكون الخطة هى استمرارية البحث لإكتشاف خزانات اخرى لتنفيذ توجيهات السيد الوزير .

وللعلم الشركة بها خبرات متنوعة حيث ذكرت قبل ذلك اننا نملك خبرات كبيرة من شركة خالدة ومن الخارج .

وللعلم فى مجال الاستكشاف عندنا عضو مجلس إدارة كان يعمل فى الصحراء الغربية ونستفيد من خبرته فى منطقتنا .

وبالنسبة للشئون المالية فقد تم اختيار خبرة ممتازة من شركة جابكو حيث كان يعمل فى الادارة المالية واستخدام الحاسبات الالية فى مجال عمله لتقليل التكاليف وتحسين الانتاجية والمحافظة على التسهيلات وحمايتها وبالتالى وجود اكبر عائد

وفى اخر حديثه قال سيادته

ان منطقة قارون تم الحفر فيها قبل ذلك وعملية الاستكشاف تحتاج جهود مضنية واستخدام احدث تكنولوجيا وفكر جديد وتكنولوجيا جديدة واصبحت متوفرة وللعلم تشجيع الشركات بالنظام الجديد للإتفاقات جعل الجانب الاجنبى يقدم على العمل فى مصر وزادت شركات الحفر نتيجة سياسة وزير البترول وقد ظهرت بشائر هذه السياسة فى زيادة الاحتياطات من الغاز الى ٢١ تريليون .

وفى نهاية حديثنا طلبنا من المهندس حسن عقل رئيس مجلس ادارة الشركة ان يرسل بثلاث برقيات الى كل من رئيس الجمهورية ووزير البترول ورئيس هيئة البترول ماذا يمكن ان يكتب فيها ؟

قال سيادته للرئيس مبارك اقول له رجال البترول دائما رجال مصر اوفياء لها يبذلون جهدا وعرقا لزيادة الثروة القومية .

ولوزير البترول اقول له سنكون على مستوى المسئولية التى استودعتموها لنا وسوف تنتج حقول قارون ويزداد انتاجها للمساهمة فى دفع عجلة الاقتصاد المصرى وزيادة الاحتياطى

واقول لرئيس الهيئة الدكتور شعراوى نعمل جميعا فى قطاع البترول وبإذن الله سوف نحقق الاهداف المرجوة من هذا القطاع .



مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

رقم الايداع ٩١٩٦ / ٩٥

الترقيم الدولى ٩ - ٠٤٩ - ٢٢٩ - ٩٧٧ I.S.B.N





● المؤلف :

المحاسب عبدالحكيم عبدالغنى قطا أستاذ التمويل التعاونى بالجامعة العمالية والخبير الاستشارى بمنظمة الأغذية والزراعة بالأمم المتحدة والحائز على وسام الامتياز التعاونى من الطبقة الأولى

ولد بمحافظة الدقهلية عام ١٩٢٥ وحفظ القرآن الكريم ثم حصل على بكالوريوس التجارة جامعة القاهرة ثم دبلوم عال فى التخطيط القومى .. مثل مصر فى ندوات ومؤتمرات تعاونية بكل من تشيكوسلوفاكيا والسويد والدانمارك وفنلندا والمجر والدول العربية .

له العديد من الدراسات والبحوث التعاونية فى الإدارة والتنظيم والتمويل وكذلك سلسلة أعلام التعاون .

● الكتاب :

- هذا الكتاب عن الكاتب الكبير محمد صبيح الذى تخرج فى كلية الآداب عام ١٩٣٤ وخاض معارك الوطن فى أوائل الثلاثينات وقضى أغلب سنوات عمره فى المعتقلات بأمر الإنجليز أيام كان سكرتيرا عاما لحزب مصر الفتاة وهو المجاهد الوطنى والمؤرخ الإسلامى الكبير والكاتب الصحفى وهذا الكتاب يؤرخ له ولحياته ومعاركه .

● ٨ جنيهات